

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

السنة 13 - العدد 51

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العدد : ٥١ - شوال ١٤١٣ هـ نisan ١٩٩٣ م - السنة الثالثة عشرة

رئيس التحرير
د. عبدالكريم اليافي

المدير المسؤول
علي عقله عرسان

أمرين التحرير
عبداللطيف أزناوط

هيئة التحرير

د. عدنان درويش
د. محمد زهير البابا
د. محمود السيد

د. ابراهيم الكيلاني
د. ادهم السمان
د. عدنان البيني

ترسل المواد والراسلات الى العنوان التالي :

المدير المسؤول - اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب : ٣٢٣٠ - ٢٦٦٢٩٩ - ٢٦٦٣٢٩





مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com رابط بديل

مكتبة لبنان العربي

المواضيع المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي أصحابها

الاشتراك السنوي

د. داخل القطر	: ١٠٠ ل.س
في الأقطار العربية	: ٢٠٠ ل.س أو (١٠) دولار أمريكي
خارج الوطن العربي	: ٣٠٠ ل.س أو (١٥) دولار أمريكي
الدواتير الرسمية داخل القطر	: ٢٠٠ ل.س
الدواتير الرسمية في الوطن العربي	: ٣٥٠ ل.س أو (٢٠) دولار أمريكي
الدواتير الرسمية خارج الوطن العربي	: ٥٠٠ ل.س أو (٢٥) دولار أمريكي
أعضاء اتحاد الكتاب	: ٥٠ ل.س

■ الاشتراك يرسل حواله بريديه او شيك او يدفع بقىدا الى : (محاسب مجلة التراث العربي) ■

الاخرج الفنى : اكرم افسدار

المحتوى

- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – موقعه في عصره – قلمه يروي حياته
د. مسدا الكريم الباقي ٧
- عصر جلال الدين السيوطي – والحياة العلمية فيه
د. محمد زهير البابا ٤٣
- ★ اعلام التراث الاسلامي :
□ جلال الدين السيوطي ٠٠ الانسان
عبداللطيف ارناؤوط ٥٣
- السيوطي – علامة عصره
سلفي أبو جيب ٩٣
- اتهام الجلال السيوطي بين التبرئة والإدانة
د. عدنان درويش ٧٩
- السيوطي – أمام التفسير بالتأثير في القرن العاشر
د. وهبة الزنجيلي ١٠١
- اسهام السيوطي بالافتاء
د. محمد الزنجيلي ١١٢
- الآلاظ المعربة في القرآن الكريم – و موقف السيوطي منه
محمد يوسف الشربجي ١٣٧
- ★ من كتب التراث :
□ مشتمى المقول في منتهى النقول
تأليف : جلال الدين السيوطي
تحقيق : بديع السيد الخامنئي ١٦٣
- مؤلفات جلال الدين السيوطي – المخطوط والمطبوعة
١٧٧



حملة الرئيسي عبد الرحمن السيفطي

موقعه في عصره - قلمه يروي حياته

د. عبد الكرييم اليافي

ليلة الأحد ١٢٨٤ هـ / ١٥١٧ م ليلة الجمعة ١٩ جمادى الأولى ٩١١ القاهرة
٣٠٠٥ ١٤٤٥ هـ / ١٢٣٥ تشرين الأول ١٥٠٥

عاش السيفطي في ظلال دولة المماليك الجراكسة . وقد امتد حكمهم من
١٢٨٤ هـ / ١٥١٧ م إلى ٩٢٣ هـ / ١٤٦٣ م عاصراً منهم الملوك الآتية أسماؤهم :

الظاهر سيف الدين جقمق	حكم عام ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م
المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	» ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م
الأشرف سيف الدين اينال	» ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م
المؤيد شهاب الدين أحمد بن اينال	» ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م
الظاهر سيف الدين خشقدم	» ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م
الظاهر سيف الدين بلباي	» ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
الظاهر تمر بغا	» ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
الأشرف سيف الدين قايتباي	» ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م
الناصر ناصر الدين محمد بن قايتباي	» ٩٠١ هـ / ١٤٩٦ م
الظاهر قانصوه	» ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م

الأشرف جان بلاط

العادل سيف الدين طوماي باي

بن قانصوه

الأشرف قانصوه الغوري

» « ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م

» « ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م

» « ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م

ويتبين من هذا العرض أن بعض الملوك كانت مدة ملکهم أقل من سنة . ذلك أن نائب الملك والأمراء وقادة الجيش كانوا بالاتفاق مع الخليفة والقضاة يخلعون الملك اذا لم تعجبهم سيرته ويولون آخر مكانه . أما الخليفة فكان رمزاً دينياً ليس غير .

وسميت هذه الدولة بالمالية العراكسة للتغلب فان الملك الظاهر تمر بذا كان رومياً (يونانيا) . هذا عدا الأمراء والقادة والجنود فانهم من عروق شتى كالتركي والكردي والأرمني والهندي والقبعاني والسلافي وغيرهم . وانما قيل لهم أيضاً الماليك البرجية أو البرجيون نسبة الى مسكنهم الذي كان في القلعة على حين كانت دولة الماليك التي سبقتهم يقال لها ملوك الترك نسبة الى جنسهم على التغلب او الماليك البحرينة او البحريون لأن مسكنهم كان في جزيرة الروضة على النيل .

عصر الماليك على وجه العموم بحرية وبرجرية ذو مكانة بارزة في تاريخ الاسلام . فقد وقفوا سداً منيعاً تجاه امواج المغول والتتر المتتابعة الكثيفة الزاحفة وازاء العملات الصليبية المتراجفة فتوارثوا نفساً الملك العادل نور الدين محمود زنكي وكفاح صلاح الدين الايوبي وبقية الايوبيين للصلبيين واستطاعوا بشجاعتهم وفروسيتهم وايمانهم دحر تلك العملات ورد تلك الامواج وحماية البلاد العربية حيناً من الدهر من شرور الوحشية وغارات المموجية الى ان ذر قرن الاستعمارين القديم والحديث وكشرت في ظلهمَا نیوب الصهيونية في العصر الحاضر .

وقد بقي عصر الماليك يعده جو من الغموض في اذهان الكثرين من الناشئة او يمر هؤلاء به لاماً دون التدقيق في خصائصه واستبيانه مزاياه وتلمس عيوبه

في بعض الأحيان . ونحن هنا بمناسبة سيرة جلال الدين السيوطي العلمية لا بد من أن نتناول بعض معالم ذلك المسر .

لقد أدى استيلاء المغول على العراق وسقوط الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ هـ / ٥٦٦ م والمظالم التي وقعت إلى اتجاه أنظار المسلمين نحو مصر الأيوبيية ثم المملوكية ، وهاجر عدد كبير من العلماء والمفكرين والصناع آمماً جحافل التتر وهجمات الصليبيين إلى وادي الكناثة . كذلك أفضى تدهور أحوال الأندلس وصروف المغرب المسيرة من ناحية مقابلة إلى انتباع مصر التي غدت مقراً جديداً للخلافة العباسية ، وقد أحياها الملك الظاهر بيبرس ولو شكلاً بعد انتصاراته الباهرة كما غدت مركزاً علمية واقتصادية وعسكرية نجحت في التألق وفي حفظ التراث العربي الإسلامي وأمداده بمعين ثر فياض .

وقد تناقل الناس رسوخ العلم في مصر وازدهاره فيها لumen ابن خلدون أي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين على حين أقوت معاهد المعرفة والعلم في كثير من البلدان الإسلامية . يقول هذا المؤرخ العلامة في مقدمته تحت عنوان « فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع » :

« أما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه نافقة ، وبعوره زاخرة لاتصال العمران الموفور ، واتصال السند فيه ، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت ، مثل بغداد والبصرة والكوفة ، إلا أن الله تعالى قد أدار منها بأمصال أعظم من تلك ، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب . فلم تزل موفرة ، و عمرانها متصلة و سند العلم بها قائماً . »

وكذلك تناقل الناس أحوال الرخاء المستفيض على مصر في القرنين أنفسهما كتب ابن خلدون قبل قيومه إلى مصر في «أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة . . . » جاء في هذا الفصل قوله : « ويبلغنا لهذا المعهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والغنى في عوائدهم ما (لا) يقضى منه العجب . حتى ان كثيراً من القراء بالغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك ، لما يبلغهم من أن شأن الرفه بمصر أعظم من غيرها .

ويعتقد العامة من الناس أن ذلك لزيادة ايثار في أهل تلك الأفاق على غيرهم ، أو أموال مختزنة لديهم وأنهم أكثر صدقه وایثاراً من جميع أهل الأنصار . وليس كذلك . وإنما هو لما تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الأنصار التي لديك ، فعظمت لذلك أحوالهم . »

ومن المعلوم أن ابن خلدون يعلق اتساع العمران على زيادة عدد السكان واتساع ضروب العمل ونحل المعاش من فلاحة وصناعة وتجارة . وقد ذكر ذلك في فصل « أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرةه » فقال :

« وإذا زخر بعر العمران وطلبت فيه الكلمات كان من جملتها التائق في الصنائع واستجادتها ، فكملت ببعض ممتناها ، وتزايدت صنائع أخرى منها مما تدعى إليه عوائد الترف وأحواله » . ثم يقول : « وقد تخرج (الصناعة) عن العد اذا كان العمران خارجاً عن العد ، كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والسمسر الانسية ويتخيل أشياء من العجائب بايهام قلب الأعيان (أي العقائق الواقمة) وتعليم العداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الأثقال من الحيوان والعبارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالقرب لأن عمران أنصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة أبداً الله عمرانها بالسلمين » .

وقد اجتذب صيت مصر والقاهرة في العلم والتقدم والازدهار مؤلف المقدمة نفسه فكتب حين دخلها يصف أحوالها في كتاب « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » بقلم الأديب المجب : « فرأيت حضرة الدنيا وبستان العالم ومعشر الأمم ومدرج الذرّ من البشر وإيوان الاسلام وكرسي الملك . تلوح القصور والألواني في جوه وتزهر الخوانك والمدارس بأفاقه ، وتنضي البدور والكواكب من علمائه . قد مثل بشاطئ بحر النيل ، نهر الجنة ومدفع مياه السماء ، يسوقهم النهَلَ والمَلَلَ سيحه ، ويجببي إليهم الثمرات والغديرات ثجَه ، ومررت في سكك المدينة تفضي بزحام المارة ، وأسواقها ترخ بالنعم . وما زلتا نُعَدِّث عن هذا البلد ، وبعْدِ مداه في العمران واتساع الأحوال » .

هذا ولقد دخل ابن خلدون القاهرة عام ٧٨٤ هـ في زمن الملك يرقوق أول الملوك البراكسة . ولما خلف الملك الناصر فرج بن يرقوق أباه استصعب ابن خلدون مع فريق من العلماء حين خرج لمحاربة تيمورلنك . واستطاع مؤلف المقدمة أن يفاؤض الطاغية في أرباض دمشق ثم أن يخلص من السير في ركابه فرجع بعد لزي إلى القاهرة .

نذكر ذلك قبل ولادة السيوطى ولكن الأحوال بقيت جيدة على وجه العموم في زمن الملوك البراكسة الذين تداولوا الحكم بعد فرج .

ولئن بدأ الفساد والعنف يدبّان بعض الشيء في زمن دولة البراكسة فقد وقفوا بعزم أمام تيمورلنك عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م ، وما ارتكبه الطاغية من فظائع ، وبقوا أقوىاء أولى باس . قاموا بحملات على آسيا الصغرى وغزوا قبرس في عام ٨٢٧ هـ / ١٤٦٦ م بأسطول بحري صنعت سفنه في ميناء بولاق وكانت هذه الجزيرة وكراً للقراصنة الأوربيين الذين يهددون الملاحة المصرية وأسروا ملكها وأحضاروه ظافرين إلى قلعة القاهرة ومعه تاج قبرس وأعلامها المخدولة « وزينت المدينة سبعة أيام ودخل عسكر الفرنج وهو في زناجر وملكتهم راكم عليه آل العرب ... وفي هذه السنة كملت عمارة السلطان (الملك الأشرف برسبياي الدقماقي) وهي المدرسة الأشرفية التي عند سوق الوراقين . فلما وقعت هذه النصرة وأسر ملك الفرنج في تلك السنة رسم السلطان بأن تعلق خوذة ملك الفرنج على باب هذه المدرسة لتكون تذكاراً له » . وبقيت معلقة على عهد المؤرخ ابن إياس الذي اقتبسنا هذه الفقرة من كتابه « بدائع الزهور » . وقد افتدى قنصل البندقية والتجار الأوربيون ملك قبرس وغداً تابعاً لملك مصر . ثم جاء ابن ملك لقبرس سنة ٨٦٣ هـ إلى القاهرة يطلب إلى سلطانها أذن ذلك سيف الدين اينال « تجريدة » أي نجدة عسكرية فيبعث بها معه إلى الجزيرة ولكنها لم تقم تمام القيام بما عهده إليها فيه . وبقيت قبرس تدفع جزية حتى نهاية دولة البراكسة .

ومن أهم ملوك البراكسة الأشرف قايتباي وهو أيضاً من أطولهم مدة حكم . حكم البلاد نحو تسع وعشرين سنة ونصف السنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م - ٩٠١ هـ /

١٤٩٦ م . ومات وله من العمر ست وثمانون سنة . قضى جلال الدين شطراً كبيراً من حياته في عهده (من سن الثالثة والعشرين إلى الثانية والخمسين) . كان مسلوكاً جركسياً تنقل من سيد إلى آخر حتى أعتقه الملك الظاهر جقمق وارتقي في آخر الأمر إلى أن أصبح القائد الأعلى للجيش في زمن سلفه تمر بما اليوناني . كان يتصرف بالشجاعة والسدل والعزم والنشاط . وقامت في زمانه عدة حروب بينه وبين العثمانيين كان جنوده تنتصر عليهم وتسوق أسراهـ . وقد وصلت جنوده عام ٨٩٥ في زحفها إلى بلاد العثمانيين يأسياً الصفرى واستولت على قيسارية ثم اصطلح الطرفان وتبادلـ الأسرى . وقد أدب العربان الثائرين بنواحي البلاد كما بطش عدة مرات بجنود الفرنج المغزيرين على الشواطئ . كان يتقدـ المدن الكبيرة كالاسكندرية ودمياط والفيوم . وطاف في بلاد الشام وحلب نحو أربعة أشهر وزار مكة وبيت المقدس .

وأعماله أكثر ما كانت في العمارة سواء كان ذلك في مصر أو الشام أو بلاد العرب . منها تجديد عمارة المسجد النبوـي الشريف لما احترق وانشاء قبة عظيمة على القبر الشريف وانشاء مدرسة مطلة على الحرم النبوـي وبنـى مدرسة بمكة المشرفة عند بـاب السلام وعدة رـبوع وأماكن بمـكة أيضاً وأنشـأ مدرسة بـبيـت المقدس ، ومدرسة بـغـربـةـ وـدـكـاكـينـ بـدمـشـقـ ومـدرـسـةـ بـغـزـةـ ومـدرـسـةـ بـشـفـرـ دـمـيـاطـ ومـدرـسـةـ بـشـفـرـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ وـبـرـجـ عـلـيـمـاـكـانـ مـنـارـاـهـ الـقـدـيمـ وـعـدـدـاـ مـنـ الـمـسـاجـدـ أـشـهـرـاـ اـثـنـانـ فـيـ الـقـاهـرـةـ كـمـاـ بـنـىـ «ـوـكـالـاتـ»ـ تـعـتـبـرـ مـنـ أـجـلـ نـمـاذـجـ الزـخـرـفـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـبـنـاءـ الـاسـلـامـيـ وـعـمـلـ كـثـيرـاـ فـيـ إـصـلـاحـ آـثـارـ أـسـلـافـ الـمـتـهـدـةـ . وـمـنـ أـجـلـ ذـكـلـ كـلـهـ كـانـ يـحـتـاجـ إـلـىـ مـالـ فـرـضـ بـعـضـ الـأـنـاوـاتـ وـالـفـرـامـاتـ وـالـفـرـائـبـ وـاـبـتـزـ أـموـالـ الـأـوـقـافـ لـلـانـفـاقـ عـلـىـ حـرـوـبـهـ وـعـمـارـاتـهـ وـاصـلـاحـاتـهـ .

ومن الملوك الجراكسة الذين طال أمـد حـكمـهـ نـسـبـاـ يـذـلـواـ جـهـودـهـ فيـ إـصـلاحـ الـأـخـوـالـ الـمـتـدـاعـيـةـ فـيـ أـوـاـخـرـ عـهـدـ الـدـوـلـةـ الـأـشـرـفـ قـانـصـوـهـ الـغـورـيـ . خـلـفـ سـلـفـهـ العـادـلـ سـيـفـ الدـيـنـ طـوـمـانـ بـايـ الـذـيـ دـامـتـ سـلـطـنـتـهـ نـحوـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ فـقـطـ إـذـ خـرجـ عـلـيـهـ عـدـدـ مـنـ الـأـمـرـاءـ وـالـجـنـدـ فـهـرـبـ وـاخـتـفـيـ . ثـمـ لـمـ لـاـ ظـهـرـ قـتـلـ . وـقـدـ قـبـلـ الـغـورـيـ التـولـيـةـ بـعـدـ إـبـاءـ وـتـرـددـ وـكـانـتـ سـنـهـ تـنـامـزـ السـتـينـ فـعـمـدـ إـلـىـ تـسوـيـةـ الـأـمـورـ الدـاخـلـيـةـ وـتـسـكـينـ الـفـتـنـ وـإـطـفـانـهـاـ وـلـكـنـ أـهـمـ الـأـخـطـارـ كـانـتـ خـارـجـيـةـ .

لقد كانت تجارة مصر مزدهرة ورائجة بين الشرق والغرب ، وبين الهند وأوربة ، وهال الفرينج ولا سيما البرتغاليون ما كانت تجنيه مصر وما كان عملاًوها البنادقة يجنونه من الضرائب والمكوس والأجور المفروضة على المتاجر بين الشرق والهند وأوربة لمورها بأراضي مصر . كانت الطريق البعريبة في الخليج العربي أقصر منها في البحر الأحمر ولكن طريق القوافل من البصرة الى حلب أخطر وأقل أمناً منها خلال مصر . ولما استطاع البرتغاليون أن يكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وجنوب أفريقيا عام ١٤٩٨ م تعول بعض المتاجر اليها فنقتضت واردات مصر تبعاً لذلك . ثم أخذ البرتغاليون يعيشون بالسفن المصرية والشواطئ المصرية كما كانوا يكتسبون بعض أمراء العرب وأمراء الهند من تربطهم بمصر روابط اقتصادية . وخشى السلطان الفوري استفحال هذا الخطير العارجي فصنع عمارات بحرية ساقها في البحر الأحمر بقيادة الأمير حسين الكردي لتأديب البرتغاليين وسحقهم في بحر العرب وشواطئ الهند .

ولكن خطرين آخرين لاحا بهمدان المالك أولهما بروز الدولة الصفوية في فارس بزعيمها الشاه اسماعيل كانت تغير على حلب وأطراف الشام وثانيهما طموح الشمانيين الى توسيعة مملكتهم . وقد ابتلى الشاه اسماعيل بعروب نشبته بينه وبين ملك التتر أذبك خان وانتهت بقتل أذبك ثم حارب السلطان سليم الشماني الشاه اسماعيل وكسره شركسرا . ولما بات الفزو العماني قابقوسين أو أدنى كان المالكين أولى قوة عسكرية لا يأس بها . قام الغوري بأعمال جليلة من شق الطرق وحفر الترع وتحصين السواحل كما وسع قلعة القاهرة وحسن طريق الحجاج الى مكة وبنى مدرسة ومسجدًا وبنى مئذنة للجامع الأزهر وأنشأ طواحين المياه في مصر العتيقة وأصلاح قناة المياه التي تصل الى القلعة . وكان أدبياً وشاعراً ترك ديواناً من الشعر ، وكان يكرم الشعراء والموسيقيين . ولما تقدم جيش العثمانيين ودخل سوريا جهز الفوري حملة قوية زودها بأنواع الأسلحة . وتلاقى الفريقيان في مرج دابق قرب مدينة حلب في رجب عام ٩٢٢ هـ - آب ١٥١٦ م كان النصر أول الأمر حليف المصريين ولكن ما عتم أن انسحبت ميسرة الجيش التي ترعمها خاير بك نائب حلب خياتة منه وثبت السلطان وهو يرى فرار جنده وهو في السادسة والسبعين من عمره فوقع الى

الأرض ووطنته سنايك الخيل . لقد حاول طومان باي آخر الملوك العراكسه أن يحول دون دخول الغزاوة الى القاهرة ولكنها دحر وأسلمه عربان البحيرة الى السلطان سليم فشنق على باب زويلة في المحرم ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م وانتهت دولة العراكسه .

كان المالك من سلاطين وأمراء وجندو على اختلاف مراتبهم وتفاوت أصولهم وتبادر أعراضهم مسلمين . وكانوا يتلقون تربية عسكرية صارمة وتربيه علمية اسلامية دقيقة . وقد اشتهر بعض ملوكهم وأمرائهم وجندوهم بالتفوّق والورع وحب العلم ومحاسنة العلماء واحترامهم . كانوا غرباء عن البلاد ولكنهم كانوا يشعرون بالمسؤولية الضخمة تجاه الوطن الذي تلقاهم ونشأهم وعلّمهم وازاء الدين الذي حررهم وأدّ بهم واعتنقه قلوبهم . فكانوا يدافعون عن الدين والبلاد بحمية كبيرة وحماسة لا نظير لها وبينلدون في سبيل ذلك أرواحهم وما وصل الى أيديهم من مال بطريق التنظيمات الادارية والاقتصادية . وقد خلقت عهود المالك من مساجد وزوايا وخوانق وبمدارس وأمثالها من منشآت دينية ينوهوا وتعهدوا ما يفوق سائر العهود . واشتدى النشاط بمختلف وجوهه العلمي والاقتصادي والصناعي . وتجاوز احترامهم للعلماء الى تربيتهم وتقديمهم في شؤون كثيرة والى استشارتهم في العين بعد العين في شؤون الدولة والاستماع الى شكاياتهم واجابة طلباتهم ، وعلى رأس هؤلاء العلماء القضاة على المذاهب الأربع . فهم مقدمون في الرأي والفتيا . وكان هؤلاء القضاة والعلماء أهلا للتكرير والاحترام . فقد ضربوا أحسن الأمثال في الزهد والورع وطيب السيرة والثبات على الرأي اذا شعروا أنه موافق للشرعية كما كانوا قدوة لأبناء الشعب وملاذأ لهم اذا عصب بهم أمر أو حل بهم حيف . واذا كان سلاطين المالك قد أهملوا الشعب بوجه عام واستأثروا بالسلطة فان أولئك العلماء الذين كانوا من أبناء الشعب قد شاركوا بهذا الاعتبار الى حد ما في الحكم والمشورة والتوجيه والفتوى القاطعة .

وكان العلماء في تلك العهود المضطربة شعروا بما يتهدد التراث الاسلامي من تفرق وضياع وطمس واحراق فهبوا لاحياء حركة علمية جليلة بالتعليم ولا سيما التأليف في شتى الميادين . والعالم في تلك العهود هو المتفق في الدين

واللغة العربية والتراث الاسلامي خاصة . وكان يطلق على الطبيب لفظ العكيم أو الرئيس وعلى طبيب العيون لفظ الكحال وعلى المهندس أحياناً لفظ الشاد” .

واحترام المالكين واهتمامهم باللغة العربية وهي ليست لغتهم الأصلية ناشئاً عن الحاجة الى لغة مبينة تجمع شتاهم وتتجاوز مختلف لهجاتهم . وكانت اللفتان التركية والجركسيّة قاصرتين عن أداء ما يتضمنه ذلك الملك الواسع من حسن ادارة وضبط وراسلات رسمية وقضاء وتشريع . وكانت اللغة العربية لغة أهل العلم بفروعه وميادينه كلها في العالم الاسلامي أجمع .

وقد نشأ في تلك العهود من العلماء كواكب متألقة تجلو دياجير الجهل وتضيء سواد الفتنة، وألفوا من الكتب واختصروا من المطولات وجمعوا من البحوث ما هو ثروة غنية وتالدة للتراث العربي بأنواعه الكثيرة الواسعة .

بل ان المالك أنفسهم قد مثلّم الشعب العربي المصري فدابوا فيه ، وخرج منهم عدا الملوك والأمراء علماء مشهورون ومؤلفون ثقات . من أبرزهم في عصر السيوطي المؤرخ أبو المعاسن يوسف بن تفري بردي ٨١٣ / ١٤١ - ١٤٦٩ / ٨٧٤ . كان أبوه من مالكـ الظاهر بررقـ . ومن أشهر كتبه «النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة» . ومنهم تلميذ السيوطي أبو البركات عمد بن أحد ابن اياس الحنفي ٨٥٢ / ٩٣٠ - ١٥٢٤ / ١٤٤٨ . أبوه أحد كان متصلة بالأمراء ورجال الدولة . وجده اياس الفخرى الظاهري من مالكـ الظاهر بررقـ ورسم «دواداراً ثانية»^(١) في دولة الناصر فرجـ بن بررقـ . ألف أبو البركات كتابه المشهور بتاريخ ابن اياس والمسمى «بدائع الزهور في وقائع الدهور» أحد المراجع المهمة التي اعتمدناها في بحثنا هذا .

ومن قبله اشتهر من بين المالكـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن رجب بن طنبـنا أو طيبـنا الجركسي ٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ مـ - ٨٥٠ هـ / ١٤٤٧ مـ المشهور بابن المجدـي نسبة الى جده المجدـي أحدـ مقدمـي^(٢) الآلـوفـ في جيشـ المالـكـ .

١ - الدواـدـارـ : من يبلغ رسائلـ السـلـطـانـ ويـقـسـمـ اليـهـ المـلـالـمـ وـاـخـيـارـ ويـتـقـنـ المـقـابـلـاتـ السـلـطـانـيـةـ وـيـرـفعـ البرـيدـ الىـ السـلـطـانـ ، وـيـطـبـ توـليـعـهـ عـلـىـ المـاـشـيـرـ وـالـرـسـائـلـ . وـمـعـنـاهـ صـاحـبـ الدـواـدـارـ .

٢ - المـقـنـ : المـرـفـ عـلـىـ عـدـدـ مـنـ الـمـالـكـيـنـ وـالـمـسـؤـلـ عـنـهـمـ .

وهو أعظم العلماء لمصره في الفرائض والحساب والهندسة وعلم الوقت . ولم يصنف كتاباً كثيرة في هذه الشؤون ذكرها السخاوي في كتابه « الضوء الالامع » . بل ان الجلال السيوطي نفسه كانت امه امة تركية ، ذكر ذلك السخاوي لدى ترجمة الجلال في كتابه المذكور .

لقد زخر عصر المماليك بالعلماء ومن المناسب أن نذكر أسماء بعضهم من لا نزال نستند الى كتبهم ونعتمد لها أو ممن تطايرت شهرته في فن من الفنون أو أسلوب من الأساليب . نطوي صفحات عن ذكر العلماء الكبار في مصر الأيوبي وفي عصر المماليك البحرينية ونشير الى طائفة من علماء القرنين التاسع والعشر الهجريين ومن نشأ وعاش في مصر أو زارها في إبانهما .

من هؤلاء المؤرخ ولی الدين عبد الرحمن بن خلدون ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦ / ٨٠٨ صاحب المقدمة والتاريخ المشهورين .

وكمال الدين محمد بن موسى الدميري ٧٤٢ / ١٣٤١ - ٨٠٨ / ١٤٠٥ من أهل القاهرة ومن فقهاء الشافعية . كانت له حلقة خاصة في الأزهر . من كتبه المشهورة « حياة الحيوان » وقد لخصه السيوطي في كتابه « ديوان الحيوان » .

وعلي بن عبد الله الفزولي البهائى الدمشقى توفي عام ٨١٥ / ١٤١٢ عاش وتوفي في دمشق وزار القاهرة مراراً . له كتاب « مطالع البدور في منازل السور » .

وابن الشحنة أبوالوليد محمد بن محمد ٧٤٩ / ١٣٤٨ - ٨١٥ / ١٤١٢ من علماء حلب ولی قضاةها كما ولی القضاة بدمشق والقاهرة . وهو فقيه ومؤرخ وأديب له « روض المناظر في علم الأوائل والأواخر » وابنه أبو الفضل محمد بن محمد ٨٠٤ / ١٤٠٢ - ٨٩٠ / ١٤٨٥ انتقل الى مصر ولی كتابة السر فيها وأضيف اليه قضاة الحنفية وكان من الرؤساء البارزين في أيام الملك الأشرف قايتباى .

ومجدد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ٧٢٩ / ١٣٢٩ - ٨١٧ / ١٤١٥ من أئمة اللغة والأدب ولد بكارزین بفارس . جال في مصر والشام وببلاد الروم والهند ورحل الى زبيد وأقام فيها وهو صاحب « القاموس المعيط » .

وأحمد بن علي الفزارى القلقشندى ثم القاهرى ١٣٥٥/٧٥٦ - ١٣٢١ /٨٢١
١٤١٨ وهو مؤرخ وأديب وبحاثة وهو مؤلف «صحيح الأعشى في صناعة الانشأ».

واللغوى محمد بن أبي بكر المخزومي المعروف بابن الدماميني ١٣٦٢/٧٦٣ -
١٤٢٤/٨٢٢ استوطن القاهرة وهو من تلاميذ ابن خلدون تصدر لقراء
العربى بالأزهر .

وشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري ١٣٥٠/٧٥١ -
١٤٢٩/٨٢٣ شيخ الاقراء في زمانه . ولد ونشأ في دمشق . ولكنه رحل مراجعاً
إلى مصر . أخذته تيمور إلى ما وراء النهر ولما مات تيمور رحل إلى شيراز وتولى
قضاءها وتوفي فيها . وهو صاحب كتاب «النشر في القراءات العشر» و«غايات
النهايات في أسماء رجال القراءات» . ونسبته إلى جزيرة ابن عمر .

وابن حجة العموي أبو بكر بن علي ١٣٦٦/٧٦٧ - ١٤٣٣/٨٢٧ إمام
الأدب في عصره له خزانة الأدب في شرح بدعيية له . وهو من أهل حماة زار
القاهرة والتلقى علماءها واتصل بملوكها

وتقي الدين المقرiziي أحمد بن عني ١٣٦٥/٧٦٦ - ١٤٤٢/٨٤٥ مؤرخ
الديار المصرية . ونسبته إلى حارة المقارزة بيعلبك تحول أبوه إلى القاهرة
حيثولي بعض المناصب في القضاء . ولدونها ومات في القاهرة . أربت مؤلفاته
على مئتي مجلد . منها «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار» و«السلوك
في معرفة دول الملوك» .

وال بشيهي محمد بن أحمد بن عني ١٣٨٨ /٧٩٠ - ١٤٤٨ /٨٥٢ صاحب
«المستطرف في كل فن مستطرف» .

وتقي الدين ابن قاضي شبهة أبو بكر بن أحد ١٣٧٧/٧٧٩ - ١٤٤١/٨٥١
فقىء الشام في عصره ومؤرخها وعالها وابنه اشتهر أيضاً بابن قاضي شبهة
١٣٩٥/٧٩٨ - ١٤٧٠/٨٧٤ فقيء الشام في عصره غير مدافع .

وشهاب الدين أحمد بن علي العسقلانى المعروف بابن حجر ١٣٧٢/٧٧٣ - ١٤٤٩/٨٥٢
أصله من عسقلان بفلسطين وموالده ووفاته بالقاهرة . له « الدرر

الكامنة في أعيان المئة الثامنة » و «لسأن الميزان» و «تقرير التهذيب» و «تهذيب التهذيب» ، من أشهر علماء عصره وأجل ثقاتهم وأكثرهم حفظاً ورواية . وقد اختصر السيوطي الدرر الكامنة في كتابه «المقطط من الدرر الكامنة» .

وأحمد بن محمد المعروف بابن عربشاه ١٣٨٩/٧٩١ - ١٤٥٠/٨٥٤ ولد ونشأ في دمشق . برع في اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية . ذهب إلى سمرقند ثم رحل في أواخر حياته إلى مصر فأقام في الخانقاہ الصالحية إلى أن توفي . له «فاكهة الخلفاء ومحاكمة الظرفاء» و «عجبات المقبور في أخبار تيمور» .

وبدر الدين محمود بن أحمد العيني ١٣٦١/٧٦٢ - ١٤٥١/٨٥٥ أصله من حلب ومولده في عينتاب واليها نسبته . أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس وولي في مصر العسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون وغدا من أخصاء الملك المؤيد سيف الدين شيخ . ولما ولـي الأشرف برسـبـاـي قـرـبـه وـقـدـمـه وـلـازـمـه وـهـوـ مـنـ كـبـارـ المـعـدـثـينـ وـالـمـؤـرـخـينـ .

وجمال الدين محمد بن محمد الفزـالـ الدـمـشـقـيـ الشـهـيرـ بـسـبـطـ المـارـدـينـيـ ٨٢٦ / ١٤٢٣ - ١٤٨٥ فـلـكـيـ كـانـ مـوقـتاـ بـالـجـامـعـ الـأـزـهـرـ بـمـصـرـ وـتـوـفـيـ فـيـهاـ .

ومحمد بن عبد الرحمن السعـاويـ ١٤٢٧/٨٢١ - ١٤٩٧/٩٠٢ المؤـرـخـ العـلـامـ الـأـلـفـ نـعـوـ مـئـيـ كـتـابـ أـشـهـرـهـ «الـضـوءـ الـلـامـعـ فيـ أـعـيـانـ الـقـرـنـ التـاسـعـ» تـرـجمـ فـيـ لـمـاعـصـرـهـ السـيـوطـيـ وـلـنـفـسـهـ وـيـقـعـ الـكـتـابـ فـيـ اـثـنـيـ عـشـرـ جـزـءـاـ وـهـوـ مـرـجـعـ مـهـمـ لـرـجـالـ ذـلـكـ الـعـصـرـ .

ولـاـ بـدـ مـنـ أـنـ يـمـنـ الزـمـانـ فـيـ الـعـصـورـ الـمـضـطـرـبةـ مـنـ كـاتـبـ وـشـاعـرـ فـكـهـ . فـجـاءـ أـبـوـ الـحـسـنـ عـلـيـ بـنـ سـوـلـونـ الـجـرـكـسـيـ الـقـاهـرـيـ ثـمـ الـدـمـشـقـيـ ١٤٠٧/٨١ - ١٤٦٢/٨٦٨ . ولـدـ وـتـلـمـ بـالـقـاهـرةـ . سـلـكـ فـيـ أـكـثـرـ شـعـرـ الـهـلـزـ وـالـفـكـاهـةـ . لـهـ كـتـبـ مـنـهـ «نـزـهـةـ النـفـوسـ وـمـضـحـكـ الـعـبـوـسـ» تـكـشـفـ فـكـاهـاتـهـ عنـ اـبـتسـامـاتـ نـاعـمـةـ .

ويـنبـغـيـ أـنـ تـنـوـهـ بـأـبـيـ بـكـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـعـيـدـرـوـسـ ٩١٤ - ١٤٤٧/٨٥١ - ١٥٠٩ . أـصـلـهـ مـنـ حـضـرـمـوتـ . سـاحـ وـرـأـيـ الـبـنـ فيـ الـيـمـنـ وـاقـتـاتـ بـهـ وـأـعـجـبـهـ فـاتـخـذـهـ قـوـتاـ وـشـراـبـاـ . فـهـوـ مـبـتـكـ الـقـهـوةـ الـتـيـ اـنـشـرـتـ فـيـ الـيـمـنـ وـالـعـجـازـ وـالـشـامـ .

ومصر ثم في العالم كله . ومن المناسب أن يحتفل متذوقو الفتوحه ومعبوها عالمياً بمرور خمسماهه سنة هجرية على ذكرى وفاته في العام الهجري المقبل .

ولا ننسـ شيخ الاسلام في ذلك العصر والقاضي المفزيه زين الدين ابا يحيى ذكريـا بن محمد بن محمد الانصارـي المصريـي المـصريـي ١٤٢٢ـ ٨٢٦ / ٩٦٦ - ١٥٢٠ . عاصر جملة من سلاطين الدولـة الجركـسـية حتى شهد مـصرـع دولـتهمـ علىـ ايـديـ العـشـانـيـنـ . وكان السـلطـانـ خـشـقـدـمـ عـرـضـ عـلـيـهـ منـصـبـ القـضـاءـ الـاـكـبـرـ فـايـ . ولـا ولـيـ الـاـشـرـفـ قـاـيـتـيـاـيـ قـلـدـهـ هـذـاـ المـنـصـبـ فـقـبـلـهـ بـعـدـ تـمـنـعـ وـتـابـ إـلـاحـ . فـمـارـسـ بـنـزاـهـةـ وـكـفـاـيـةـ وـدـرـاـيـةـ وـتـقوـىـ وـلـبـثـ فـيـ هـذـاـ المـنـصـبـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ تـبـلـغـ زـاهـ عـشـرـيـنـ سـنـةـ .

وقد وقـتـ فيـ زـمـنـهـ فـتـنـةـ اـبـنـ الـفـارـضـ عـامـ ٨٧٥ـ هـ ، اـذـ انـقـسـ العـلـمـاءـ فـيـهاـ فـرـيقـيـنـ : فـرـيقـ كـفـرـهـ بـمـاـ فـرـطـ فـيـ بـعـضـ شـعـرـهـ مـنـ الـفـاظـ تـوـهـ الـحـلـولـ اوـ نـعـوـهـ وـفـرـيقـ يـؤـولـ كـلـامـهـ وـيـدـافـعـ عـنـهـ ، وـقـدـ اـسـتـشـرـتـ الـفـتـنـةـ وـتـطاـيـرـ شـرـرـهاـ حـتـىـ كـتـبـتـ فـتـنـىـ فـيـهاـ وـدـفـتـ الـشـيـخـ الـأـنـصـارـيـ فـأـفـتـىـ فـيـهاـ بـاـيـمانـ اـبـنـ الـفـارـضـ وـاعـتـدـرـ لـهـ بـعـجـزـ اللـفـةـ عـنـ بـلوـغـ مـعـانـيـهـ فـسـكـتـ الـفـتـنـةـ وـسـكـنـ ثـائـرـهـاـ .

هـذـاـ وـقـدـ اـشـرـكـ السـيـوطـيـ فـيـ فـتـنـةـ اـبـنـ الـفـارـضـ وـكـانـ مـنـ الـمـادـفـعـيـنـ عـنـهـ ، وـالـّـفـ فـيـ ذـلـكـ كـتـابـاـ سـيـاهـ «ـقـمـعـ الـمـارـضـ فـيـ الرـدـ عـنـ اـبـنـ الـفـارـضـ»ـ .

وـلـمـ يـكـنـ مـاـ أـورـدـنـاهـ مـنـ أـسـماءـ الـلـعـمـاءـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ العـاـفـلـ إـلـاـ قـلـيلـاـ مـنـ كـثـيرـ وـبـرـضاـ مـنـ عـدـ ، فـلـقـدـ كـانـ هـنـالـكـ تـسـابـقـ نـعـوـ مـنـاهـلـ الـعـلـمـ اـذـ هـوـ تـبـعـدـ هـنـاءـ وـتـقـرـبـ مـنـ جـلـالـهـ وـنـعـاجـهـ فـيـ الدـارـيـنـ . وـكـتـبـ الـطـبـقـاتـ مـشـحـونـةـ بـاسـمـاءـ الـلـعـمـاءـ فـيـ كـلـ مـيـدانـ . وـكـلـ مـيـسـرـ لـمـاـ خـلـقـ لـهـ .

كانـ الـلـعـمـاءـ فـيـ دـوـلـةـ الـمـالـيـكـ الـقـلـبـ الـخـافـقـ وـالـعـقـلـ الـمـدـرـكـ وـأـهـلـ الـمـشـورـةـ وـالـحـلـقـةـ الـفـاـصـلـةـ وـالـوـاـصـلـةـ بـيـنـ الـمـلـوـكـ وـالـأـمـرـاءـ وـالـشـعـبـ الـطـيـبـ الـدـائـيـ . وـكـماـ الـّـفـ الـلـعـمـاءـ الـكـتـبـ لـلـنـاشـئـةـ وـالـتـعـلـمـيـنـ فـيـ مـخـتـلـفـ مـيـادـيـنـ الـعـرـفـ وـالـعـلـمـ اـذـ ذـاكـ ، كـذـلـكـ نـهـضـ أـدـبـاءـ شـعـبـيـوـنـ بـيـنـ الـقـرـنـيـنـ الـسـادـسـ وـالـثـامـنـ لـلـهـجـةـ أـيـ قـبـيلـ دـوـلـةـ الـمـالـيـكـ فـكـتـبـواـ لـجـامـيـرـ الشـعـبـ قـصـصـاـ وـحـكـاـيـاتـ مـطـوـلـةـ صـورـواـ فـيـاـ أـمـانـيـ الـشـعـبـ وـنـزـعـاتـهـ وـمـطـامـعـ أـخـيـلـتـهـ كـمـاـ رـسـمـواـ صـورـاـ مـنـ حـيـاتـ الـيـوـمـيـةـ رـمـزـيـةـ

أو واقعية . وقد أغفل هؤلاء المؤلفون أسماءهم . وكل منهم قد أخذ أعمال سلفه وزاد عليها في الرواية والنقل والكتابة . وكان للحروب الصليبية والفارات التترية أثر ظاهر في إنشاء تلك العكايات والقصص إذ أرسخت في القلوب الإيمان وألهبت الحماسة الدينية إزاء تلك الفارات والعرب فعملت القصاص والقوال على رواية تلك القصاص وحكاية تلك الأقوال حتى على الصبر والبطولة والشجاعة والاستشهاد كما في قصص سيف ذي يزن والأميرة ذات الهمة وفيروز شاه ، وسيرة الملك الظاهر . ووقع حكم المالك بين القرن الثامن والعشر للهجرة . وقد اطمأن الناس بعض الشيء بعد دحر الصليبيين والتتر وازدهار الصناعة والتجارة في مصر فتغير اتجاه القصاص والعواكيات إلى تصوير أحوال التجار وجمع الثروة ورسم أنواع العigel والشمعة والسرع وما إلى ذلك . وللاقتراب من أذواق الجماهير وأفهامهم كان المؤلفون والقصاصين يعتمدون اللغة الدارجة غالباً والمبتدلة أحياناً وهذا ما جعل العلماء والمتقدفين يتذمرون إلى تلك القصاص نظرة ازدراء واستخفاف لأنها كانت خلواً من القيمة الأدبية التي كان يحرص عليها رجال الأدب واللغة الحقيقيون . ولكن الاهتمام العالي بقضايا الشعب وتصوراته وميوله وما يعلم به أصبح متعارفاً ومتداولاً في العصر الحاضر . ومن المعروف أن كتاب «الف ليلة وليلة» قديم . وهو يتألف من قصص تجمعت بتوالي الأجيال مساترجموه أو وضعوه . وله أصل تُقلِّل أول الأمر عن الفارسية قبل القرن الرابع الهجري ثم تداوله الناس ووسعوه وبدلوه فيه حتى وصل اليينا بنسخه المتعارفة . وأغلبظن أن جمعه والإضافات الأخيرة على الصورة التي وصلت اليانا قد تمت في القرن العاشر للهجرة أي في زمن دولة المالك الجراكسة فيه اشارة إلى شرب القهوة وفيه اشارة إلى بعض العكام المتأخرین من المالكين كما فيه وصف لبعض خانات مصر التي كان ينزلها التجار في القرن التاسع وبعض معالمها كخان مسحور وباب زويه وغيرها من الأماكن وفيه أيضاً تصوير لمعاملات التجار وحياتهم وحياة أفراد الشعب وعرض لمباحث القاهرة إذ ذاك ، حتى ان أسلوب الكتابة في الأجزاء المضافة تشبه الكتابة العربية في المصور المتأخرة .

يتعدد التاجر البغدادي في قصة الأحدب من كتاب الف ليلة وليلة حين دخل مصر عن المصروف التي مر بها فيقول :

« فدخلت مصر وأنزلت القماش في خان مسحور وفككت أحمالى وأدخلتها
وأعطيت الخامد دراهم ليشتري لنا بهاشينا ناكله ونمت قليلاً . فلما قمت ذهبت
إلى بين القصرين ثم رجعت و بت ليلتي . فلما أصبحت فتحت رزمه من القماش
وقلت في نفسي : أقوم لأشق بعض الأسواق وأنظر الحال ، فأخذت بعض القماش
و حملته لبعض غلمانى و سرت حتى وصلت قيسارية جرجس فاستقبلنى
السماسرة — وكانوا قد علموا بمجيئي — فأخذوا مني القماش و نادوا عليه فلم
يبلغ ثنه رأس ماله . فقال لي شيخ الدلالين : ياسيدى ! أنا أعرف لك شيئاً تستفيد به ،
و هو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتباع متجرك إلى مدة معلومة بكاتب و شاهد
وصيفي و تأخذ ما يتعصل من ذلك في كل يوم خميس واثنين ، فتكسب الدرام
كل درهم اثنين ، و زيادة على ذلك تتفرج على مصر و نيلها . فقلت : هذارأى
سديد . فأخذت معى الدلالين و ذهبت إلى الخان فأخذوا القماش إلى التيسيرية فبعته
للتجار و كتبت عليهم وثيقة إلى الصيفي وأخذت عليه وثيقة بذلك و رجعت إلى
الخان وأقمت أياماً كل يوم أفتر على قدر من الشراب وأحضر اللحم
الضاني والحلويات حتى دخل الشهر الذي استحقت فيه العجایة فبقيت كل خميس
واثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيفي والكاتب فيجيئان بالدرام من
التجار و يأتيان بها إلى أن دخلت العام يوماً من الأيام و خرجت إلى الخان ودخلت
موضعى وأفترت على قدر من الشراب ثم نمت وانتبهت فاكتلت دجاجة وتعطرت
و ذهبت إلى دكان تاجر يقال له بدر الدين البستاني . فلما رأني رحب بي و تحدث
معي ساعة في دكانه . فبيتمنا نحن كذلك اذا بأمرأة جاءت و قعدت بجانبى وعليها
عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلى بحسنها وجمالها ٠٠٠ »

كذلك نقرأ في ليلة ٨٢٦ من ذلك الكتاب وصفاً لأحد بساطتين القاهرة « فيه
ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وهو مشيد الأرkan ، رفيع البنيان ، له باب
مقنطر كأنه ايوان وباب سماوي يشبه أبواب الجنان وبوابه اسمه رضوان وفوقه
مئة مكعب عنبر من سائر الألوان ، الأحمر كأنه مرجان ، والأسود كأنه أنوف
السودان ، والأبيض كأنه بيض الحمام ، وفيه الغوخ والرمان والكمثرى والبرقوق
والتفاح كل الأنسواع مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان ٠٠٠ » ونجد في
الليالي التالية وصفاً لأنواع الفاكهة والأشجار فيه ولصنوف الطيور وللواوين

فيه وملأ هذه اللواوين(*) من أثاث بديع وللحفلات والولائم ومجالس اللهو التي تتعقد في أبيهاها وزواياها وأججنتها . ولا شك أن الوصف هو ما كان يشاهده أبناء الشعب ويتصورونه أو يتخيلونه بالاستناد إلى ما يرونوه وإلى ما يزاولونه من أمور ومرافق .

يدل وصف البستان على التقدم الكبير الذي كانت عليه الفلاحة في وادي النيل . ولا غرو في ذلك فان خصب تربة الوادي شهر في مختلف الأزمنة على الرغم من شح النيل في بعض السنين وحصول المجاعات ، وعلى الرغم من أحوال الفلاحين السيئة في خلال عهود المالكية .

ثم ان ما كان يجري من معاملات تجارية كما رأينا في خان مسرور وهو أحد الغانات ينمّ على ازدهار التجارة بين البلاد العربية بالإضافة الى ما سبق ذكره في عهد الأشرف قايتباي وعهد الأشرف قانصوه الغوري من مكانة التجارة وحركتها المشتدة بين الشرق والغرب قبل الكشف عن طريق جنوب افريقيا .

ومن المناسب أن نعود هنا ونؤكّد هذا الازدهار الذي كان سبباً لتجمّع الثروات في عهد المالكية . فلقد تحكم السلاطين في أيام أصناف معينة واحتكرّوا التجارة بها مثل السكر والنفل والأخشاب والعرير وجوز الطيب والقرنفل وبعض المنتوجات المدنية . كانت حمولة الفلفل التي يبلغ ثمنها في القاهرة خمسين ديناراً تباع أحياناً في الاسكندرية للتجار الأوروبيين بـ مئة وثلاثين ديناراً وفقاً لقوانين الحكومة . كان طريق التجارة اذن مصدرأ هاماً لشروع البلاد . وقد فرضت الدولة رسوماً نقدية على كل بضاعة شرقية تصل من الخليج العربي أو البحر الأحمر لنقلها إلى البصرة أو السويس ثم إلى ميناء الاسكندرية أو الاسكندرية من أجل شحنها إلى البندقية . كان المالكية محتركين أكثر تجارة الهند جميعها مع بلاد الشرق وكانت البندقية عميلاً لهم الكبير في أوروبا . هذا وكان الطريق في الخليج العربي أقصر منه في البحر الأحمر، غير أن طريق القوافل من البصرة إلى حلب كان أخطر من الرحلة القصيرة في ربوع مصر ، كما أشرنا آنفاً إلى ذلك .

ولم تكن الدولة وحدها المستفيدة من هذه التجارة . كان التاجر القاهري يستورد بضائع من الهند وجزر البهار أو يشتريها من التجار الهنود في موانئ

(*) المليون تعريف الايون .

البحر الأحمر ويكسب هو أيضاً مبالغ طائلة . وكان كثير من التجار المصريين في بعبوحة واسعة من العيش ويسار بليغ هانىء . يومئذ إلى ذلك بعض العكایات في ألف ليلة وليلة .

ومن الطبيعي أن تزدهر الصناعات والفنون المختلفة إلى جانب ازدهار التجارة وتقديمها . ولبيان ذلك نعتمد كتاب «فنون الإسلام» للدكتور زكي محمد حسن فهو المختص بهذا الشأن . وما نورده هنا خلاصات لبعض ما جاء في هذا الكتاب . ولا تعدم هذه منفائدة .

ان عصر دولتي الماليك بين عامي ٦٤٨ - ٩٢٣ (١٢٥٠ - ١٥٨٠) هو العصر الذهبي في تاريخ العمارة الإسلامية في مصر . كان الاقبال عظيماً على تشيد العمائر من جوامع ومدارس وضرائج وحمامات ووكالات وسبل(*) . كما ظهر التنوع والاتقان والأناقة في شتى العناصر المعمارية من واجهات ومنارات وقباب وزخارف جصية ورخامية . (ج ٣ من ٧١) .

ولم يكن أمراء الماليك ليهدأ لهم بال أو تطمئن بهم حال مالم يبنوا مسجداً أو مدرسة أو ضريحاً ينهض دليلاً على تقواهم . فتنافسوا في بناء المساجد والخوانق والزوايا والمدارس والمارستانات .

وكانت المساجد تحتوي على واجهات جميلة ونقوش غائرة وأبواب جانبية وأفاريز مزخرفة . وكذلك تطورت المآذن التي أصبحت أكثر رونقاً وجمالاً كما غدت تبني بعجارة جميلة الشكل وزخارف دقيقة ، وازداد الاهتمام ببناء القباب الكبيرة بعد أن كان أكثرها صغيراً . والماليك هم سادة بناء القباب وبعض قبائهم مقطعي بزخارف هندسية ونقوش عربية ورسوم بدئمة . واهتموا كل الاهتمام بصناعة المنابر وزخرفتها ونقوشها .

كذلك ذاع بناء المدافن الكبيرة في عصر الماليك . وهي تتباين في تصمييمها وتشبه في كثير من العناصر المعمارية ما عرفه القوم من الضرائح في بلاد تركستان . ولكن ارتقى تصمييمها في مصر وتطور بناؤها . وفي القاهرة مجموعة جيدة من هذه الضرائح تعرف خطأ باسم قبور الخلفاء . والحق أنها ضرائح الماليك . ولعل أبدعها مدفن خانقاہ برقوم ومدفن قايتباي ومدفن

(*) السبيل بناء صغير فيه مجرى ماء نقى للشرب والوضوء وال العامة تجمع السبيل على اسبلة والفرج على اضحة .

بارسيبي (ص ٧٧) . وفي كتاب فنون الاسلام وصف بديع لمدفن قايتباي يجدد
الرجوع اليه . كذلك اهتم المالكية المراكسة بعمارة القصور . ومن أشهرها
قصر الأمير قوصون خلف مدرسة السلطان حسن وهو يرجع الى القرن الثامن .
وعمارة الوكالات . ومن أشهرها وكالة قايتباي بباب النصر .

وازدهرت في عصر المالكية صناعة الشبكيات من الخشب المخروط . وهي
التي تعرف باسم مشربية ولعلها تحرير مشرفة بمعنى غرفة عالية أو لعلها مشربة
بمعنى المكان الذي يشرب فيه لأن المشربيات كانت تتغذى في واجهات البيوت
لتلطيف النور وادخال النسم العليل وتمكين أهل الدار من رؤية من بالخارج
دون أن يكون المكس ممكنا . هذه المشربيات يصنع فيها خارجات صفيرة مستديرة
أو مشمنة تركب خارج المشربية وتوضع فيها القلل لتبریدها (ص ٤٠) .

وازدهرت صناعة الرخام والجص في مصر في هذا العصر . وكانت الزخارف
المحفورة في الجص والرخام في العمائر المختلفة تشهد بابداع الفنانين في الرسوم
النباتية الدقيقة فضلا عن الرسوم الهندسية المختلفة .

كذلك تطور فن الفسيفساء في الحضارة العربية الاسلامية . لنرجع قريونا في
تاريخ هذه الحضارة نجد أن أبدع ما وصل اليانا من الفسيفساء فسيفساء قبة
الصخرة في القدس الشريف وفسيفساء الجامع الاموي في دمشق . ولا نريد هنا
بيان تطور هذا الفن الدقيق ولكننا نريد أن نشير الى أن نوعا آخر من هذا الفن
ازدهر في عصر المالكية وهو الفسيفساء المصنوعة من المكعبات الصغيرة من الرخام .
وكان أكثر استعماله في المحاريب والوزرات بالمساجد ، كما تصنع منه الفسقينات
والأحواض فضلا عن استعماله في زخرفة الأرض وما الى ذلك . من أشهرها حوض
يرجع الى العصر المملوكي تسلل الى متحف فكتوريَا وألبرت في لندن
(ص ٦٥٤) .

وقد ازدهر فن الحفر على الخشب في مصر والشام . ولا بد حين نذكر هذا
الفن من أن نرجع قليلا في الزمان الى العصر الايوبي وننه بالتعجب الفنية التي
أمر الأمير نور الدين محمود بن زنكي بصنعها سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩)
وهي منبر الجامع الأقصى وقد نقله بعد وفاته صلاح الدين الى بيت المقدس .

وعلى هذا المنبر أسماء صناع عدة ، منهم سليمان بن معالي . ويعرف الناس في الوقت العاضر جريمة احراق هذه التحفة تحت بصر الصهاينة وسمّعهم وبایعازهم الغفي .

على أنه من المنابر الهامة في القرن التاسع الهجري (١٥ م) منبر المدرسة الفخرية بالقاهرة ، (صفة المدرسة نسبة الى الأمير فخر الدين عبد الفتى الأرمني الأصل) ، ومنبر مسجد المؤيد شيخ ، ومنبر المدرسة الباسطية (النسبة الى القاضي عبد الباسط) ومنبر مدرسة الأشرف برسباي ، ومنبر مدرسة قايتباي بالقرافة الشرقية ومنبر مسجد سلطان شاه (الاضافة الى الأمير سلطان شاه بن قرا ، وهو المنبر الذي أمر بعمليه السلطان قايتباي بعد سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥) حين جدد بناء هذا المسجد ووسعه . وقد تسرّب هذا المنبر الى المتحف البريطاني حيث يرى هناك حتى اليوم ، ومنبر مدرسة أبي بكر مزهر (المزهرية) ، ومنبر مدرسة قجماس الاسعافي .

وأقبل الصناع في هذا المصير على صناعة صناديق من الخشب لحفظ المصحف الشريف كانت تصفع بالنحاس وتزيين بالكتابات والنقوش والفرش التبالية المكففة بالفضة والذهب (ص ٥٥٩) .

وبلفت صناعة التحف الزجاجية الاسلامية أوجهها في الشام ومصر فيما بين القرنين السادس والتاسع للهجرة (١٢ - ١٥ م) برعاية السلاطين الأيوبيين والمالكين . وكان فخر هذه الصناعة تزيين التحف بالزخارف المذهبة والموهنة بالميناء (ص ٥٥٩) . وأبدع ما وصل اليه صناع الزجاج المسلمين يتجلّى في المشكاوات المohoة بالميناء والمشكاوات هي أغطية مصابيح لاضاءة المساجد والقصور والأبهاء . وبعض المشكاوات ذو ثروة زخرفية عجيبة تتجلّى في الرسم النباتية التي تغطي السطح كله أو جزءاً كبيراً منه . وقد تكون الزخرفة كتابات معظمهما آيات قرآنية كريمة أو عبارات تاريخية أو دعائية مكتوبة بخط النسخ الملوكي . ومن أمثلتها « الله نور السموات والأرض مثّل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يُوقَد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يقاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء » .

ومن المعروف أن المسلمين افتنوا افتناً كبيراً بعرف الأبجدية العربية وافتنتوا افتناً بارعاً في كتابتها وتنسيقها وخلعوا عليها جمالاً حسياً وروحاً ملماً وجعلوا من الخط فناً بدرياً لتزيين معاريب المساجد والأسلحة والأوانى والسباد والمصاحف ودواوين الشعراء والقناديل ومشكلاوات المساجد .

كذلك استعمل الزجاج على يد المسلمين ولا سيما في الشام ومصر فيما يسمونه القماري والشمسيات . وهي تواقد صغيرة من الجص المفرغ تسد فتحاته بزجاج ملون وتزيين هذه الفتحات زخارف إسلامية من فروع نباتية أو رسوم خطية أو كتابات والمقصود غالباً لهذه التواقد تخفيف حدة الضوء .

وقدماً الأقبال على صناعة التعف المعدنية عظيماً في عصر المماليك . وبقي من هذا العصر أبواب وشماوع وكراسي وصناديق ومقاعد وأثاثة وغير ذلك مما استعمل فيه مختلف الأساليب الفنية في صناعة المعدن من حفر وتكفيت وتخريم (ص ٥٥١) وازدهرت صناعة التكفيت وهي التطعيم بالفضة والذهب . وقامت في البداية على أيدي فنانين من الموصل نزحوا إلى حلب ودمشق والقاهرة ثم نبغ فيها صناع من المصريين أنفسهم ثم انتقلت هذه الصناعة وغيرها إلى أوربة .

وفي خطط المقرizi وصف دقيق وشائق لسوق الكفتين إلى جانب الأسواق الأخرى ولأصناف السلع المكفتة التي لا تكاد تخلو دار بالقاهرة من عدد لا يأس به منها ولا سيما النعاسية . وكذلك كانت الأواني والأسرة والتعف المكفتة الشمينة ترافق جهاز العروس في زفافها ولا سيما إذا كانت من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب وأمثال التجار .

في هذا العصر الشري يامال الزاخر بالعلماء الضطرب بالأحداث وبين زحمة العلماء في كل فن وعلم ولد ونشأ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . كان أبوه فقيها على مذهب الشافعى ، بارعاً في الأصول والكلام والنحو والبلاغة . درس الفقه بالجامع الطولوني . وتوفي عام ٨٥٥ هـ وسن ابنه إذ ذاك خمس سنين وسبعة أشهر . فأشرف على تربيته وتعليميه صديق لأبيه صوفي . وأولع هذا الفتى اليتيم بطلب العلم فأخذ على نحو مئة وخمسين شيئاً في مختلف العلوم وأكب على البحث والتنقيب في بطون الكتب حتى صار نابفة العصر وشفف بالتأليف

والجمع والاختصار حتى غدا ألغز علماء عصره إنتاجاً . قال عنه تلميذه المؤرخ ابن إياس في حوادث ٩١١ هـ : « كان عالماً فاضلاً بارعاً في الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم . وكان كثير الأطلاع ، نادرة في عصره ، بقية السلف وعمة الخلف . بلفت عدة مصنفاته نحواً من ستمائة تأليف وكان في درجة المجتهدين في العلم والعمل . »

ولعله من الأفضل أن نترك الآن للسيوطى نفسه أن يحدثنا عن سيرة حياته العلمية الفائقة إذ يرويها في كتابه « حسن المعاشرة » .

* * *

ترجمة مؤلف هذا الكتاب عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطى .

وانما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداءً بالمحدثين قبلي ، فقلَّ أن الف أحد منهم تاريجاً الا وذكر ترجمته فيه؛ ومنم وقع له ذلك الإمام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور ، وياقوت العموي في معجم الأدباء ، ولسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة ، والحافظ تقى الدين الفارسي في تاريخ مكة ، والحافظ أبو الفضل بن حجر في قضاة مصر ، وأبو شامة في الروضتين ؛ وهو أورعهم وأزدهرهم ، فأقول :

اما جدي الأعلى همام الدين فكان من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطريق ، وسيأتي ذكره في قسم الصوفية ، ومن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة ؛ منهم من ولِيَ الحكم بيده ، ومنهم من ولِيَ الحسبة بها ، ومنهم منْ كان تاجراً في صحبة الأمير شيخون ، وبنى مدرسة بأسيوط ، ووقف عليها أوقافاً ، ومنهم منْ كان متولاً ، ولا أعرف منهم من خدم العلم حق الخدمة الا والدي ، وسيأتي ذكره في قسم الفقهاء الشافعية .

واما نسبتنا بالخضيري ، فلا أعلم ما تكون اليه هذه النسبة الا الخضيرية ، محللة ببغداد ؛ وقد حدثني من أثق به، أنه سمع والدي رحمة الله تعالى يذكر أن

جده الأعلى كان أعمىً أو من الشرق ؛ فالظاهر أن النسبة الأولى المذكورة ، وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ٠

وحلت في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجنوب ، رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي ، فبرك علىَّ ، ونشأت يتيمًا ، فحفظت القرآن ولقي دون ثمانين سنين ثم حفظت العمدة ، ومنهاج الفقه والأصول ، والفتية ابن مالك ؛ وشرعت في الاشتغال بالعلم ، من مستهل سنة أربعين وستين ، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضي زمانه الشيخ شهاب الدين الشار مساحي الذي كان يقال إنه بلغ السن العالمية وجاز المائة بكثير ، والله أعلم بذلك ؛ قرأت عليه في شرحه على المجموع ، وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين ٠

وقد ألتقت في هذه السنة ، فكان أول شيء ألتقته شرح الاستعارة والبسملة ، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البُلْقيني ، فكتب عليه تقريرًا ، ولازمه في الفقه إلى أن مات ؛ فلما مات وله ، فقرأت عليه من أول التدريب لوالده إلى الوكالة وسمعت عليه من أول العاوى الصغير إلى العدد ، ومن أول المنهاج إلى الزكاة ، ومن أول التنبيه إلى قريب من باب الزكاة ، وقطعة من الروضة من باب القضاء ، وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى ؛ ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها ٠ وأجازني بالتدريس والافتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديري ٠

فلما توفي سنة ثمان وسبعين لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوي ٠ فقرأت عليه قطعة من المنهاج ، وسمعته عليه في التقسيم الا مجالس فاتتني ، وسمعت دروساً من شرح البهجة ، ومن حاشية عليها ومن تفسير البيضاوى ٠

ولزمت في الحديث والحديث شيخنا الإمام العلامة تقى الدين الشبلى العنفى ، فواظبته أربع سنين ، وكتب لي تقريرًا على شرح الفتية ابن مالك وعلى جمع الجواب في العربية تاليفي ، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبناه ، ورجع إلى قوله مجددًا في حديث ؛ فإنه أورد في حاشيته على الشفاء حديث أبي الجمرا في الأسراء ؛ وعزاه إلى تخریج ابن ماجه ، فاحتاجت إلى ايراده بسنته ، فكشفت

ابن ماجه في مظنته ، فلم أجده ، فمررت على الكتاب كله ، فلم أجده ، فاتهمت نظري ، فمررتمرة ثانية فلم أجده ، فعدت ثلاثة فلم أجده ! ورأيته في معجم الصحابة لابن قانع ، فجئت إلى الشيخ وأخبرته ، فبمجرد ما سمع مني ذلك أخذ نسخته ، وأخذ القلم فضرب على لفظ ابن ماجه ، وألعق ابن قانع في العاشرية ؛ فأعظمت ذلك وهبته لضم منزلة الشيخ في قلبي ، واحتقاري في نفسي ، فقلت : لا تصبرون ، لملكم ترجمون ! فقال : لا ، إنماقلدت في قولِي ابن ماجة البرهان العلبي . ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات .

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيي الدين الكافييجي أربع عشرة سنة ؛ فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والمرية والمعاني وغير ذلك ؛ وكتب لي أجازة عظيمة .

وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروساً عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه ، وتلخيص المفتاح ، والعَقْدُ .

وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين ، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثة كتاب سوى ما غسلته ورجمت عنه .

واسفرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والعجاز والمدين والهند والمغرب والذكر ، ولما حججت شربت من ماء زرم ، لأمور منها أن أصل في الفقه إلى الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة العالِفِ ابن حجر .

وافتت من مستهل سنة احدى وسبعين .

وعقدت إماء الحديث من مستهل سنـة اثنتين وسبعين ..

ورزقت التبهر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبدایع ؛ على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة . والذي أعتقد أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقل التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشيائي ؛ فضلاً عنـه هو دونهم ، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخني فيه أوسع نظراً وأطول باعاً ؛ ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الانشاء والترسل والفرائض .. ودونها القراءات ، ولم

أخذها عن شيخ ، ودونها الطبع ، وأما علم الحساب فهو أصغر شيء على وأبعده عن ذهني ؛ وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكانما أحاول جيلاً أحمله .

وقد كَمِلْتُ عندي الآن آلاف الاجتهاد بحمد الله تعالى ؛ أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فغراً ؛ وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تعصيّلها بالغرض ، وقد أزف الرحيل ، وبذا الشيب ، وذهب أطيب العمر ! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبيها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرٍ على ذلك من فضل الله لا بحولي ولا بقوتي ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ، ثم القى الله كراحته في قلبي . وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتعريمه فتركته لذلك ، فهوَ ضنبي الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم .

وأما مشايفي في الرواية سمعاً وإجازة فكثير ؛ أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه ، وعِدَّتهم نحو مائة وخمسين؛ ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغاله بما هو أهم وهو قراءة الدراءية .

وهذه أسماء مصنفاتي ل تستفاد :

فن التفسير وتعلقاته والقراءات : الاتقان في علوم القرآن ، الدر المنشور في التفسير المأثور . ترجمان القرآن في التفسير . المسند ، أسرار التنزيل يسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار ، لباب النقول في أسباب النزول ، مفحمات القرآن في مبهمات القرآن ، المذهب فيما وقع في القرآن من المَرَبْ ، الاكليل في استنباط التنزيل ، تكميلة تفسير الشيخ جلال الدين المعلوي ، التعبير في علوم التفسير ، حاشية على تفسير البيضاوي ، تناسق الدرر في تناسب السور ، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، مجمع البحرين ومطلع البدريين في التفسير ، مفاتيح الغيب في التفسير ، الأزهار الفائحة على الفاتحة ، شرح الاستعازة والبسملة ، الكلام على أول الفتح ، وهو تصدیر القيمة لما باشرت التدريس بجامعة شيخون بحضور شيخنا البُلْقَنِي ، شرح الشاطبية ، الألفية في القراءات العشر ، خمائل الزهر في فضائل السور ، فتح الجليل للعبد الذليل في الأنواع البدعية

المستخرجة من قوله تعالى : (اَللّٰهُ وَلِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) الآية ، وعدتها مائة وعشرون نوعاً ، القول الفصيح في تعين النديع، اليد البسطى في الصلاة الوسطى، معترك الأقران في مشترك القرآن .

فن الحديث وتعلقاته : كشف المغطى في شرح الموطأ ، اسعاف المبطأ برجان الموطا ، التوسيع على الجامع الصحيح ، الدبياج على صحيح مسلم بن العجاج ، مرقة الصعود الى سن أبي داود ، شرح ابن ماجه ، تدريب الرواوي في شرح تقريب النووي ، شرح الفية العراقي ، الألفية وتسمي نظم الدرر في علم الأثر وشرحها يسمى قطر الدرر ، التهذيب في الزوائد على التقريب ، عين الاصابة في معرفة الصعاية ، كشف التلبيس عن قلب أهل التدليس ، توضيح المدرك في تصحيح المستدرك ، اللآلئ ، المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، النكت البدائيات على الموضوعات ، الدليل على القول المسدد ، القول العسن في الندب عن السنن ، لب الباب في تعرير الأنساب ، تقريب العزيز ، المدرج الى المدرج ، تذكرة المؤسسي بن حدث ونبي ، تحفة النابه بتلخيص المشايخ ، الروض المكمل والورد المعلم في المصطلح ، منتهي الآمال في شرح حديث انما الأعمال ، العجزات والخصائص النبوية ، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، البدور السافرة عن أمور الآخرة ، ما رواه الوعاعون في أخبار الطاعون ، فضل موت الأولاد ، خصائص يوم الجمعة ، منهاج السنة ، ومفتاح الجنۃ ، تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لقلل الفرش ، بزوج الهلال في الخصال الموجبة للظلال ، منتاح الجنۃ في الاعتصام بالسنة ، مطلع البدرين فيمن يوتى أجرين ، سهام الاصابة في الدعوات المجابة ، الكلم الطيب ، القول المختار في المتأثر من الدعوات والأذكار ، أذكار الأذكار ، الطبل النبوی ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، الفوائد الكامنة في ايمان السيدة آمنة ، ويسمى أيضاً التعظيم والمنة في أن أبوی النبي في الجنۃ ، المسلسلات الكبرى ، جياد المسلسلات ، أبواب السعادة في أسباب الشهادة ، أخبار الملائكة ، الثبور الباسمة في مناقب السيدة آمنة ، مناهج الصفا في تغريج أحاديث الشفا ، الأساس في مناقببني العباس ، در السعاية فيمن دخل مصر من الصعاية ، زوابد شعب الإيمان للبيهقي ، لم الأعراف وضم الأتراف ، اطراف الأشراف بالاشراف على الأطراف ، جامع المسانيد ، الفوائد المتکاثرة في

الأخبار المواترة ، الأزهار المتناثرة في الأخبار المتسوترة ، تحرير أحاديث الدرة الفاخرة ، تحرير أحاديث الكفاية يسمى تجربة العناية ، العصر والأشعة لأشرطة الساعة ، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشهورة، زوائد الرجال على تهذيب الكمال ، الدر المنظم في الاسم المعلم ، جزء في الصلاة على النبي ﷺ ، مَنْ عاش من الصحابة مائة وعشرين ، جزء في أسماء الملائكة ، اللمع في أسماء مَنْ وضع ، الأربعون المتباينة ، درر البحار في الأحاديث المقصار ، الرياضة الأنثقة في شرح أسماء خير الخليقة ، المرقاة المثلية في شرح الأسماء النبوية ، الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء ، أربعون حديثاً من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر ، فهرست المرويات ، بقية الرائدة في الذيل على مجمع الروايات ، أزهار الأكام في أخبار الأحكام ، الهبة السنّية في الهيئة السنّية ، تغريب أحاديث شرح العقائد ، فضل الجلد ، الكلام على حديث ابن عباس : «احفظ الله يحفظك» هو تصنيد القبيحة لما وليت درس الحديث بالشیعونیة ، أربعون حديثاً في فضل الجہاد ، أربعون حديثاً في رفع اليدين في الدعاء ، التعريف بأداب التاليف ، العشاريات ، القول الأشبیه في حديث : «مَنْ عرف نفسه فقد عرق ربه» ، كشف النقاب عن الألقاب ، نشر العبر في تغريب أحاديث الشرح الكبير ، من وافقك كنيته كنيته زوجه من الصحابة ، ذم زيارة الأمراء ، زوائد نوادر الأصول للعکیم الترمذی ، تغريب أحاديث الصلاح يسمى فلق الصباح ، ذم المكس ، آداب الملوك .

فن الفقه و تعلقاته : الأزهار الغضة في حواشي الروضة ، العواشي الصفرى ، مختصر الروضة يسمى القنية ، مختصر التنبیه يسمى الوافي ، شرح التنبیه ، الأشباء والنظائر ، اللوامع والبوارق في الجوامع والفوارات ، نظم الروضة يسمى الخلاصة ، شرحه يسمى رفع الخاصة ، الورقات المقدمة ، شرح الروض ، حاشية على القطعة للاستوى ، العدب السلسلي في تصحيح الخلاف المرسل ، جمع الجوامع ، الینبوع فيما زاد على الروضة من الفروع ، مختصر الخادم يسمى تعصین الخادم ، تشنيف الأسماء بسائل الإجماع ، شرح التدريب ، الكافي ، زوائد المذهب على الوافي ، الجامع في الفرائض ، شرح الرحبيۃ في الفرائض ، مختصر الأحكام السلطانية للماوردي .

الأجزاء المفردة في مسائل مخصصة على ترتيب الأبواب : الظفر بقلم الظفر ،

الاقتناص في مسألة التماص ، المستطرفة في أحكام دخول المشفة ، السلالة في تحقيق المقر والاستعالة ، الروض الأريض في طهر المحيض ، بذل المسجد لسؤال المسجد ، الجواب العزم عن حديث التكبير جزم ، القذادة في تحقيق محل الاستعادة ، ميزان المعدلة في شأن البسمة ، جزء في صلاة الضحى ، المصايب في صلاة التراويح ، بسط الكف في إتمام الصف ، اللمعة في تحقيق الركعة لادراك الجمعة ، وصول الأماني بأصول التهاني ، بلقة المحتاج في مناسك الحاج ، السلاف في التفصيل بين الصلاة والطواف ، شد الأبواب في سد الأبواب في المسجد النبوي ، قطع المجادلة عند تغير المعاملة ، إزالة الوهن عن مسألة الرهن ، بذل الهمة في طلب براءة الذمة ، الانصاف في تمييز الأوقاف ، أنموذج الليبي في خصائص العبيب ، الزهر باسم فيما يزوج فيه العاكم ، القول المضي في العنت في المضي ، القول المشرق في تعرير الاشتغال بالمنطق ، فصل الكلام في ذم الكلام ، جزيل المواهب في اختلاف المذاهب ، تقرير الاسناد في تيسير الاجتهاد ، رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين ، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء ، ذم القضاء ، فضل الكلام في حكم السلام ، نتيجة الفكر في الجهر بالذكر ، طلي اللسان عن ذم الطليسان ، تنوير العلّك في إمكان رؤية النبي والملك ، أدب الفتيا ، إلقاء العجر لمن زكتى سباب أبي بكر وعمر الجواب العاتم عن سؤال العاتم ، المبحج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، فتح المفالق من أنت طالق ، فصل الخطاب في قتل الكلاب ، سيف النثار في الفرق بين الثبوت والتكرار .

فن العربية وتعلقاته : شرح الفيءة ابن مالك يسمى البهجة المضيّ في شرح الألفية ، الفريدة في النحو والتصريف والخط ، النكت على الألفية الكافية والشافية والشذور والمنزهة ، الفتح القريب على معنى الليبي ، شرح شواهد المفني ، جمع الجوامع ، شرحه يسمى همع الهوامع ، شرح الملحمة ، مختصر الملحمة ، مختصر الألفية ودقائقها ، الأخبار المروية في سبب وضع العربية ، المصاعد العليّة في القواعد النحوية ، الاقتراح في أصول النحو وجده ، رفع السستة في نصب الزنة ، الشمعة المضيّة ، شرح كافية ابن مالك ، در التاج في إعراب مشكل المنهاج ، مسألة ضرب بي زيداً قائماً ، السلسلة الموشحة ، الشهد ، شذا العرف في إثبات المعنى للعرف ، التوضيح على التوضيح ، السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل ، حاشية

على شرح الشذور ، شرح القصيدة الكافية في التصريف ، قطر الندى في ورود الهمزة للندا ، شرح تصريف الغزّي ، شرح ضروري التصريف لابن مالك ، تعريف الأعمج بعرف المعلم ، نكت على شرح الشواهد للعيني ، فجر الشمد في إعراب أكمل العمد ، الزند الوري في الجواب عن السؤال السكتدربي .

فن الأصول والبيان والتصوف : شرح لمعة الاشراق في الاشتقاء ، الكوكب الساطع في نظم الجوامع ، شرحه ، شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد ، نكت على التلخيص يسمى الافصاح ، عقود الجمان في المانوي والبيان ، شرحه ، شرح أبيات تلخيص المفتاح ، مختصره ، نكت على حاشية المطول لابن الفري رحمة الله تعالى ، حاشية على المختصر ، البديعية ، شرحها ، تأييد الحقيقة العليّة وتشييد الطريقة الشاذليّة ، تشييد الأركان في ليس في الامكان أبدع مما كان ، درج المعالى في نصرة الفزالي على المنكر المتفاali ، الغبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجاء والأبدال ، مختصر الاحياء ، المانوي الدقيقة في ادراك الحقيقة ، النقاية في أربعة عشر علمًا ، شرحها ، شوارد الفوائد ، قلائد الفرائد ، نظم التذكرة ، ويسمى الفلك المشعون . الجمع والتفريق في الأنواع البديعية .

فن التاريخ والأدب : تاريخ الصعابة وقد مر ذكره ، طبقات العفاظ : طبقات النهاة : الكبri والوسطى والصغرى، طبقات المفسرين ، طبقات الأصوليين ، طبقات الكتاب ، حلية الأولياء ، طبقات شعراء العرب ، تاريخ الخلفاء ، تاريخ مصر هذا ، تاريخ سیوط معجم شيوخى الكبير يسمى حاطب ليل وجارف سيل ، المعجم الصغير يسمى المتنقى ؛ ترجمة النبوى ، ترجمة البلقيني ، الملتقط من الدرر الكامنة ، تاريخ العمر وهو ذيل على إبناء الفر ، رفع الباس عنبني العباس ، النفعة المسكية والتحفة المكية ، على نمط عنوان الشرف ، درر الكلم وغير الحكم ، ديوان خطب ، ديوان شعر ، المقامات ، الرحلة الفيومية ، الرحلة المكية ، الرحلة الدمياطية ، الرسائل الى معرفة الأوائل ، مختصر معجم اليلدان ، ياقوت الشهاريغ في علم التاريخ ، الجمانة ، رسالة في تفسير الفاظ متداولة ، مقاطع العجاز ، نور الحديقة من نظم القسول ، المجمل في الرد على المهمل ، المتن في الكني ، فضل الشتاء ، مختصر تهذيب الأسماء للنبوى ، الأوجبة الزكية عن الألفاظ السبكية ، رفع شأن العيشان ، أحاسن الأقباس في محاسن الاقتباس ، تحفة

المذاكري في المنتقى من تاريخ ابن عساكر ، شرح بانت سعاد ، تحفة الظرفاء بأسماء الغلفاء ، قصيدة رائية ، مختصر شفاء الغليل في ذم الصاحب والغليل .

* * *

من مزايا السيوطي سعة معرفته وتجربته في علوم شتى أشار إليها في سيرته تلك تحدثاً بنعمة الله عليه لا افتخاراً . وقد ألف في علوم كثيرة وذكر من مؤلفاته أن عددها بلغ ثلاثة . ولكنه ثابر على التاليف بعد كتاب حسن المحاضرة . وروى تلميذه أن مؤلفاته بلغت نحو ستمائة . وهذا المدد في الحالين ضخم يدل على غزارة مادته وامتداد آفاقه وسعة مداره وإن كان بين هذه المؤلفات عدد لا يأس من الرسائل الصغيرة التي هي بمنزلة بحوث عارضة .

وبعض مؤلفاته شروح أو مختصرات لمؤلفات لغيره ومن تقدمه أو مؤلفات له كما جرى على ذلك العلماء في عصره أو المصر الذي تقدمه . وقد غدت مؤلفاته كلها مراجع مهمة في المصور التالية حتى المصر العاضر . وحسبه فخرأً تاليفه المزهر والاتقان والأشباء والنظائر وبنية الوعاء وحسن المحاضرة والاقتراب في أصول النحو . ولم يذكر السيوطي المزهر بين مؤلفاته . وهذا يدل على أنه ألفه بعد حسن المحاضرة .

هذا ومن المناسب أن نذكر بأن السيوطي في تلخيصه لبعض الكتب الهامة في التراث لم يقتصر على التلخيص . فقد ألف السيوطي كتاب « طبقات الحفاظ » مثلاً من « طبقات الحفاظ » للحافظ الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ . فلم يكن بما أورده الذهبي في طبقاته بل كان يختاره ويخص ويؤلف ويزيد بعض النقول ثم يذيل عليها بالحافظ الذين تلوا عصر الذهبي إلى طبقة الحافظ ابن حجر .

ومن مزايا السيوطي في تاليفه أن يورد في مقدمات بعض كتبه مصادره من الكتب التي اعتمدها وينذكر أسماء مؤلفيها كماني مقدمات كتاب « بنية الوعاء في طبقات اللغوين والنحاة » وكتاب « الاتقان في علوم القرآن » وكتاب « حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة » . كذلك يضيف ما نقله سعياً عن علماء عصره من الشيوخ والأقران وما وقع له أحياناً من المشاهدة والثبت .

ومن مزاياه أنه ألف في موضوعات مبتكرة قل أن تخطر على البال منها كتابه فيمن عاش من الصحابة مئة وعشرين سنة . وهذا موضوع يهم بحوث « الديمغرافية » أي علم السكان الحديث في معرفة مدى تعمير المعمرين .

وكتاب « الدراري في أبناء السرارى » به أسماء أبناء الخلفاء المولودين من الجواري ، وغير ذلك

ومن مزايا السيوطي تواضعه مع علمه الجمّ الواسع وتأليفه الكثيرة التي قل أن يؤلف بعدها المؤلفون . ومع ذلك يعترف أنه لم ينبغي في فن الانشاء والترسل بعد هذا العدد الضخم من المؤلفات .

وعلى الرغم من هذه المزايا قييض له من علماء عصره المشهورين والمؤرخين الدقيقين من يبحث عن هفواته . فقد حمل السخاوي عليه في كتابه « الضوء اللامع » ومن المعروف أن السخاوي مع اشاراته الدقيقة وتعرياته الصائبة شديد التجريح لمن ترجم لهم في كتابه ولا سيما معاصره وشيوخه . ومن الذين لم يسلموا من وخذات قلمه أستاذه المقرizi .

وقد عمد السيوطي فردًا على شمس الدين السخاوي بمقامة سماها « الكاوى على تاريخ السخاوي » . قال في أولها :

« ما ترون في رجل التّف تاریخاً جمع فيه أکابر وأعیانًا ، ونصب لأکل لحومهم خوانا ، ملاه بذكر المساوىء وثلب الأعراض ، وفوق فيه سهاماً على قدر أغراضه والأعراض هي الأغراض ، جمل لحم المسلمين من جملة طعامه وادامه ، واستفرق في أكلها أوقات فطره وصيامه ، ولم يفرق بين جليل وحقير ٠٠٠ وامتد حتى الى العلماء الأعلام وقضاة القضاة ومشايخ الإسلام . » الخ .

يدرك ابن ایاس أنه في رجب شاع بين الناس أن الشيخ جلال الدين السيوطي أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل الروضة لأن الاجتماع متعدد على منع البناء على شطوط الأنهر الجارية . وأماما ذكر من أن ذلك يجوز في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فباطل ، وليس له صحة في كتب الشافية قاطبة .

ونحن نعجب بموقف البجلال وفهمه لروح الدين العتيف . فمنع البناء على شطوط الأنهر الجارية دفع لتلوثها .

كذلك ذكر ابن ایاس : « لما دخلت سنة ٨٩٩ هـ صعد القضاة يهنيئون السلطان قايتباي بالقلعة بالعام الجديد . وصعد أيضًا الشيخ جلال الدين

الأسيوطي . فلما جلس سأله السلطان عن أي سنة سنّها رسول الله ﷺ ولم يفعلها . فلم يجده الشيخ جلال الدين عن ذلك بشيء مع غزارة علمه وقوّة اطلاعه ، وكان السلطان عنده كتاب يسمى « حيرة الفقهاء » ... ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بعواقب حسن كاف في هذه المسألة بأنه قصد بذلك الأذان ، فإنه سنّه ولم يفعله ٠٠٠ وعمل في هذه المسألة كراساً مطولاً ٠ ٠ ٠

هذا وتلحظ طموح السيوطي منذ صباحه ولفت الأنظار نحوه . كتب السخاوي في كتابه « الضوء اللامع » حين ترجم للسيوطي أن هذا الفتى « ترقى حتى قرأ في بعض المتون الفقهية على المعلم البليقيني وحضر عند الشرف المناوي يسيراً جداً ولتح له بالأدب حيث قال له وقد تالم من جلوسه فوق ملاً على : كنا ونحن صفار لا نجلس الا خلف الحلقة ، في كلمات من هذا النمط وحينئذ انقطع ٠ ٠ ٠ »

ثم نلحظ ما ذكره تلميذ السيوطي محمد بن أحمد بن اياس في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » في سياق حوادث ٩٠٢ هـ من « أن الخليفة المتوكّل على الله عبد العزيز عهد للشيخ جلال الدين الأسيوطي بوظيفة لم يسمع بمثلها قط وهو أنه جعله على جميع القضاة قاضياً كبيراً يولى منهم من يشاء ويعزل منهم من يشاء مطلقاً فيسائر ممالك الإسلام . وهذه الوظيفة لم يلها قط سوى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز في دولةبني أيوب . فلما بلغ القضاة ذلك شق عليهم واستخفوا عقل الخليفة في ذلك ، وقالوا : ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيراً . فلما قامت الدائرة والألسنة على الخليفة رجع عن ذلك وقال : ايش كنت أنا . الشيخ جلال الدين هو الذي حسّن لي ذلك ، وقال لي : هذه كانت وظيفة قدية ، وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك وبعث فأخذ المهد الذي كان كتبه للشيخ جلال الدين الأسيوطي وكانت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ووقعت أمور يطول شرحها ثم سكن الحال بعد مدة » .

كان السيوطي صديقاً للخليفة المتوكّل على الله وكان السلطان اذ ذاك محمد بن قايتباي . وقد اشترك الخليفة في السنة نفسها مع القضاة الأربع في خلُج السلطان هذا ومباعدة « قاصوة خسمانة » بالسلطنة . ولكن لم يلبث هذا الا ثلاثة أيام ثم غالب ورجع الملك الى صاحبه وهو الناصر محمد بن قايتباي . فعاد الخليفة

نفسه وبابيه السيوطي بالسلطنة. وقد رغب الخليفة في عيد المطر من السنة نفسها أن يهنيء السلطان بالعيد . فلم يقابل السلطان وبعث اليه بن يشكروه ويصرفه. وقد مرض هذا الخليفة في أواخر عام ٩٠٢ وتوفي آخر المحرم عام ٩٠٣ وله من العمر ٨٤ سنة . وقد اشتهر بدماثة الخلق والاشتغال بالعلم والأدب . وكان السيوطي قد أذن له كتابيه في تاريخبني العباس . الأول هو «كتاب الأساس في فضلبني العباس» والثاني «رفعالباس عنبني العباس» .

هذا وربما كان السيوطي يرثى منصب القضاء زيادة على تدریسه في بعض الجماعات . ولكن لم يصل الى ذلك المنصب مع تقدمه في الفقه وذيوع شهرته بين أترابه ورجال جيله . وكان منصب قاضي قضاة الشافعية قد تبوأه في أيامه الشيخ ذكرياء الأنصاري مدة طويلة وبكفاية عالية . وقد تكون حادثة السيوطي مع الخليفة المتوكلي هي التي حملته في أواخر عمره على اعتزال الناس وترك وظائفه من تدريس وإفتاء فتجدد للتأليف وشرع في تحرير باقي مؤلفاته وأذن كتابه «التنفس في الاعتذار من ترك الافتاء والتدریس» . وأقام في روضة المقياس . فلم يتحول عنها الى أن وفاه أجله .

كان السيوطي ذا مكانة مرموقة في عصره وكان الأمراء والوزراء وغالبية الملوك يحترمونه ويقدرون فضله . ويعرضون عليه هباتهم فيردها . قال صاحب «السنا الباهر بتكميل النور السافر» : «ولما مات لم يتعرض أحد في تركته ، مع أن الزمان كان زمن جور . وقال السلطان الفوري : لم يقبل الشيخ مما شيئاً في حياته فلا تتعرض في تركته» .

* * *

شملت دولة المماليك مصر وسوريا وبسطت نفوذها بدرجات متناوطة على كثير من الأقطار المجاورة مثل شبه الجزيرة العربية وبرقة وبلاد النوبة وأطراف آسيا الصغرى .

وكان في عهدها بنو حفص في تونس، وبنو زيان في الجزائر . وبنو مرین ثم بنو وطاس في المغرب الأقصى .

اما الأندلس فقد استطاعت ايزابيل ملكة قشتالة وفرديناند ملك أرغون اللذان كانوا قد تزوجا الاستيلاء على درة هذه البلاد غرناطة في ٢ شهر ربیع الأول

٨٩٧ - ٢ كانون الثاني ١٤٩٢ فكان ذلك أدهى الكوارث على المسلمين . وقد اتصف حكمهما بتأسيس محاكم التفتيش ومنحها سلطة واسعة واطلاق يدها إطلاقاً كلياً ما أكسب إسبانيا زعامة الاضطهاد الديني والتعصب الأعمى في أقصى مظاهرها ، كذلك اتصف بطرد المسلمين من بلادها بعد ارساء أركان حضارة امتد أمدها نحو ثمانية قرون وبطرد اليهود الذين كان يعيهم المسلمون في ظلال تلك الحضارة .

ومع ذلك فقد أرسل الملك الإسباني مستكشفاً من أهل جنوة في رحلة كانت أغلظ الرحلات في التاريخ اذا عبرت ثلاث سفن مع كريستوفر كولومبوس حاملة مئة وعشرين بحاراً في آب ١٤٩٢ وباحثة عن بلاد الهند ومتوجهة غرباً لا شرقاً وفي نهاية الأسبوع العاشر وقع نظرهم على الأرض . ولكنها لم تكن أرض الهند كما ظلّ يعتقد كولومبوس ولكنها أرض العالم الجديد .

أما في الشرق فقد عاصر المماليك بنى رسول ثم بنى طاهر في اليمن وفي آسيا الصغرى كانت سلاطين بنى عثمان تشتت شوكتهم ويقوى سلطانهم وأهم الأحداث التي جرت في زمن المماليك افتتاح السلطان محمد الثاني القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م . وهَلْكَ آخر اباطرة الروم بين أكdas القتلى وانتهت الامبراطورية البيزنطية . وقد استمر السلطان العثماني يتغول في فتوحه وتتمكن قبل موته في عام ٨٨٦ هـ - ١٤٨١ من إخضاع شبه جزيرة البلقان كلها في جنوب نهر الدانوب وفرعه الساف فضلاً عن بلاد الأفلاخ (رومانيا) في شمال هذا النهر العظيم .

وفي عهد سليم الأول ٩١٨ هـ - ١٥١٢ م / ٩٢٦ - ١٥٢٠ الذي دام حكمه نحو ثانية سنوات هزم هذا السلطان شاه ايران اسماعيل من الأسرة الصفوية وضم كردستان وديار بكر اليه . ذكرنا آنفاً حربه مع السلطان المملوكي قانصوه الغوري ، واستيلاءه على سوريا ومصر وقضاءه على دولة المماليك الجراكسة . وقد بسط سلطنته على مكة المشرفة والمدينة المنورة وأتى بال الخليفة العباسي في دولة المماليك وهو المتوكل على الله الثالث الى استانبول وأخذ منه الغلافة .

وفي اواخر دولة المماليك أسس الشاه اسماعيل دولة الصفويين في ايران ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م وجعل عاصمتها تبريز ونسبتهم الى الشيخ صفي الدين

الأردبيلي . ويقال انهم من الأسرة الحسينية ينحدرون من الامام السابع موسى الكاظم ، وقد استطاع الشاه اسماعيل أن يستولي على ايران كلها وأن يقضي على الدول الصغيرة المترفة من حوله واجتازت جيوشه خراسان وجعل ملكه يمتد من نهر جيجون الى خليج البصرة ، ومن افغانستان الى الفرات . وقد أشرنا آنفاً الى العرب التي وقعت بينه وبين السلطان سليم الأول العثماني والى ربع العثمانيين لهذه العرب .

وفي الهند اعتلى بھلول لودي الأفغاني عرش دھلی في عام ١٤٥١/٨٥٥ وأسس دولة صفیرة استمرت بولده وحفيده حتى عام ١٥٢٦/٩٣٢ حين قتل ظہیر الدين محمد بابر شاه آخر سلاطينها .

وقد تأسست في الهند أيضاً دول مختلفة في شتى الولايات ألعقها بعد حين أكبر شاه يامبراطورية الهند المغولية

هذا وان فتح محمد الثاني للقسطنطينية وهو عام ١٤٥٣ يعده المؤرخون نهاية للعصر الوسيط وبداية للعصور الحديثة . وذلك أن النهضة الأوروبية قد بدأت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين واستمرت في القرن السادس عشر بيقظة الآداب والفنون والعلوم والصناعات من جنوبي أوروبا كله مشعة في مختلف أقطارها شمالاً بعد الاحتكاك بالحضارة العربية الإسلامية واحتذاء الغرب سبل المسلمين في الحياة والتفكير والعلوم والثقافة والصناعة . وقوى هذه النهضة هجرة رجال الأدب والعلم من القسطنطينية بعد فتحها إلى إيطاليا . وعلى الرغم من تاريخ نشوء الطباعة الحديثة الغامض فإن أغلبية الباحثين يجررون على أن يوحنا غوتبرغ من مدينة ماينس في ألمانيا هو صاحب الاختراع في عام ١٤٥٣ فدعم نشوءه انتشار الثقافة والمعرفة وساند النهضة . وكذلك في عالم الملاحة والتجارة طاف الملاح البرتغالي فاسقو داغاما (١٤٦٩) - (١٥٢٤) حول رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧ في طريقه إلى الهند . وهو من الذين تغروا في فن الملاحة العربية . مثله في ذلك مثل كريستوفر كولمبوس . ونشأ في أوروبا عدد كبير من رجال الاصلاح والعلماء وال فلاسفة والفنانين

كانوا نجوم النهضة الأوروبية . وحسبناها أن نشير الى بعضهم من عاصر السيوطي .

ظهر من رجال الاصلاح الديني مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) في ألمانيا ، والرخين تسفنلي (١٤٨٤ - ١٥٢١) في سويسرا ، وحنا كلفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) في فرنسة .

ومن العلماء براسلسوس (١٤٩٣ - ١٥٤١) الكيماوي الطبيب السويسري الألماني ، وليوناردو دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩) في ايطاليا كان عالماً موسوعياً الى جانب اهتمامه بالنحت والتصوير ، ونيقولاوس كبرنيكوس (١٤٧٣ - ١٥٤٣) الفلكي البولندي البروسى .

ومن الفلسفه يونيوناتزي (١٤٦٢ - ١٥٢٥) أشهر أساتذة بادوفا في ايطاليا وجironamo كردايو (١٥٠١ - ١٥٧٦) اشتهر بالفلسفه والطب تخرج من جامعة بادوفا . وكلاهما تسبعا بالفلسفه الرشدية (نسبة الى ابن رشد) . كذلك عاش العالم المفكر ايراسموس (١٤٦٦ - ١٥٣٦) الهولندي الذي نشر أفكار النهضة والاصلاح في شمالي أوروبا .

ويلحق بهم الطبيب الاسباني ميخائيل سرفيتوس (١٥١١ - ١٥٥٣) الذي اطلع على ترجمة لاتينية لكتاب « شرح تشريح القانون » لابن النفيس وانتحل كشفه للدورة الدموية .

وغيرهم كثير تشعبت مبادئهم واتجاهاتهم . وكلهم هبت عليهم وعلى اساتذتهم قبل انسحات الحضارة الاسلامية رخية منشأة موقظة .

* * *

نلاحظ في خاتمة هذا البحث الأمور الثلاثة الآتية :

آ -أخذ تيمور من بلاد الشام الى عاصمه سمرقند جيلا يقاد يكون كاملا من العلماء والمتخصصين في شتى الصنائع والفنون . وكذلك فعل العثمانيون بعد استيلائهم على مصر فأخذوا العلماء وأهل الصنائع فيها الى عاصمتهم الجديدة استانبول . وأخذ مثل ذينك الجيلين من دولة او صقع يحكم على الصقع او الدولة

بالتاخر والجمود حتى يستطيع الشعب أن يرمم نفسه ويلم شعثه ويجب ونه
ويداوي جراحه بعد أمد طال أو قصر .

٢ - لقد نهكت غارات التتر والحملات الصليبية جسم الأمة ولكنها كانت
من أسباب الاتصال العميق بين مستويين حيويين وحضارتين متفاوتتين . فأدى ذلك
إلى بث المعرفة ونقل الاختصاص وانتشار حرية الفكر والاقبال على العمل وعلى
تحسين الحياة الفردية والاجتماعية في أوربة .

٣ - تبدو لنا الحضارة الإسلامية في ذلك العصر أي في القرنين التاسع والعشر
الهجريين والخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كالخضم المعيط قد صبت فيه
بعد طول جريان أنهار روافد كثيرة جلبت مع مياهاها المخصبة حمولاً طيبة
وغثاءً طافياً ، وكانت الشمس تجتمع فوق ذلك المعيط الخصم نحو الفروب
وتمرّكه يستنير بسنا النجوم .

ومن ذلك البحر النجي الواسع السحيق الأغوار والمتل檄 الأمواج
انجست ينابيع شتى متقدقة في المدن والصنائع والاصلاح جرت في أراضٍ
أُنْفِرَتْ متفاوتة في أوربة تحت سنا فجر جديد ثم في ضوء شمس مشرقة ما زالت
ماتعة حتى اليوم ولكنها آلت إلى ما ألت إليه من اتجاه مادي صرف وتغبط في
السيطرة والعنصرية . « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (آل عمران ١٤٠) .

ومع ذلك فتبقى المعرفة الرشيدة السديدة فحوى الحياة الإنسانية وجوهرها
النافع ونسفها الناجع ونورها الساطع ، وتبقى الحكمة الإلهية سيدة التوجيه في
المجتمعات هاديةً سواء السبيل :

« فامازيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك
يضرب الله الأمثال » . (الرعد ١٧) .

عصر جلال الدين التيوطي والحياة العالمية فيه

د. محمد زهير البابا

ازدهرت العلوم بصورة عامة والطب والفلك بصورة خاصة في عصر الفاطميين . وكان من أهم آثارهم بناء جامع الأزهر ، الذي تحول إلى جامعة كانت ولم تزل يومها طلاب العلم من مختلف أقطار العالمين العربي والاسلامي . وخلال حكم الأيوبيين نظر وببلاد الشام انشأوا عدداً كبيراً من البيمارستانات والمدارس في القطرين الشقيقين . وقد تخرج في تلك المؤسسات عدد من الأطباء والسيادلة والكتالين والبرائين ، انتشروا وذاع صيتهم ومؤلفاتهم في كثير من البلاد ، بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء والفقهاء والمؤرخين .

وفي عام ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م قتل الملك طوران شاه ، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان آخر ملوك الأيوبيين ، ولما اختلف الناس على من يبايعون توسلت شجرة الدر ، زوجة الملك الصالح بين الأمراء ، فبايعوها بالملك ، وبهذه الصورة أصبحت أول امرأة ملكت في الإسلام .

لا أن النزاع لم يلبث أن قام بينها وبين الأمراء المالiks ، فاستقالت مرغمة . وبويع بعدها لعز الدين إبيك ، فلقب بالملك المفر ، فتزوجها وأفضلت السلطة إلى المالك الأتراء ، الذين توارثوها من بعده .

كان الملك الصالح أيوب آخر الملوك الأيوبيين قد لجأ إلى شراء المالiks ليكونوا سندًا له في الحكم داخل البلاد ، وليسعني بهم لصد الفروقات الخارجية .

★ استاذ باحث في التراث العلمي العربي . . . عضو مجمع اللغة العربية بعمشق .

وكان أكثرهم يستقدم من بلاد الترك . وقد أطلق على أوائل من جلب من هؤلاء اسم المالك البحري ، ذلك لأن الملك الصالح أسكنهم في منازل شيدت بجزيرة الروضة وسط النيل .

ولما كثر عدد هؤلاء المالكين وقويت شوكتهم ساد البلد الفوضى والقلق في أول الأمر ، بسبب العروب والثورات والنزاع على السلطة . ولكن المالكين الأتراك استطاعوا أن يوطدوا حكمهم ، خاصة بعد نجاحهم في رد غارات المغول في عين جالوت ، بقيادة السلطان قطز عام (٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) ، كما استطاعوا تطهير بلاد الشام من بقايا الصليبيين تحت قيادة السلطان الظاهر بيبرس .

ومن مشاهير السلاطين الأتراك المنصور قلاوون ، الذي كان محباً للانشاء والمران . أمر ببناء بيمارستان ، في القاهرة ، يعد من أجمل وأواسع البيمارستانات في العالم الإسلامي ، وذلك عام (٦٨٣ هـ - ١٢٨٤ م) ، وألحق به مدرسة لطلاب العلم وداراً للأيتام .

لقد أكثر السلطان قلاوون من شراء المالك البراكسة ، وأنزلهم في برج القلعة بالقاهرة ، ليبعدهم عن الاتصال بسكان البلاد ، ومن هنا جاءت تسميتهم بالماليك البرجية .

وكان هدف السلطان قلاوون من جلب المالكين الجدد هو أن يكون فرقة جديدة من المالكين يعتمد عليها ضد منافسيه من كبار مالكين الأتراك ، ولتكون سندًا له لتواء الملك له في ذريته من يده في مصر وببلاد الشام .

لذلك رأى أن تكون هذه الفرقة من جنس آخر غير الأجناس التي كانت تتالف منها مالك مصر ، فأعرض عن شراء الأتراك والتتار والتركمان ، وأقبل على شراء المالك البراكسة ، الذين كانوا ينتسبون إلى بلاد الكرج (جورجيا) . ومما شجع السلطان المنصور قلاوون على شراء عدد كبير منهم ، تجاوز ثلاثة آلاف مملوك ، هو كثرة الفلمان العركس في أسواق الرقيق ، بسبب تعرض بلادهم لغزوat المغول ، وبالتالي لانخفاض أثمانهم .

تصف المالك البراكسة بجمال الصورة ، وقوة الجسد والشجاعة . وقد

خدموا أسرة قلاوون وأخلصوا لها ودافعوا عنها . وقد حرص السلطان قلاوون أن يحول دون اتصالهم بغيرهم من المالكين ، ومنهم من النزول إلى المدينة ليلاً .

ونظراً للمعاملة الحسنة والمميزة التي كانوا يعاملون بها ، من قبل الأسرة العاكلة ، فقد حلت روح التنازع والبغضاء بينهم وبين المالكين الأتراك . ولما ازداد عدد المالكين البراكسة وقويت شوكتهم صار لهم رأي مسموع في انتخاب السلاطين ، لكنهم لم يتجرأوا على طلب السلطان لأنفسهم .

لقد بدأ الخلاف بين المالكين الأتراك والبراكسة في عهد السلطان خليل ، وانتشرت الاضطرابات بعد مقتله عام ٦٩٣ هـ . وبعد سكون الفتنة نزل المالكين البراكسة من القلعة ونفي قسم منهم إلى بلاد الشام .

الآن الأمير برقوق ، وهو أحد المالكين البراكسة ، استطاع بفضل ذكائه وطموحه أن يصل إلى مرتبة أتابك العسكر ، أي القائد العام للجيش ، عام (٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م) . وكان يحكم مصر في ذلك الوقت السلطان علاء الدين علي ، وهو أحد أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وكان عمره لا يتجاوز الثامنة .

لقد كان باستطاعة الأمير برقوق أن يزيح هذا السلطان القاصر عن عرشه ويحل محله ، وخاصة بعد وفاة الأخير بذلك بثلاث سنوات . إلا أن عائلة قلاوون كان لها منزلة خاصة في نفوس الشعب المصري . ذلك لأن مصر الذي حكمت فيه كان يمثل عصر ازدهار اقتصادي وأمني وعلمي . ولا شك أن الفضل في ذلك يرجع إلى السلطان المنصور قلاوون في إرساء هيبة الحكم ، واحاطة اسم أسرته بهالة من المجد . لذلك احتفظت هذه الأسرة بمنصب السلطنة حتى أواخر القرن الثامن للهجرة .

لقد انتهز الأمير برقوق فرصة وجود سلطان قاصر على الحكم فعمل على اكتساب معية الشعب وثقته ، فسمى لخفض المكوس والضرائب ، وسك نقوداً جديدة بدلاً من النقود الزيائفة ، كما سعى لتنصيب أنصاره من المالكين البراكسة في الوظائف المرموقة . وقبيل وفاة السلطان علاء الدين جرى اجتماع حضرة كبار الدولة ، فقام أحد أنصار الأمير برقوق وقال إن الوقت قد ضاق ، ونحن محتاجون

لسلطان كبير تجتمع فيه الكلمة ، فأجمع العضور على خلع السلطان الصغير وتنصيب الأمير بررقو، الذي تلقب بالملك الظاهر عام (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) وقد استمر حكم السلاطين الجراكسة حتى عام (٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) . وتعاقب على عرش السلطة (٢٣) سلطاناً كانوا جميعاً من الجراكسة عدا اثنين يرجعان إلى أصل يوناني وهما خشقدم وتمربغا . كان المالiks الجراكسة زعماء أو أمراء اقطاعيين أكثر منهم سلاطين . لذلك كان التناحر والتنافس والقتال بينهم قائماً .

وكثيراً ما كان الأتابك (قائد الميليش) ينتصب السلطة ، وخاصة إذا كان ابن السلطان المتوفى أو المدفون طفلاً لا يقوى على حماية حقوقه . فيتولى الأتابك الوصاية عليه ، ثم لا يلبث أن يخلمه أو يسجنه أو يقتله ليأخذ مكانه .

وقد عانت مصر خلال حكمهم كثيراً من الوييلات بسبب منازعاتهم المستمرة وصراعهم الدامي على تولي الحكم . يضاف إلى ذلك تعسفهم في فرض الضرائب على الشعب واستيلائهم على أراضيه واحتقارهم لقوته أحياناً .

لقد أدخل المالiks الأتراك والجراكسة نظاماً اقطاعياً عسكرياً في مصر وللبلاد الشام . فكانوا يتهافتون على مصادرة الأراضي الزراعية والأملاك الخاصة . لذلك لجأ أثرياء المصريين والسوريين إلى نظام الوقف ، الذي يعتمد بالأصل على فعل الخير ، كإنشاء المساجد والبيمارستانات والمدارس والزوايا والخانقاهات . ووقفوا الأملاك والأراضي الزراعية ليصرف ريعها لصيانة تلك المنشآت ، ولدفع رواتب العلماء والفقهاء والأطباء ، والقائين على إدارتها وخدمتها . ولشراء ما يحتاجه المرضى من الفقراء وطلاب العلم من غذاء ودواء .

بقى المالiks في مصر وللبلاد الشام يؤلفون طبقة ممتازة ، منفصلة عن بقية أفراد الشعب . وكانوا يختارون زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم ، يشترونهن من النخاسين . وكان لا يقع لإبناء الشعب ، مهما علت مرتبتهم ومكانتهم ، وبلغ غناهم شراء المالiks ، ومن خالف ذلك يتعرض للعقوبة . كما أن ركب الخيل كان حقاً لفرسان المالiks دون غيرهم ، حتى أن بعض القضاة والفقهاء ، بالرغم مما كانوا يتمتعون به من مكانة�احترام ، كانوا يتعرضون للإهانة ، ويعبرون على ترك ركوب الخيل ، والاختفاء بركب العمير أو البغال .

كان المالiks يشعرون بأنهم غرباء عن أهل البلاد . لذلك حرصوا أكثرهم على اظهار الاحترام تجاه العلماء والفقهاء وأصحاب الفرق الصوفية ، لأن ذلك يقربهم من قلوب عامة الشعب ، ويكسبهم ثقة واحترام البسطاء منهم .

لقد اعتبرت سلاطين المماليك بصورة عامة بانتقاء مماليكهـم ، بحيث يكونون اصحاب الأجسام ، سالمين من الملـل والأمراض . كما اعتبرنا بتعليمهم وتدريبهم ، والحفاظ على صحتهم ، وتدبر طعامـهم وشرابـهم . ولما كان هؤلاء المـماليك ينتـمون إلى بلاد عـديدة ، ويـتكلـمون لغـات أو لهـجـات مـخـتلفـة ، ولـهم عـادـات وـتقـالـيد متـوارـثـة ، لذلك كان يـخصـصـ لكل مـجمـوعـة عـرـقـية بنـاء خـاصـ أـطـلقـ عليهـ اسم الطـبـاق . ويشـرفـ علىـ ادارـة كل طـبـاقـ عددـ منـ الطـواشـين لـتـريـبة وـتـدـريـبـ صـفـارـ المـمـالـيـك . كما كان بعضـ الفـقهـاء يـترـددـونـ عـلـيـهـمـ لـتـعـلـيمـهـمـ القرآنـ الـكـرـيمـ ، وـالـخطـ وـأـحـكـامـ الـدـينـ الـاسـلـاميـ .

وكـانـتـ تـصـرـفـ لـصـفـارـ المـمـالـيـكـ روـاتـبـ شـهـرـيـةـ (ـجـامـكـيـةـ)ـ ،ـ وـذـلـكـ عـنـ مـفـادـرـهـمـ الطـبـاقـ لـلـاتـعـاقـ بـخـدـمـةـ الـأـمـيرـ أوـ الـسـلـطـانـ ،ـ حـينـ بـلوـغـهـمـ سنـ الرـشـدـ .ـ وـبـعـدـ اـتقـانـهـمـ فـنـونـ القـتـالـ ،ـ وـخـدـمـهـمـ بـالـجـيـشـ ،ـ وـتـقـدـمـهـمـ فـيـ السـلـكـ ،ـ تـمـنـعـ لـهـمـ الـاقـطـاعـاتـ وـالـعـيـدـ وـالـجـوـارـيـ لـيـعـمـلـواـ فـيـ خـدـمـهـمـ .ـ وـكـانـ السـكـنـ وـالـاقـطـاعـ يـتـنـاسـبـانـ مـعـ رـتـبـةـ وـنـفـوذـ الـمـلـوـكـ .ـ

□ العـيـةـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ مـصـرـ وـبـلـادـ الشـامـ خـلـالـ عـصـرـ المـمـالـيـكـ :

لـقدـ اـزـدـادـتـ أـهـمـيـةـ مـصـرـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ -ـ الـاسـلـاميـ فـيـ عـصـرـ المـمـالـيـكـ باـعـتـبارـهاـ قـلـمةـ الـمـرـوـبةـ وـالـاسـلـامـ .ـ وـاستـدـعـيـ الـلـمـاءـ وـالـفـقـهـاءـ ،ـ وـرـحـبـ بـهـمـ ،ـ عـنـدـ مـجـبـيـهـمـ لـاجـئـينـ مـنـ الـأـقـطـارـ الـعـرـبـيـةـ وـالـاسـلـامـيـةـ ،ـ لـيـقـمـوـاـ بـنـشـرـ الـلـمـ وـالـدـينـ بـيـنـ أـفـرـادـ الـشـعـبـ .ـ وـأـصـبـعـتـ الـمـدـنـ الـكـبـرـىـ فـيـ تـلـكـ الـأـقـطـارـ تـضـمـ مـرـاكـزـ عـلـمـيـةـ التـقـيـ فـيـهـاـ الـعـلـمـاءـ الـوـافـدـونـ بـالـعـلـمـاءـ الـمـسـتوـطـنـيـنـ وـكـانـ مـظـاهـرـ هـذـاـ النـشـاطـ الـعـلـمـيـ بـنـاءـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـدـارـسـ وـالـجـوـامـعـ وـالـمـكـتبـاتـ وـدـورـ الـحـدـيـثـ وـالـبـيـمارـسـتـانـاتـ وـالـزـواـيـاـ .ـ وـقـدـ اـزـدـادـتـ أـهـمـيـةـ مـصـرـ خـاصـةـ بـمـدـ سـقـوطـ الـغـلـافـةـ الـعـبـاسـيـةـ فـيـ بـغـدـادـ ،ـ وـحرـقـ الـمـنـوـلـ وـالـتـرـكـيـاتـ وـالـمـكـتبـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـضـمـ كـنـوزـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ .ـ وـقـدـ سـاعـدـتـ الـعـرـوبـ الـصـلـيـبيـةـ الـمـتـتـالـيـةـ فـيـ نـشـرـ الـغـرـابـ وـنـهـبـ خـيـرـاتـ الـبـلـادـ فـيـ بـلـادـ الشـامـ بـصـورـةـ خـاصـةـ .ـ

لـقدـ فـرـ إـلـيـ مـصـرـ جـمـاعـاتـ كـثـيرـةـ مـنـ عـلـمـاءـ الـعـرـاقـ وـالـشـامـ حـامـلـينـ مـعـهـمـ الـعـلمـ وـالـكـتبـ ،ـ فـلـاقـواـ كـلـ اـحـتـراـمـ وـتـشـجـيعـ مـنـ سـلاـطـينـ المـمـالـيـكـ ،ـ كـماـ قـدـمـ إـلـيـ مـصـرـ

أيضاً كثير من علماء ووجهاء المغرب يقصدون العجج ، أو فراراً من الاضطرابات التي حصلت في المغرب وبخاصة حينما انتقلت السلطة من يد المراطين إلى يد الموحدين، ويكتفي أن نذكر ما قاله ابن خلدون في معرض حديثه عن عصر المالكية « واحتضن العالم بالأمسكار المفورة العضارة ، ولا أوفر اليوم في العضارة من مصر ، فهي أم العالم وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم الضائع » لقد ورثت مصر القيادة الدينية والسياسية والعلمية في العالمين العربي والإسلامي بعد سقوط بغداد على يد هولاكو في (١٢٥٨ م) ومقتل المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ، وبقيت كذلك حتى نهاية عصر المالكية .

لقد أعلن أمراء سوريا بعد سقوط بغداد خضوعهم لهولاكو ، لأنهم كانوا أعجز من أن يقفوا أمام جحافله . أما مالكية مصر فكانوا أول من وقف في وجه الغزاة ، وذلك حينما اكتسح المغول المدن السورية ووصلوا فلسطين ، فرد عليهم المالكية بهجوم قاموا به بقيادة قطز وببرس في ٩/٣/١٢٦٠ م وأنزلوا بهم الهزيمة في عين جالوت قرب مدينة الناصرة . ومساعد المالكية في هذا الانتصار انهم أتاكوا هولاكو في حرب مع بركا خان ، رئيس القبائل الذهبية في بلاد القوقاز .

وبعد معركة عين جالوت قام القائد بيبرس بقتل السلطان قطز ، لأنه وعده بولايته حلب ثم أخلف وعده . لقد أظهر بيبرس بسالة نادرة في قتال المغول لذلك بايame الأمراء سلطاناً عليهم . ولكي يدعم بيبرس سلطنته استدعى إلى القاهرة أحد أفراد الأسرة العباسية ، ونصبه خليفة على المسلمين ، تحت اسم المستنصر بالله . وبالرغم من أن هذه الغلبة كانت وهمية ، إذ لم يكن لها بالواقع أي تأثير فعلي في إدارة الدولة ، من الناحيتين الدينية والسياسية ، لكنها اعتبرت من الأمور التي دعمت سلطة المالكية في العالمين العربي والإسلامي ، حتى سقوطهم وسقوطها عام ١٥١٧ م . وذلك بعد معركة مرج دايرق ، التي حصلت بين القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول ، وقوات المالكية بقيادة قانصوه الغوري .

كان تحصيل العلوم ، الدينية والدنيوية ، هو الوسيلة الوحيدة التي يتمكن بواسطتها إبناء البلاد من الحصول على وظائف مرموقة في الدولة ، كالقضاء ، والافتاء ، ورئاسة الأسبة والبيمارستانات ، والتدرس والقاء خطب الجمعة والأعياد في المساجد الكبيرة والاشراف على أوقاف المسلمين ، بالإضافة إلى ممارسة الطب ، وبيع الأدوية والعقاقير ، وغير

ذلك من المهن المرتبطة يامر الدين والدنيا . وكانت أكثر هذه المهن تمارس في المدن الكبرى، أما أبناء الريف فكانوا محروميين من العلم والخدمات الصحية ، لذلك انتشر فيهم الجهل والمرض والفقر . وكانوا يتلهزون الفرصة للقرار الى المدن هرباً من شفط العيش وظلم المالكين المسيطرین على أرضهم ورزقهم .

لقد أشار المقريزي واين تغري بردی والعینی وابن آیاس وغيرهم من المؤرخین المصريین الى حرص المالکیک في مصر على التوسيع والاحسان والصدقه طوال شهر رمضان . فقد اعتاد السلطان برقوق أن يذبح كل يوم من أيام رمضان خمساً وعشرين بقرة يتصدق بلحومها ، مع ما يُطبخ من الطعام ويوزع من آلاف الأرغفة من الخبر . والتي كانت توزع على أهل الزوايا والجوانع والخانقاهات والسبجون . أما الفقراء المعدمون فكانت مطابخ السلطان في شهر رمضان مفتوحة لهم في وقت الافطار .

وكان بعض سلاطین المالکیک يعتقدون خلال شهر رمضان ثلاثة عبداً من الرقيق، بعدد أيام الشهر ، كما كانوا يصرفون لطلاب العلم والعلماء رواتب اضافية خلال شهر رمضان ، كل ذلك تکفیراً عن خطایاهم أو تظاهرأ بالتقید بأحكام الدين .

لقد حظى أصحاب العمائیم في ظل الحكم المملوکی بقسط وافر من العطف ، أما بقیة أفراد الشعب من تجار وعمال وفلاحین فلم يلاقوا إلا الذل والهوان ونهب الأرزاق . لذلك کثرت المباءات وانتشرت الأوبئة وشاعت الفتنة واختل الأمن بصورة عامة .

لقد اشتراك سلاطین المالکیک مع أهل الاحسان من المصريین في انشاء الزوايا والخوانق والربط . وكان لكل واحدة من هذه المنشآت مهمة تقوم بها ، فالزاوية بالأصل مسجد صغير أو دار يجتمع فيه أصحاب احدى الطرق، للصلاة والتدریس ولأداء شعائر الطريقة ، وقد وصف ابن بطوطة حياة سكان الزوايا باسهاب .

اما الخانقاہ فهي کلمة فارسية تجمع على خوانق او خانقاھات . وهي تدل على البناء الذي كان يقطن فيه المتصوّفون ، تحت اشراف شیعهم الذين يخضعون لأوامره خضوعاً أعمى . والى جانب الخانقاہ او في داخله مسجد ومكتبة وحمام ومطبخ وخزانة للأشربة والأدوية .

اما الرباط فهو بناء يشبه القلعة ، كان يقطنه الجنود المدافعون عن الشعور . وقد انتشرت بين الجنود المرابطين افكار المتصوفين ، فصاروا يجتمعون بين حياة المجاهدين والمتدينين .

عرف الشعب المصري التصوف زمن الحكم الفاطمي ، ولكنـه كان تصوفاً مقصراً على فئة محدودة من أصحاب العلم والدين . أما في عصر المماليك فقد ازداد عدد طوائف المتصوفين ، كما ازداد عدد المريدين . وكان لكل طائفة شيخها وشمارها وعلمها وزواياها وخانقها . كما كان لها مقابر خاصة في أطراف القاهرة محاطة بأسوار . ومن أشهر هذه الطرق : الأحمدية ، المنسوبة إلى الشيخ أحمد البدوي المدفون فيطنطا ، وكان شعارها اللون الأحمر . وهناك الطريقة الرفاعية ، التي تنسب إلى أبي العباس أحمد الرفاعي ، وشعار أصحابها العمامات السوداء

ان مبدأ التصوف مبني على التقشف في الملبس والمأكل وبماه الحياة . واشتقت اسم التصوف من الصوف الذي كانت تصنع منه ملابس المتصوفين . أما طعامهم فكان زهيداً وقليل التنوع ، وكان كثيراً منهم يعانون الصيام أكثر أيام السنة . ولكل طريقة شيخ يأمر أفرادها بأمره ، هو الذي يلبس كل مرید جديداً خرقة التصوف .

لقد ناصر كثیر من سلاطين المماليك بمصر حركة التصوف ، وشارکوا الشعب في الاعتقاد بالصوفية والمعطف على المتصوفين . فالسلطان بررقو أنشأ لهم بين القصرين مدرسة ضمت كثيراً منهم ، وقرر لهم المرتبات . حتى ان زوجته غلب عليها التصوف ، فاتبعت الطريقة الأحمدية فنسبت إليها . وحينما توفيت غطّي نعشها بخرقة مرقة ، هي رمز الفقر والتتصوف ، وسار أمام جنازتها حملة أعلام الطريقة .

استطاع سلاطين المماليك البراكسة باستعمالهم لأصحاب الفرق الصوفية ، الذين يمثلون الطبقية الفقيرة الزاهدة بالطبيبات ، والراغبة عن الدنيا ، امتصاص النقمة التي تتولد عادة من وجود التباين الطبقي في المجتمع ، فانتشرت بذلك روح الكسل والتواكل ، والقبول بالأمر الواقع والإيمان بالخوارق والمعجزات .
لقد كانت القاهرة حافلة بدور العلم والعلماء . كما كانت تضم عدداً كبيراً من

المكتبات العامة والخاصة . وكانت أسوأ الوراقين مكتظة بالكتب والكراريس المخطوط . وهذا ما عوّض عن الخسارة الجسيمة التي أصيب بها التراث العلمي والأدبي بعد خراب ونهب بغداد وحلب ودمشق وغيرها من المدن .

لقد ذكر المريزي في خطبته أن سوق الكتبين بدمشق قد احترقت عام ٦٨١ هـ ، ومن جملة ما احترق فيها مكتبة لتاجر يدعى شمس الدين ابراهيم الجزرى ، وكانت تحوى خمس عشرة ألف مجلد . وهذا يدل على أن دمشق كانت تعفل كالقاهرة بعدد كبير من العلماء ودور العلم ، كما كان يقصدها أيضاً الطلاب والعلماء من جميع الأقطار العربية والإسلامية .

كانت مجالس العلم والفقه والأدب تعقد في الجامع ، كما كانت المناظرات تعقد بالقاهرة أحياناً في قصر السلطان وبتشجيع منه وحضوره .

أما العلوم الأساسية والتطبيقية فقد تأخرت خلال العصر المملوكي ، لقلة عدد الباحثين فيها ، وخاصة العلوم الطبية . ذلك لأن طرق تشخيص الأمراض لم تقدم ، كما أن المواد الأولية المستعملة في المداواة ، وخاصة العقاقير المجلوبة من أقطار الشرق الأقصى ، أصبحت بعيدة المنال وغالية الثمن ، لصعوبة النقل وفقدان الأمن . لذلك اضطر الأطباء ، وكان أكثرهم من رجال الدين ، إلى استعمال العقاقير المحلية ، والاعتماد على الكتب القديمة المؤلفة في الطب النبوى ، أو بعض الكتب والرسائل المجازأة من الموسوعات الطبية العربية .

من المعلوم أن جميع أفراد الشعوب ، القديم منها والحديث ، حينما تنتشر بينهم الأمراض ، وتعم الأوبئة والمصائب الطبيعية ، يزداد لديهم الإيمان والتسليم بالقدرة الإلهية ، حتى يبلغ الأمر إلى التصوف والزهد .

لقد عانى الشعب المصري من حكم المالiks القساة الشيء الكثير كما تواتت عليه سنوات عجاف وزلازل وطاعون ، فازداد عدد المرضى من الفقراء والمعلميين ، وكثرت الوفيات وخاصة بين أبناء الريف وفي أحياط القاهرة المكتظة بالسكان .

ونظرًا لقلة عدد الأطباء وندرة المواد ، وعلم نجاعته عند وجوده ، فقد أخذ الناس يتجهون إلى العبادة ، وإلى زيارة أضرحة أصحاب الكرامات من الأولياء الصالحين . وكثير الرجال المتخصصين بكتابه العجب وقراءة التعاويذ ، وتبغير المنازل والسكن لطرد الشياطين .

في هذه البيئة ، المتأخرة علمياً وصحياً واقتصادياً ظهر العالم جلال الدين السيوطي .

كان الإمام السيوطي عالماً موسوعياً، تطرق في مؤلفاته لمواضيع مختلفة، وكان سريعاً الكتابة غزير الانتاج . وقد أحصى مؤلفاته أحد تلاميذه ، وهو الحافظ شمس الدين محمد الداودي ، فبلغت الخمسين ، بين رسالة وكتاب وموسوعة ، طبع منها ما يزيد على المائتين .

مؤلفات السيوطي طابع خاص ، اذا ما قورنت بالمؤلفات العربية التي ظهرت قبل زمانه . ذلك لأن هذا العالم عاش في عصر يعتبره المؤرخون عصر انحطاط ، ذلك لأنه لم يظهر فيه مؤلفات أصلية .

ولكن حينما نطلع على العلوم التي درسها السيوطي ، والكتب التي ألف فيها ، والمراجع الكثيرة التي اقتبس منها ، نؤمن بأنه باحث متعمق وفقده . ويمود إليه الفضل في حفظ واحياء كثير من مؤلفات من سبقه من العلماء .

لقد انصرف السيوطي بصورة خاصة للتأليف في علوم القرآن والحديث واللغة وترجم المعلماء . وانتشرت مؤلفاته أثناء حياته ، فاكتسب بذلك شهرة كبيرة وثقة بالنفس .

وكان يُحب أن يطلق عليه اسم امام القرن العاشر للهجرة ، واسم مجدد الدعوة للاجتهداد ، وهذا ما جلب إليه النقد والحسد .

لقد ظهر في عصر السيوطي كثير من أهل الكرامات ، والمدعين بأنهم رأوا الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالنيل واليقظة ، ومنهم السيوطي . ولما ثار بعض العلماء عليه ، لهذا الادعاء ، ألف كتاباً عنوانه (نور العلّاك في جواز رؤية النبي والملّك) . وقد سار تلميذ له ، يدعى محمد بن سالم الطبلاوي ، على خطاه من بعده فأقبل الناس عليه واشتهر أمره .

★ ★ ★

□ مراجع البحث :

- ٦ - الكواكب السائرة : لنجم الدين الفزى .
- ٧ - خطط الشام : لمحمد كرد علي .
- ٨ - الماليك : د. الباز الرئيسي .
- ٩ - تاريخ الماليك : د. عادل زيتون .
- ١ - كتاب السلوك معرفة دول الملوء للمرizi .
- ٢ - النجوم الزاهرة : لابن تفري بردي .
- ٣ - بدائع الزهور : لابن اياس .
- ٤ - صبح الاعشى : للقلتشنبي .
- ٥ - كتاب العبر : لابن خلدون .

جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِي .. الْإِنْسَانُ

عبداللطيف أرناؤوط

العيقرية موهبة لا تخفي على الباحثين ،مهما توالت عليها المحن وعاكستها الظروف
البيئة ، إنها قطعة ماس تفرزها الطبيعة من تراب الأرض ، فتظل تتالق عبر العصور ،
وفي كل مكان ، شاهدة ببريقها على ما خصها الله من سمات ومحاسن .

ويمكننا القول أن جلال الدين السيوطي هو أحد العباقرة الذين يزهى بهم تاريخنا
العربي الإسلامي ، أصالة وتجديداً وسعة أفق وغزارة معرفة . وما زال الدارسون له
يعارون كيف تأسى لهذا العالم العظيم أن يترك لنا مجموعة من المؤلفات يبلغ عددها
(٥٨٣) مؤلفاً ، بحسب تقدير صاحب كتاب « هداية العارفين » ، أو (٥٠٤) مؤلفاً ،
وفقاً ما أورده حاجي خليفة في « كشف النقون » .

ان المر ليقتصر عن بلوغ هذه النهاية الا اذا أمضى الانسان كل ثانية من
حياته تحصيلاً وتالياً ، وخصه الله دون البشر بقدرة الاستيعاب ، وعمق الفهم ،
ومعجزة الابداع ، والتفرغ الكامل للعلم .

لقد ذكر السيوطي نسبه في سيرة حياته التي أوردها في كتابه « حسن المحاضرة »
انه يدعى عبد الرحمن بن الكمال ، ويلقب بجلال الدين ، ويكتنی بأبي الفضل ،
وينسب الى مدينة « أسيوط » في مصر ، التي ولد فيها والده ، وتولى القضاء فيها
قبل قドومه الى القاهرة . وكلمة أسيوط تعریب لاسمها القبطي « سیوت » واليها
ينتسب عدد من العلماء النابهین في تاريخ مصر ، منهم الفيلسوف أفلاطین .

ولد جلال الدين السيوطي سنة ٨٤٩ هـ في أسرة علم ودين ، وكان والده يتقن علوماً كثيرة ، برع في الخطابة والانشاء والفقه ، وتتلمذ عليه الخليفة يعقوب بن التوكيل على الله ، كما نال حظوة لدى الخليفة المستكفي .

وقد تحدث السيوطي عن أخلاق والده فأشار إلى أنه كان على جانب كبير من الورع ، والتعري في الأحكام ، وعزّة النفس والصيانتة . يغلب عليه حب الانفراد ، مواطباً على قراءة القرآن .

توفي والد السيوطي ولجلال الدين من العمر ست سنوات ، وكان والده قد جهد في تعفيضه القرآن طفلاً . ثم تولى أمره بعد وفاة والده الشيخ كمال الدين ابن الهمام ، وكان صاحب علم وفضل ، غير أن رعايته للطفل لم تدم ، لأنّه مات بعد خمس سنوات من وفاة الأب ، ولجلال الدين آنذاك من العمر احدى عشرة سنة . غير أنّ الشيخ كمالاً استطاع أن يغرس في نفس تلميذه حب العلم والتحصيل .

تلقى السيوطي علوم عصره المختلفة على عدد من الشيوخ أربوا على مائة وخمسين شيخاً ، منهم جلال الدين المحلي ، الفقيه المتكلم النعسو ، والبلقيني قاضي القضاة ، والمفقيه المفسر المحدث ، وسيف الدين العنفي ، والكافيجي ، والعربي العنبي ، وشمس الدين المربزاني ، وسواهم ... وكان له شيوخ من النساء ، اللاتي بلغن الفاية في العلم والتبريز فيه ، منها : آسية بنت جار الله المحدثة ، وكمالية بنت محمد الهاشمية المكية ، وأم هانىء بنت أبي الحسن الهرويوني الكاتبة المحدثة ، وأم الفضل هاجر بنت محمد المقدسى المحدثة وغيرهن ، مما يدل على المكانة العلمية التي بلقتها المرأة العربية في ذلك العصر .

نان السيوطي من شيوخه اجازات عدة في تدريس العلوم المختلفة ، إلا أنه لم ينقطع عن التحصيل طوال عمره ، فكان يعلم ويتعلم ، وقد تتلمذ عليه عشرات من الأعلام ، منهم الشيخ عبدالقادر بن محمد الشاذلي ، ومحمد بن عبد الرحمن العلقمي ، وعلى بن محمد بن يخلف ، وشمس الدين محمد الداودي .

★ ★ ★

كانت رحلات العلماء هي السبيل إلى تحصيل المعرفة ، فجاب السيوطي في حياته جانباً كبيراً من العالم الإسلامي ، طالباً العلم ، فرحل داخل الديار المصرية وسافر

الى الشام واليمن والهند والمغرب وتركيا والعجاز وكان عصره عصر سعى العلماء فيه لجمع وحفظ التراث العربي بعد أن غُزا المغول بفداد وأحرقوا وأغرقوا ما وجدوا في خزائن الكتب ، فظهرت الموسوعات في كل علم وفن ، وقابل ذلك نهضة فكرية في مصر زمن الماليك ، وبرز في هذا القرن أعلام منهم ابن حجر العسقلاني مؤلف « الدرر الكاملة في أعيان الملة الثامنة » ، والسعاوي مؤلف « الضوء الالامع في أعيان القرن التاسع » ، فاكتسب السيوطني من هؤلاء نزعتهم الموسوعية ، ونحا نحوهم في التأليف ، الذي يقوم على جمع العلم ، أو اختصاره في رسائل مبسطة تقربه الى أذهان الناس .

توزعت حياة السيوطني في مستهل عمره بين التدريس والمناصب ، فدرّس الفقه في الجامع الشيعياني ، والحديث في الخانقاه الشيعيانية ، وأسندت اليه مشيخة الخانقاه الببيرسية ، ثم جمله الخليفة المستكفي كبراً للقضاء ، يولئي منهم منْ يشاء ، ويمزِّل منْ يشاء ، مما أثار الحسد في نفوسهم .

فلما تولى السلطنة في مصر (طومان باي) ، ولم تكن علاقة السيوطني به حسنة ، تشجع صوفية الخانقاه التي كان يديرها السيوطني ، فشاروا عليه ، لأنَّه أراد أن يصلح أمور هذه المؤسسة ، بعد أن فسَّدت صوفيتها ، فامتلكت الأموال والعيدي ، واستغلت مخصصات الخانقاه ، التي كانت تصرف على الفقراء من طلاب العلم .

ولم يهادن السيوطني هؤلاء الفاسدين ، فشدد عليهم الخناق ، غير أن بعض حساده من القضاة آذروهم على ما يبذلو ، فشبَّه عليهم الطلاب ، وضربوه ، وألقوه بشيابه في الماء ، وذلك في سنة ٩٠٦ هـ . فهجر التدريس والمناصب ، واعتزل الناس في بيته ، منقطعًا للعبادة والتأليف حتى وفاته . وقد ألف في ذلك كتاباً دعاء : « التنفيس في ترك الفتيا والتدريس » .

لم تكن الواقعة بعد ذاتها سبباً لهذا التحول في حياته لولا شخصيته وطبعه ، فقد كان يضيق بالمناصب ويكره تقاليدها . وقد روَى عنه أنه توجه الى السلطان (قايتباي) مرة ، وعلى رأسه طليسان ، مما لا تسمع به تقاليد المثول بين يدي السلاطين ، بالإضافة الى ميله للتفرد والعزلة ، ونزامة ضميره ، في

عصر شاع فيه الفساد، وامتد الى العلماء أنفسهم ، الذين كان همهم الطمع في أمور الدنيا ، يسخرون علمها لنيل مكاسبها .

كانت للسيوطى مواقف عنيفة ، وصراعات مع خصومه من العلماء ، من ذلك دفاعه عن ابن الفارض ، فاعتصب ضده من العلماء ، منهم برهان الدين البقاعي ، وقاضى القضاة محب الدين بن الشحنة ، فنادوا بتکفیره ، بسبب أبيات نظمها ابن الفارض ، وردت في تائيته الكبرى ، فألف السيوطى كتاباً يرد فيه على المعارضين سمّاه : « قمع المعارض في الرد عن ابن الفارض » . كما دافع عن ابن عربي المتتصوف الشهير ، في كتاب آخر عنوانه « تنبية النبي الى تبرئة ابن عربي » . وكتاباً ثالثاً في نصرة الغزالى ، عنوانه « درج المعالى في نصرة الغزالى على المنكر المغالى » .

لقد أثارت المنزلة العالمية التي نالها السيوطى في حياته ، وعلمه الواسع ، ومصنفاتـه في الرد على خصومه غضـب هؤـلاء المـخصوصـ، فـعملـوا عـلـيهـ وـشـنـعواـ فـاتهـهـ . وـمنـهـمـ السـخـاوـيـ المؤـرـخـ ، وـابـنـ الـكـرـكـيـ ، وـابـنـ الـعـلـيـفـ وأـحـمـدـ بنـ مـحـمـدـ العـسـقلـانـيـ .

وكان السيوطى يرد عليهم برسائل يؤلفها مثل كتاب : « الكاوي على تاريخ السخاوي » ، مما أثر في نفسه وحياته ، وكان يتمثل يقول الشاعر :

أَلْمَ تَعْلَمْ بِأَنِّي صِرْفٌ
أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ عَلَى مَعْنَى
فَمَنْهُمْ بَهْرَاجٌ لَا خَيْرَ فِيهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ أَجْوَزَهُ بِشْكِي
بِتَزْكِيَتِي وَمِثْلِي مَنْ يَزْكَنِي

وقد ندم كثير من هؤلاء العلماء على مخاصمتـهـ ، بعد أن طبـقتـ شهرـةـ السيـوطـىـ الآفاقـ ، فـاعتـذرـواـ لهـ ، وـأـسـفـواـ عـلـىـ ماـ رـمـوهـ بـهـ ، فـصـفـحـ عـنـهـ بـعـلـمـهـ الكبيرـ .

* * *

□ وفاته :

ذكر ابن إياس أن وفاة السيوطى كانت يوم الخميس ، التاسع عشر من جادى الأولى سنة ٩١١ هـ ، وقيل يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى ، وله من

العمر احدى وستون سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقد رثاه الشيخ عبد الباسط الحنفي بقصيدة قال فيها :

مات جلال الدين غوث الورى مجتهد العصر إمام الوجود
وحافظ السنة مهدي الهوى ومرشد الصال لتفع يعود
فيأ عيون انهمي بعده ويا قلوب انفطري بالوقود

ومشهده قائم الى اليوم شرقي بباب القرافة المواجهة لمسجد السيدة عاشة
بالمقابر .

عاصر جلال الدين السيوطي من السلاطين المالكية البراكسة اثنى عشر سلطاناً ، فقد ولد في عصر الظاهر جقمق ، ومات في عهد السلطان قانصوه الغوري .

★ ★ *

□ مؤلفاته :

تناولت مؤلفات السيوطي عدة علوم ، برع في بعضها ، وبعضها - كما يعترف - لم يبلغ الغاية فيها . فقد برع في الفقه والجدل والتصريف ، وكان دونها في الانشاء والترسل والفرائض ، ودونها في القراءات التي لم يأخذها عن شيخ ، ودونها في الطب . أما علم الحساب ، فكان أصغر العلوم بالنسبة له . ولتأليف السيوطي خصائص جعلت كتبه تروج في عصره وتطفى على ما ألف في باهها . وهذه الخصائص هي التي حدت بمعاصريه أيضاً أن يطبعوا عدداً وافراً . ومن هذه الخصائص :

١ - الاجتهاد والامتناع :

فقد أوتي قدرة على تتبع العلم واستيعابه وتمثله والاحاطة به من مصادره المختلفة . ويقول عن نفسه في ترجمته الذاتية :

« وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثنا بنعمه الله لا فخرأ ، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها في الفخر ٤٠٠ وقد أزف الرحيل ، وبذا المشيب ، وذهب أطيب العمر ، ولو شئت أن أكتب في كل

مسألة مصنفًا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبيتها : والموازنة بين اختلاف المذاهب لقدرٍ على ذلك ٠٠

وفي هذه الاحاطة والشمول نزعة موسوعية وتتبع مرضٍ للمرجع لا يقدر عليه الا العالم الصابر المتجلد . على أن كده لم يكن منصباً على النقل فحسب ، بل كان مجتهداً يبذل جهده في طلب المقصود .

وللسيوطى كتاب عنوانه : « التنبية بمن يبعثه الله على رأس كل مائة » ذكر فيه أسماء المجتهدين المجددين حتى عصره .

لقد ادعى السيوطى الاجتهد ، وجرّت عليه دعوته كثيراً من المشكلات ، فقد أخذ عليه أنه لا يجيد علم المنطق ، والمجتهد يجب أن يكون ملماً بالمنطق . ولكن السيوطى دافع عن نفسه وأثبت إمامته بهذا العلم ، وإن كان قد ذهب إلى تحريم الاشتغال به ، ولخص كتاب ابن تيمية الذي ينقض قواعد هذا العلم .

كان السيوطى أهلاً للاجتهد ، اجتمعت فيه شروطه ، والتي لخصها في منظومته عن المجتهدين المجددين . فقال :

وهو على حياته بين الفتن
ويُنْصَرِّ السُّنْتَةَ فِي كَلَامِهِ
وَان يَكُونَ جَامِعًا لِكُلِّ فَنٍ
مِنْ آلِ بَيْتِ الْمَسْطَفىِ وَهُوَ قَوِيٌّ
وَكُونَهُ فَرِدًا وَهُوَ الشَّهُورُ
والشرط في ذلك أن تعضي المثلة
يُشار بالعلم إلى مقامه

وذكر السيوطى في منظومته أنه يرجو أن يكون هو مجدد المثلة التاسعة الهجرية ، غير أن الشيخ عبد المتعال الصعیدي في كتابه « المجددون في الإسلام » يستبعد أن يكون السيوطى مجدد القرن التاسع ، لعدم اشتغاله بالفلسفة والمنطق ، وأنه بضاعته في العلم بضاعة جمع واختصار ، فلم يأت بجديد يذكر .

والحق أن تجديد السيوطى يظهر أكثر في توجيهه تأليفه لتكون ملبيّة لحاجات الناس ، نافعة لهم ، ولذلك راعى فيها التنوع والشمول والتراكيز ، فمنها ما هو عظيم القيمة ، ككتابه (الاتقان في علوم القرآن) و (المزهر في علوم اللغة) وهو فريد في باهه .

ومن مميزات أسلوبه في التأليف السلسة وجمال العبارة وحسن العرض ،
والأمانة في النقل ، فهو يرد الأفتخار والأراء إلى مصدرها ، والغbir إلى اسناده .

٢ - ومن خصائص تأليفة تزويد القارئ بفوائد قد تفوت على كثير من الناس ، واهتمامه بالطائف والأمور الدقيقة ، ومنهجه يقوم على احصاء الظواهر المعرفية ، كاستقصائه المفردات الفريدة في القرآن الكريم ، واستدراكه منها ما لم يرد قبله ، واحصائه المفردات القرآنية التي جاءت بغير لغة العجائب . ومنها على سبيل المثال: « سامدون » و معناها « مفنون » بلغة أهل اليمن ، « ولا وزر » و معناها « لا حيل » بلغة أهل اليمن . وذلك كله في كتابه « غريب القرآن » .

ان استعراض مؤلفات السيوطي كلها كالغوص في بحر واسع ، ذلك أنه لم يترك فنا الا كتب فيه ، ولا علما من علوم عصره الا طرقه ، وسأكتفي بهذه الالامة الوجيبة بالكلام عن بعض مؤلفاته :

آ - في علوم الدين :

١ - الاتقان في علوم القرآن : حققه محمد أبو الفضل ابراهيم ، وهو كما يقول الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي : الحلقة الذهبية في سلسلة الدراسات القرآنية ، أحسنها تأليفاً وتصنيفاً ، وأكثرها استيعاباً وشمولًا . وقد جعله مقدمة لكتابه في التفسير المسمى « مجتمع البحرين ومطلع البحرين » وطبع الكتاب مرات عده في جهات متعددة . جمع المؤلف مادته من أكثر من مائتي كتاب من الكتب الجامعية ، وتحدث فيه عن القرآن الكريم منبع العلوم ، ثم تناول ثمانين موضوعاً حوله ، وهي تكاد تكون ضعف موضوعات كتاب « البرهان » للزرتشي الذي سبقه إلى التأليف في هذا الباب ، كما خصّ الجزء الرابع منه بالحديث عن إعجاز القرآن .

٢ - جمع الجواجم أو الجامع الكبير: جمع فيه كل ما وصلت إليه يده من أحاديث الرسول عليه وسنته ، وجعله في قسمين : الأول تضمن الأقوال مرتبة على حروف المعجم ، والثاني الأفعال مرتبة على الأسانيد . ونظرأ لضخامة هذا الجامع الكبير ، فقد قام السيوطي باختصاره في كتاب سماه « الجامع الصغير » واختار فيه أصح الأحاديث وأكثرها ايجازاً .

٣ - الاكليل في استنباط التنزيل : طبع في بيروت عام ١٩٨١ وحققه عبد القادر الكاتب . وتحدث فيه عن استنباطات العلوم من القرآن الكريم .

٤ - الدر المنثور في التفسير بالتأثر : وهو مختصر لكتاب مطول جمع فيه أكثر من عشرة آلاف حديث من تفاسير النبي (ص) والصحابة للقرآن الكريم .

٥ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : بين في ما أضافه الوضاع إلى أحاديث النبي (ص) وقد طبع مرات عدّة .

٦ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : دافع فيه عن سنة النبي (ص) والطعن فيها ، ورأى فيه أن الصوفية المحققين محافظون على السنة ، وأورد أقوالاً لهم في ذلك . منها قول الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفي أثر رسول الله (ص) .

٧ - تفسير الجلالين .

٨ - الأشباء والنظائر « في الفقه » .

ب - في التاريخ والتراجم :

١ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : وهو كتاب ذكر فيه السيوطي الآيات التي وردت في القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة ، وفيها تنويه بفضل هذا البلد ، وما نزل به من الأنبياء ، ومن كان فيه من الصديقين والحكماء ، ثم ذكر عجائب مصر القديمة ، والفتح العربي لها ، والصحابة الذين دخلواها ، وأمراءها وملوكها وسلامطينها ، وأثارها الإسلامية ولطائفها ، وأورد ما قاله الشعراء في وصف معانستها . فكان كتابه أشبه بدائرة معارف .

٢ - تاريخ الصحابة .

٣ - تاريخ الخلفاء .

٤ - طبقات الحفاظ .

٥ - طبقات المفسرين .

٦ - طبقات الأصوليين .

٧ - طبقات النحوين .

ج - في البلافة :

١ - عقود الجمان في علم المعاني والبيان : (جمع الأبواب التي تشمل عليها هذه العلوم) .

٢ - الافتتاح . ٣ - شرح تلخيص المفتاح .

٤ - فتح الجليل للعبد الذليل : يتضمن مائة وعشرين نوعاً من البديع وجدتها السيوطي في آية واحدة هي قوله تعالى : « الله ولِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَخْرُجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » (سورة البقرة ٢٥٧) .

د - في الأدب المنشور :

١ - ورد الكلم وغيره الحكم : رسالة ضمنها نظراته وحكمه في الحياة .

٢ - رشف الزلال عن السحر العذال : المشهور بمقامات النساء وهو يتضمن عشرين مقامة ، تدور بين عشرين غالباً تزوج كل منهم ووصف أول ليلة قضاهما مع زوجته مستخدماً توريات لطيفة . ومن هؤلاء العلماء المقريء والمفسر والمحدث والفقير والأصولي والجولي واللغوي . مظهراً براعته اللغوية ناقداً عصره ومجتمعه .

٣ - الوسائل إلى معرفة الأوائل : أخذه من كتاب المسكري ، وزاد فيه وأحسن ترتيبه ، وموضوعه يتناول الأوائل من كل باب ، كقولهم أول من خلب فلان ، وأول من ليس كذا ، . . . وهو كتاب مخطوط .

ه - في الطب :

ـ المنهج السوي والمنهل الردي في الطب النبوي : جمع فيه الأحاديث الخاصة بالطب .

و - في الشعر :

له مقطوعات من الشعر متفرقة ، وقصائد في الرثاء ومدح شيوخه ، وله بديعية جميلة تسمى : نظم البديع في خير شفيع :

مطلعها :

من العقيق ومن تذكار نبي سلم براءة العين في استهلالها بلـ

ومختاراته الشعرية تشهد بحسن ذوقه الأدبي .

ذ - في اللغة وعلومها :

١ - المُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها ، وهو في جزأين يبحث أولهما في الفاظ اللغة وأصلها وصيغتها ، ومتوادرها ومرسلها ، وطرق الأخذ ، ومعرفة المصنوع والفصيح والضيق والمنكر . . . والمطرد والشاذ ، ويبحث الجزء الثاني في أوزان الكلام ، وأبنية الأفعال وضوابطها ، والنادر من الأبنية .

ويعد الكتاب مرجعاً في الدراسات الألسنية ، لا يضارعه إلا مؤلفات ابن جني ونظرات الباحظ ، ولم يسبق إليه في منهجه سابق .

* * *

هذا هو جلال الدين السيوطي صاحب القلم الفيتاض الذي يقول فيه تلميذه الداودودي : « وعانيت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراسيس تعريضاً وتالينا ، وكان مع ذلك يُملئ الحديث ، ويجيب عن المعارض بأوجوبة حسنة . . . ! » ولا يسعنا في آخر المطاف الا أن نحنى رؤوسنا إجلالاً للسيوطى ذلك المبقرى المبدع ، والعالم العربي المسلم الذى نادراً ما تجود بمثله العصور . . .

دمشق : عبد اللطيف ارناؤوط

□ مراجع البحث :

- ١ - كشف الظنون لعامي خلية .
- ٢ - الجنيدون في الاسلام - عبد المتعال الصعيدي .
- ٣ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطى .
- ٤ - جلال الدين السيوطي منهجه وتراثه الفكرية محمد جلال أبو الفتوح .
- ٥ - العاظظ جلال الدين السيوطي - عبد الحفيظ فرغلي القرني .
- ٦ - معجم الآباء - لياقوت العمودي .

* * *

السيوطى

علامَة عَصْرِه

سعدي أبو جيث

علامة فذ ، ونابغة له عند اهل العلم مقعد صدق ، ولأثاره من الشهرة ، والذیوع في عصره ، وبعد عصره ، ما ليس لغيره من نوابغ العلماء . لأن فيها خلاصة ما جادت به قرائع عباءقة الاسلام، مع فکر محقق، وعقل حافظ عجيب..

□ الاسم والنسب :

هو الامام الجليل ، شيخ الاسلام عبد الرحمن بن كمال الدين أبي يكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي صلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري السيوطي ..

□ لقبه :

جلال الدين ، وبه اشتهر ..

□ كنيته :

أبو الفضل ..

جده الأعلى ينتمي إلى محله معروفة في شرق بغداد ، هي الخضيرة .
ووجه الأدنى هاجر إلى أسيوط (أوسيوط) المدينة العاشرة في صعيد مصر ، وبها كانت ولادة ولده كمال الدين ، واليها انتسب السيوطي ، وبها عُرف ، وتفرد من بين العلماء ، مع أنه من مواليد القاهرة ، ولم يزرهما قط ..

* استاذ باحث ٠٠ له مؤلفات في الفقه والتاريخ الاسلامي ٠٠

□ الأسرة :

كانت هذه الأسرة من وجوه الناس ، وسراطهم ثراء ، وتجارة ، الا الجد الأعلى ، فانه كان من « أهل الحقيقة » ، ومن « مشايخ الصوفية » ، ولم ينبع فيهم واحد من أهل العلم غير والد السيوطي ، الذي ولد سنة (٨٠٦ هـ أو ٢٠٧ هـ) ، وأخذ العلم عن علماء أسيوط ، ثم رحل الى القاهرة سنة ٨٢٥ هـ ، وبها استقر .

درس الفقه على قاضي القضاة محمد علي القaiاتي ، والمحدث الشريف على العافظ الكبير ابن حجر العسقلاني ، وولي القضاء ، وبلغ منزلة اجتماعية عالية ، حتى ان الخليفة الباسى المستكفي باهله كان يجهله ، ويحترمه . ودرس الفقه بالجامعة الشيفونى ، وكان يخطب بجامعة ابن طولون ، وله في فن البيان ، والاشمام شهرة .
وكان على حظ كبير من الدين ، والورع ، وعزبة النفس ، مع ميل للمعزلة ، والانفراد .
وكانت له مكتبة خاصة بمنافع الكتب ، وقد ترك بعض المؤلفات في القراءات ، والنحو ، والصرف ، وغيرها .

اما الأم ، فكانت جركسية من أصل فارسي ، لم يُعلم من سيرتها الا أنها عمرت حتى شهدت وفاة ولدها ، ودفنت الى جانبه .

□ النشأة الأولى :

في هذا البيت الكريم ، وبين الكتب ، ولد جلال الدين ، فكان فرحة أبيه العالم ، -
والأديب وأمه الرؤوم .

ولم يكدر يقوى على المشي حتى اصطحبه والده الى حلقة العافظ ابن حجر ، ليكون ذلك أول خطوة في طريق العلم .

وما ان بلغ الولد ربيعة السادس ، حتى فجع بأبيه (سنة ٨٥٥ هـ) ، فتولت أمه رعايته ، فأخذت بيده الى صديق أبيه ، الفقيه الحنفي الكبير الكمال بن الهمام ، ليتولى تعليمه ، وتذويبه . فقام بذلك خير قيام الى أن أتاه اليقين سنة ٨٦١ هـ ، وكان عمر السيوطي احدى عشرة سنة ، أصاب خلالها الحظ الوفير .

□ في مدارج العلم :

فقد حفظ القرآن الكريم ، وهو ابن ثمان ، وحفظ كتب التنبية لأبي اسحق الشيرازي ، وتهذيب الفروع للبغوي ، وروضة الطالبين ، والمنهج للنحووي ، وجميعها في الفقه الشافعى ، و منهاج الأصول للبيضاوى ، وعمدة الأحكام للحافظ المقدسى في الحديث الشريف ، والفقیہ ابن مالک في النحو ، وهو فقى .

ومن وقف على هذه الكتب أدرك قسوة الذاكرة الحافظة الوعائية ، التي وهيما الله سبحانه لهذا الشاب ، وأدرك أيضاً ما يتسم به من صبر على طلب العلم لا يمكن أن يكون من طبع المراهق ، ولا اليافع ، فمن أوتي ذلك كان من نوابغ الرجال .

في سنة ٨٦٤ هـ اتجه السيوطي نحو كبار علماء عصره ، فامتحنوه فيما حفظ ، فأجاب ، وأجاد ، وتلك اجازة تغوله شرف الجلوس في حلقة العلم .

لازم السيوطي هؤلاء العلماء ملزمة جادة ، فما ترك واحداً منهم عنده شيء لا أخذ عنه ، حتى بلغ عدد شيوخه نحواً من مئة وخمسين . فإذا أضيف إليهم من أخذ عنه العلم بالاجازة ، لا بالتلقي ، بلغ الجميع أكثر من ستمائة شيخ . وهذا ما لم يعهد مثله لأحد من فحول أهل العلم .

وكان أبرز هؤلاء العلماء ، وأعمقهم أثراً في شخصية السيوطي ثلاثة :

أولهم : الشيخ علم الدين صالح البلقيني (توفي - ٨٦٨ هـ) ، وقد لازمه السيوطي ملزمة تامة ، وتلقى اجازته بالتدريس ، والافتاء سنة ٨٦٧ هـ .

بل إن هذا العلامة الكبير أحاط السيوطي بتكريمه ما بعده تكريماً ، وذلك حين حضر أول درس القاء في الجامع الشيخونى ، وهو في الثامنة عشرة من عمره .

وأوسطهم : الإمام تقى الدين أحمد بن محمد الشمنى (ت ٨٧٢ هـ) ، أبرز شيوخه في في النحو والمربى ، وكثيراً ما كان يشهد للسيوطى بالتقدير ، والتفوق بالعلم .

وآخرهم : العالمة معين الدين الكافيجي (ت ٨٧٩ هـ) ، الذي لازمه أربعة عشر عاماً، لم يلزمه مثلها شيخاً سواه ، وكان صديقاً لأبيه، وزميلاً في التدريس بالجلمع الشيخونى، وهو الذي أعاد السيوطى على أن يأخذ مكان أبيه . وقال في حقه : ما كنت أعد الشيف الكافيجي إلا والدا لي بعد والدي ، لكرهه ما له على من الشفقة والإفادة .

وكان آخر شيوخه موتاً الشيف سيف الدين محمد بن محمد قطليوفا العنفي المتوفى سنة ٨٨١ هـ .

كما تلقى السيوطى العلم عن عدد من النساء الفاضلات ، منها أم هانىء بنت أبي قاسم الأنصارى، وخدجية بنت أبي الحسن اخت جلال الدين بن الملقن ، وأم هانىء مريم بنت الشيف نور الدين الهررينى ، والدة شيخه سيف الدين العنفي .

★ ★ ★

اما ساعات الدرس ، فحسبك أن تقرأ قوله : كنت أذهب من النجر إلى دروس البلقيني ، فاحضر مجلسه إلى قرب المسر ، هكذا أيام الجمعة والسبت والاثنين والخميس . وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيف سيف الدين العنفي ، بكرة . ومن بعد الظهر في هذين اليومين ، ويوم الأربعاء عند الشيف الكافيجي » . وما يبقى من الوقت ، لشيخ آخر ، وللحفظ ، والمطالعة ، وللحاجة الجسد ، فتأمل !

★ ★ ★

وفي سنة ٨٦٩ هـ حج ، واجتمع بعدهم علماء الشام ، والجaz ، فتلقي عنهم . وفي السنة التالية طوف في كبرى المدن المصرية ، وقابل علماءها ، فأخذ عنهم ، وأخذوا عنه . وكان يكتب عن رحلاته ، وما لاقاه فيها ، ومن قابله من الرجال .

لقد ذكر الباحثون المعاصرون الذين ترجموا للسيوطى أنه رحل إلى بلاد الشام ، والجaz ، والهند ، والمغرب ، والتكرور^(١) ، واليمن . واستند هؤلاء إلى نص جاء في ترجمة السيوطى لنفسه في كتابه « حسن المعاشرة » :

د وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين . وبلفت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثة كتاب ، سوى ما غسلته ، ورجمت عنه . وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام ، والجaz . واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتكرور .. « فظن هؤلاء أن النّاس في (سافت) هي تاء الفاعل ، ولذلك أدعوا أن السيوطى قام برحلات إلى جميع تلك البلاد سوى بلاد الشام ، والجaz في رحلة المعج .

وليس هذا بدقيق ، لأن النّاء هي تاء التأنيث ، والفاعل عائد إلى مؤلفات السيوطى التي انتشرت في هذه البلاد . ويدل على ذلك أن السيوطى قد دون سيرته النّهائية بمنعة الله « بصورة موسمة » ، وبعد سنوات من « حسن المعاشرة » ، ولم يذكر تلك الرحلات .

كما أن جميع من عاصر السيوطى ، من ترجم له ، كالشعراني ، والشاذلي ، وأبن اياس ، وهم من تلاميذه ، ومربييه ، وكذلك السخاوي ، ومن أخذ عن هؤلاء لم يذكروا شيئاً من ذلك .

* * *

□ المناصب :

سبعة عشر عاماً (٨٦٤ - ٨٨١ هـ) ، والسيوطى جاث على الركب بين أيدي العلماء ، يصفي ، ويحفظ ، ويكتب ، فإذا أضيغت إليها السنوات التي أمضاها في ظل وصيه ، وراعيه الكمال بن الهمام أدركنا أبعاد الثقافة التي فاز بها ، والمكانة التي تبوأها بين أقرانه ، وهو بكل ذلك جدير .

وفي عام ٨٦٦ هـ تصرّر لتدرس العربية بعد أن أجازه شيخه الشّنّئي بذلك . وفي سنة ٨٦٧ هـ تولى تدريس الفقه في المدرسة الشّيخوخية ، وهو المنصب الذي كان لأبيه من قبل ، وأضيف إليه تدريس الحديث الشريف .

وفي سنة ٨٧١ هـ كان له الافتاء العام .

وفي سنة ٨٧٢ هـ جلس لإمام العدّيـث النبوي في جامـع أـحمد بن مـولـون ، بعد أن انقطع بوفاة الحافظ ابن حجر المـسـقلـانـي سنـة ٨٥٢ هـ .

وفي سنة ٨٩١ هـ أصبح شـيخـ الخـانـقـاهـ الـبـيـرسـيـهـ ، أـكـبـرـ خـوانـقـ مصرـ ، وأـغـانـاهـ ، إـضـافـةـ لـشـيخـ الصـوـفـ بـتـربـةـ بـرـقـوقـ النـاصـريـ .

وفي سنة ٩٠٦ هـ صرفة السلطان طومان باي عنها ، بعد تمرد الصوفية عليه ، ثم عرضت عليه سنة ٩٠٩ هـ ، فأباهما وكان هذا آخر عهده بالمناصب .

□ من التلامذة :

من دروسه الحافلة بطلبة العلم وعشاق المعرفة ، نبغ أعلام لهم ذكر وأي ذكر ، فيهم محدثون ، وفقهاء ، ولغويون ٠٠ من أشهرهم : محمد بن أحمد بن إيمان ، مؤرخ مصر الشهير (توفي ٩٣٠ هـ)

وعبد القادر بن محمد الشاذلي المصري ، صاحب كتاب بهجة العابدين في ترجمة الحافظ جلال الدين ، وقد لازمه فترة طويلة ٠ (توفي ٩٣٥ هـ)

والحافظ شمس الدين محمد بن يوسف الشامي ، صاحب كتاب « سبل الرشاد في مير خير العباد » المعروفة بالسيرة الشامية . وهي أجمع وأنفع ما ألفه المتاخرون بالسيرة النبوية ، وقد استقاها من ألف كتاب (توفي ٩٤٢ هـ)

وশمس الدين محمد بن علي الداودي ، شيخ أهل الحديث في عصره ، أشهر تلامذة السيوطي ، وأكثرهم اتصالا به ، واعجابا ، وهو كاتب سيرته ، وناشر مؤلفاته . (توفي ٩٤٥ هـ)

□ مؤلفاته :

ومع عظيم قدر هؤلاء التوابع من الطلبة ، فإنهم لم يكونوا سبب خلود ذكر السيوطي ، كما كانت مؤلفاته التي وجدت من الشهرة ، والذبيح في أيامه ، ما لم تفز به مؤلفات أي عالم آخر ، كما جعلت منه أحد كبار المؤلفين في التاريخ الإسلامي .

وانك لا تستطيع أن تكتب في أي جانب من جوانب المعرفة ، ولا سيما في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والتاريخ ، واللغة ، إلا وجدت نفسك مشدوداً إلى مؤلفه ، أو أكثر مما خطه قلم السيوطي المطاء ٠

لقد كتب سنة ٩٠٤ هـ فهرساً بمؤلفاته ، بلغت ثانية وعشرين وخمسة ، موزعة كما يلي :

ستة وثلاثون منها في فن التفسير ، وما يتعلّق به ٠

ثلاثة ومتنان في الأصول ، والعقائد ، والتوصوف ٠

تسعة وستون في الأدب ، والتوادر ، والإنشاء والشعر ٠

ثلاثة وستون في اللغة ، والنحو ، والصرف ٠

تسعة وعشرون في التاريخ ٠

تسعة في كتب جامعة لفنون علة ٠

فإذا علمنا أنه عاش بعد ذلك سبع سنين هي أكثر أيامه انتاجاً، أدركنا صعوبة حصر كتبه، وسبب الاختلاف في المدّ، حتى أن من الملماء من جاوز بها التسعين عدداً .
غير أن الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، في مؤلفه الخاص بكتب السيوطي، ذكر أنها خمسة وعشرون وسبعين، المطبوع منها أربعة ومتنان، والمخطوط ثلاثة وسبعون ومتان، محفوظة في المكتبات العامة والخاصة، أماباقي فمجهول، ولمل القابل من الزمن يظهره .

ولنكن كان العديد من هذه الكتب قد جاء في بعض ورقات، أو تجزئة لبعض منها، فإن المجلد، والمجلدات . . وما تاريخ الغلام، والأشيه والنظائر في أصول الفقه عند الشافعية، والأشيه والنظائر في النحو، والزهر في علوم اللغة، والجواامع في الحديث، والدر المنشور في التفسير، عن أنظارنا ببعيد . .

* * *

□ منهجه العلمي :

للسيوطى في مؤلفاته، ولا سيما الكبيرة منها، منهجه علمي ثابت، فهو يحدد الموضوع، أو ما يريد بهثه من المسائل، والغاية من وراءذلك، ويجمع المادة الازمة، فإذا كتب جاءت مقسمة، مرتبة حافلة باقوال أهل العلم في كل مسألة، مع ذكر قائلها، والمصدر الذي استقاه منه، وهو متشدد في ذلك، حتى انه أفرد في «المزهر»، فصلاً يعنوان «عز وجل المعلم الى قائله»، وهو يهد ذلك من أمانة المعلم، وبركته .

وله في رجم هذا المنهج رسالة يعنوان «التعریف بآداب التأليف»، وتصوّص وردت في بعض مقاماته، مثل : مقامة «الفارق بين المصنف والسارق»، ومقامة «طروز المعاشرة في التفرقة بين المقامة والمقامة»، ومقامة : «الكاوى في تاريخ السخاوي»، و«المقامة اللؤلؤية في الاعتذار عن ترك الفتى والتدريس» .

وهو في الكتابة بعيد عن الاستطراد، متأثر بطريقة علماء الحديث بالجمع، والنقل، والاسناد .

وربما تأثر ياصول الفقه أيضاً . فقد ألف كتابه : «الاقتراح في أصول النحو» وذكر أنه ربته على أصول الفقه، في الأبواب، والفصول، والعنوان الذي عنون به كلامها.

* * *

وان كتب السيوطي خلو من أي تجدید، أو ابداع فكري، وهذا هو الأسلوب الغالب في مؤلفات علماء عصره . ومع ذلك، فإن هذا الأسلوب، كان قد حفظ لنا نقولاً من مؤلفات فقدت بسبب النزوح الهجري الذي تعرّض له شرق العالم الإسلامي على يد جنكيز خان ، وهو لا يكروه، وغيره على يد الإسبان، عندما سقطت غرناطة آخر مدينة في الأندلس ، سنة ٨٩٧ هـ . وقد أحرق الكريديتال زيمتسى نحو مائة ألف مجلد كانت في مكتبتها العاملة .

* * *

□ الثقافة :

هذه المؤلفات التي حوتها مكتبة السيوطي غير شاهد على تبعه في التفسير ، والحديث ، والفقه ، وال نحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع .. وعلى أنه عالم بالأصول ، والتاريخ ، ومطلع على فنون المعرفة الأخرى ، وعلى أنه في الأدب ، والشعر مكانتاً مقبولاً . ولذكر الأمثلة على ذلك موضع آخر .

اما علم المنطق فقط اعرض عن دراسته حين وقف على أقوال بعض الفقهاء بتعريفه الاشتغال فيه ، وكتب سنة ٨٦٨ هـ رسالة بعنوان « القول المشرق في تحريم المنطق » .

غير أنه بعد عشرين سنة اضطر لدراسته ، ومعرفة أصوله ، وقواعديه ، لتكميل دربه أهلية الاجتهاد ، وكتب بذلك كتاب « صون المنطق والكلام » .

★ ★ ★

وتدرك هذه المؤلفات على عمق ثقافة السيوطي، وقدرته على جمعها ، واستحضارها في فكره .

فتراء في المقامات يتكلّم على لسان المقرئ ، والمفسر ، والمحبّث ، والفقهي ، والأصولي ، والجدلي ، واللغوي ، والفلكي ، والطبيب ، والمنطقى ، والصوفي ، بمصطلحات كل من هذه العلوم والفنون . وربما أورد في المقامات الواحدة مصطلحات أكثر من علم وفن .. ويزين كل ذلك بما يحفظ من روائع الشعر ، وأقوال الحكماء ، والعلماء ، ويضع كل ذلك في محله اللائق .

ولو أن أحداً درس المقامات ، واستخرج ما فيها من مصطلحات ، لقدم لنا ثروة علمية ، وفنية ، قلما يظفر بمثلها عند أحد من العلماء . فيما أعلم .

★ ★ ★

وتشير تلك المؤلفات إلى أن تلك الثقافة كانت منظمة ، مرتبة ، لا اختلاط بين فروعها ، ولا تداخل ..

فلو وقفت على الفن الذي يكتب فيه ، لحسبت أنه لا يتقن غيره .. وتلك خصيصة فندة ، ونادرة .. حتى قال تلميذه الشاذلي في وصفه : « انفرد بغزاره العلم ، وكثرة الحفظ ، وسعة الاطلاع ، واستحضار كل تصنيف صنف بين عينيه .. ». وصدق فيما قال .

★ ★ ★

□ المكانة :

تبوا السيوطني في المجتمع مكانة رفيعة ، لما يتمتع به من غزارة علم ، وسعة تأليف ، وعراقة محتد .. ولم يكن في أهل العلم في عصره من يدانبه في ذلك الا شيخ الاسلام زكريا الانصاري ، لجلال قدره وعظمي علمه ، ولتقديمه في السن ، فقد ولد قبل السيوطني بربع قرن .

وقد بدأت شهرة السيوطني بين العلماء ، والعلامة على حد سواء سنة ٨٧٥ هـ حين وقعت في القارة معركة فكرية قامت حول أبيات من الشمر لابن الفارض وردت في قصيدة الثانية المشهورة . وكان العلام بين مهاجم يرمي ابن الفارض بالكفر والزنادقة لقوله بالحلول ، والاتباع ، وبين مدافع يدعى له الولاية ..

وكان من الفريق الأول العلامة برهان الدين البقاعي ، وقاضي القضاة محب الدين ابن الشحنة ، وقاضي القضاة عن الدين الحنبلي ، وثلة من أهل العلم .

واما الفريق الثاني ، فيترعى الكافيجي ، وقاسم العنفي ، وبدر الدين بن الفرس ، وجمهوره من أهل العلم ..

وcame بين الفريقين مناظرات ، وشطرت العامة قسرين .. وكان السلطان قايتباي ذو التزعة الصوفية ، والأمراء ، والكثرة من الناس مع الفريق الثاني ، وذلك لانتشار التصوف ، وطرقه في المجتمع ، وتغلله بين طبقاته .

وكان السيوطني مع الفريق الثاني ، فكتب رسالة : « قمع المعارض في نصرة ابن الفارض » . وأتبعها بأخرى يعنوان : « البرق الوامض في شرح يائية ابن الفارض » . وانتهى الى تعجب ابن الفارض ، وجعله من كبار الأولياء . بل يذهب الى انه من أعلام الفقهاء . وهذا ما لم يقل به أحد أهل العلم . وقد ترك له هذا الموقف شهرة ، وأي شهرة .

* * *

وكان السيوطني موضع احترام وتقدير أصحاب السلطة .. فالغليفة العباسى المتوكلى على الله الذى تولى الخلافة بين عامي ٨٨٤ و٩٠٣ هـ كان يبالغ في احترامه ، ويلقبه « شيخ الاسلام والمسلمين » و « حافظ مصر » و « مجتهد الوقت » .. وقد عهد اليه سنة ٨٩٢ هـ بالنظر بأمور القضاة في جميع البلاد، يقر الصالح منهم ، ويعزل سواه .. ولكن هذا المهد لم ينفذ ، لأن القضاة ثاروا عليه ، وعدوه افتئتا على السلطان .

واما سلاطين المماليك الذين عاصروهم ، فقد كان لهم في نفوذهم احترام شديد ، عدا السلطان طومان باي ، الذي توعده بالقتل ، فاختفى في عهده حتى خلع .. وكان الأمراء ، والأغنياء يقصدونه للزيارة ، ويتوددون له بالهدايا ، فيرفقون ..

* * *

وأما العلماء ، فكان السيوطي عظيم المنزلة عند أكثرهم ، موفور الكرامة بينهم ، يلقبونه بالعلامة ، والحافظ ، والآمام ، والمجتهد .

وأما العامة ، فلهم فيه اعتقاد كبير ، وهو عندهم من كبار الأولياء ، والعارفين ، ومن أهل الكشف ، والكرامات ، ويررون في ذلك القصص والأخبار .

* * *

وذاع اسمه في الآفاق ، ولا سيما بعد نصرته لابن الفارض .
وانتشرت كتبه في المغرب ، وببلاد الشام ، والعجاز ، وغيرها من أرجاء العالم الإسلامي ..
وأصبح مقصدًا يقصد إليه طلبة العلم ، كما يقصد إليه العامة لما ينتم به من ولادة ،
وكراهة . بل إن ملطان بلاد التكروز زاره لما قدم إلى مصر سنة ٨٨٩ هـ ، وسأله أن
يكلم الخليفة العباسى في أن يغوض إليه أمر بلاده ، لتكون ولايته صحيحة شرعاً ..

وبلغ من شأن السيوطي أن رسالة منه أخدمت ثورة عظيمة قام بها أحد قواد ذلك
السلطان ، فكتب للقائد يحذره من عقاب الله تعالى ، ويأمره بالطاعة ، ولزوم الجماعة
فاستجاب ، واستسلم للسلطان .

وفي رسالة أخرى وجهها إلى حكام بلاد التكروز ينصحهم ، ويدعوهم إلى الحكم
بشرى الله تعالى ، ويغوفهم عن ذنبه في الدنيا ، والآخرة (٢) .

وفي سنة ٨٩٨ هـ تلقى السيوطي رسالة من الشيخ شمس الدين المتونى من التكروز
فيها مشكلات فقهية مختلفة ، أجابه برسالة منشورة في كتابه العاوي ، تدل على مدى سعة
علمه ، وفقهه ..

* * *

□ المعاناة :

ارتقي السيوطي سلم المجد والشهرة مسرعاً ، يعيشه على ذلك عراقة البيت ، وتفتح
العقبالية المبكرة ، مع اعتداد بالرأي ، وثقة بالنفس .. ومن كانت هذه حاله زادت
متاعبه ، وكثير خصومه .

وقد عانى السيوطي من أهل السلطة ، والأقران ، والتصوفة ، والآباء الشيء
الكثير .

أما أهل السلطة في عصره :

فإن السيوطي عاش في عهد ثلاثة عشر سلطاناً من دولة المماليك العراكسة ، والتي
امتدت من عام ٧٨٤ هـ ، حتى ٩٢٣ هـ .

فقد ولد بعد سبع سنين من حكم الظاهر سيف الدين جقمق ، ومات بعد أربع من حكم السلطان الأشرف قانصوه الغوري .

وكان السلطان قايتباي الذي حكم نحو من ثلاثين سنة (٨٧٢ - ٩٠١ هـ) أفضلاهم ، وأشجعهم ، وقد استطاع أن ينشر الأمن ، وأن يردد الهجمات الخارجية عن مصر ، والشام ، والهجاز .

وقد خلفه في الحكم ابنه الملك الناصر ، وكان صغير السن ، فاشتد النزاع بين أمراء المالك .

وتعاقب على السلطنة من سنة ٩٠١ و حتى ٩٠٦ هـ خمسة سلاطين ، وصلوا إلى الحكم عن طريق الدسائس ، والفتنة ، وسفك الدماء ، وأخراهم طومان باي الذي لم يدم حكمه مئة يوم من سنة ٩٠٦ هـ ، لأن كلمة الأماء ، والقصبة قد اتفقت على خلمه ، وتولية قانصوه الغوري الذي قتل في معركة مرج دابق على مقربة من حلب (سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م) وهو يحاول صد العثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول عن الشام ومصر ، وبه انتهت دولة المالك .

كان من عادة مؤلام المسلمين أن يستقبلوا العلماء في القلعة ، ليكونوا زينة للبلاد .

وكان كثير من أهل العلم يأتون القلعة ، بسبب ارتباطهم بالدولة ، أو جبا للجاه ، أو خوفاً من الأذى والضر .

غير أن السيوطي كان لا يرغب بمثل هذه الزيارة ، ويرى أنها تخالف نهج السلف الصالح ، الذين كانوا يكتفون بزيارات اليسيرة في عمرهم ، ولضرورة مجلتها ٠٠ ومع ذلك فقد قام بزيارة السلطان قايتباي يوم ولِي مشيخة البهبرسية ، وزاره بعد أن شفي من مرضه .

كان السيوطي يرفض كل دعوة توجه إليه لزيارة السلطان ، مما أغضبه ، فنُزِمَ على قطع استحقاقه الشهري ، فلم يأبه له ، وكتب إليه « الرسالة السلطانية » ، وفيها جملة الأحاديث المروية في نهي العلماء عن التردد إلى السلطان ، فلما قرئَت عليه ، قال : « لو أخذني لي عمتي ، وضربني بها بعد هذه لِم أخاطبه » . غير أن أحد العلماء من حاشيته أُوغْر صدره عليه ، فعاد يتوعّد بقتله ، فكان جواب السيوطي على ذلك عزل نفسه من جميع الوظائف التي للحاكم عليها ولاية ، وكتب رسالة : « ما رواه الأساطين في عدم الجيء إلى السلطان ، وكان ذلك سنة ٩٨٩ هـ .

وكان في زيارته للسلطان مثلاً للعلم المعتز بشرف انتقامه للعلم ، لا يعني ، ولا يماري ، ولا يداهن .

وفي سنة ٩٠١ هـ غضب عليه السلطان حين زاره ، وعليه طبلسان^(٢) خلافاً للقواعد المرعية ، فلم يلتقط لذلك وكتب رسالة : « الأحاديث العسان في فضل الطيلسان » ،

وامتنع بعد ذلك عن زيارته حتى مات ، وكان أقسى السلاطين على السيوطى السلطان العادل طومان باي الذى أمر بالقبض عليه ، فاختفى منه خوف القتل ، لأنَّه كان يتهدى ويتوعده ، ولم يظهر الا بعد خلمه .

* * *

وبسبب موقف السيوطى من سلاطين المالك يرجع فيما أرى الى موقفه الخاص من الخليفة البابية .. فقد كان والده صديقاً لل الخليفة المستكفي ، وهو مثله في ذلك صديق الخليفة المتوكل . وله رسالة « رفع الباس عن بنى البابا » ذكر فيها فضليهم . وفي كتابه « تاريخ الخلفاء » ذكر معاحسن خلفائهم في مصر ، وتوسيع في سيرتهم ، وحين ترجم للخلفيين مدح ، وأفاض .

وكان يعد وجود الخلفاء في مصر سبب عظمتها ، وقوتها وازدهارها .

وان قناعته تلك تجعل من الخليفة الامام الشرعي ، والحقيقة ، فيجب أن يكون الحكم ، والسلطة ، وأمور الدولة جميعاً في قبضته . غير أن الواقع يؤكد أنه ليس له من كل ذلك الا الاسم . وأما عداه ، فيبيد سلطان المالك ، وأعوانه غصباً من حقوق الخليفة .

يُوصى بهم خلفاء مصر المباسيون ، فاستبدلوا بالأمر دونهم .

وفي مقامة الرياحين حوار بين أنواع الورود ، وما احتاج به كل منها على أنه الملك الفرد . ولما اشتيدت الملاحاة ، اتفقت الكلمة على اختيار حكم عدل ، عالم بالأصول ، والفروع ، معحيط بأغلب الفنون .

وبعد مرافعة طويلة أصدر حكمه ، فقال : « ليس أحد منكم مستحقاً عندي للملك » . وفي هذه المقامة يظهر أن قضية الحكم ، ومن يصلح له هي القضية التي قاتلت من أجلها هذه المناورة .

* * *

□ خصومة الأقران :

خاض السيوطى مع بعض علماء عصره معركة حامية الوطيس ، وكان أشد هم عليه وطأة الامام الجليل ، والمؤرخ الكبير عبد الرحمن السعراوى .

لقد عاب خصومه عليه كثرة المؤلفات ، وسرقة بعضها ، وادعاءه المريض ببلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعيوبه الصفت بشخصه .. وصاغوا حوارهم بلاذع القول .

فاما كثرة المؤلفات ، فقد نوقشت قبلًا . وأما السرقة ، فمن المستبعد جداً أن يقترفها إمام جليل ، كالسيوطى ، وقد علمنا تشديده في أمانة النقل ، وعده ذلك من شرف العلم ، وببركته .

ومع ذلك ، فإن التحقق من هذه التهمة كان في عصر السيوطى من الصعوبة بمكان .
أما في عصرنا الحاضر ، فإنه أيسر ما يكون ، بعد أن أخرجت المطابع جل كتب التراث .
اما دعوى الاجتهاد ، فهي التي أذكت الحقد ، وأججت العسد الذي قلما تخلو منه
نفس ، الا من رحم ربك ، وقليل ما هم .

كان السيوطى يدعى أنه «المجتهد الأعظم» وقد بلغ به الأمر أن وصف نفسه
«بالامام الذي يبعثه الله الى الأمة مرة في كل مئة عام» . وكانت هذه الدعوى عام ٨٨٨ هـ ،
وهو في سن الأربعين .

جهر السيوطى بادعائه في عصر كان فيه أمثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري ، وقبيل
كريم من الفقهاء الاعلام . ولقد استدل السيوطى على ذلك باحاطته بجميع العلوم ، والفنون ،
وتفرده فيها ، وبنديوع مؤلفاته ، وشهرته في بلاد الاسلام ، وهذا لم يكن لأحد من معاصريه .
اما دعوى الشهرة ، فتسل له ، وأما الاحتياط بجميع العلوم ، والفنون ، وأنه اوحد
زمانه ، فدعوى عريضة ، ولا شك ، والأعراض منها دعوى الاجتهاد المطلق .

وحسبك أن جميرا الصادق (ر) ، وأباحنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد ،
والطبرى ، والأوزاعى ، والثورى لم تخطر لهم هذه الدعوى على بال ، مع أن كلاً منهم
بلغ بـالمجتهد الأعظم جدير ، لاجماع الأمة على ذلك في كل العصور ، لا ينمازع فيه إلا
معاند ، أو مكابر . فاين السيوطى من هؤلاء ، وأمثالهم . بل اين هو من طبقة
المجتهدين في كل مذهب ؟ . ولئن سلمنا له مخالفته لفقهاء عصره في نحو خمسين مسألة ،
كما قال ، فانت لا تدرى أمسيقو هو فيها أم مجتهد . . . فان كانت الأخرى ،
فإن المجتهد الحق هو الذي يتحلى بملكة الاجتهاد ، والقدرة على اعطاء الحكم
الشرعى في واقعة لم تحكم بنفس ، ولا يقول لفقيه ، وذلك استناداً لقواعد الاستدلال
المعروف في أصول الفقه .

ومن وقفت على ما نشر من آثار السيوطى الفقهية لا يقف الا على جودة التصنيف ،
والاعتماد على أقوال العلماء ، ونقلها بدقة وأمانة ، ولا شيء موى ذلك .

وعلى كل حال ، فالمسألة عندي تحتاج لن يتصدى لبحثها ، والكشف عن موقع الامام
السيوطى بين أهل الاجتهاد ، يفعل ذلك كرامة للعلم ، وانصافاً للرجل .

واما ما يتعلق بشخصه ، فكلام هوا ، اعرضت عن ذكره ، لأن خصوصه أقنعوا
النقد ، فرد عليهم بيمثله ، فاستوفى بذلك حقه ، وخير للقلم أن يرتفع عن نشره ، لأنه
لا يسمن ، ولا يغنى من جوع .

ومهما يكن ، فحسب هذه الشخصة أنها أخرجت ما كان مخبأً من كنوز العلم في ذاكرة
المتخصصين ، فأاغنت الثقاقة ، وانتفت بها الأجيال .

وأما المتصوفة ، فقد كان لهم في عصر السيوطني صولة ، ودولة ، تأتיהם الأرزاق الوفيرة من أوقاف الخوانق^(٤) التي أنشأها السلاطين ، والأمراء ، والأغنياء .

وبعيد أن تولى السيوطني مشيخة البابوية ، وجد الكثير منهم لا يستحق هذا الرزق ، لأن شرط الواقع لا ينطبق عليهم ، وهو ما لا يمكن له السكوت عنه ، لأن الفقيه والمعلم بأن شرط الواقع كنص الشارع ، كما هو مقرر في كتب الفقه .

وفي سنة ٩٠٣ هـ أمر السيوطني بعزمان من لا ينطبق عليه شرط الواقع من استحقاق ، فتجدهم مؤلاء وهم كثير وإندفعوا نحوه ، وجسروه ، وألقوا به في البركة ، وكادوا يقتلونه ، فعزم على عزل نفسه .

وقد انتهز خصومة ذلك ، واتهموه بالفساد ، والاستيلاء على حقوق الفقراء ، وفازوا بيذهله ، وكان على رأس مؤلاء الأمير طومان باي وقد أصبح سنة ٩٠٦ هـ سلطاناً ، وكان منه ما كان .

* * *

وأما العامة ، فقد صدتهم أول مرة حين أفتى بتحريم المتعلق ، فتلقف أحد طلاب الشيخ البُلقيني هذه الفتوى ، ونشرها بين أهل العلم ، فالتي بهم عليه . وقد ثار مؤلام عليه ، وتناولوه بالسب والشتم ، وتوعدوه بالرجم والقتل ، حين أفتى بتحريم رواية الأحاديث المكذوبة ، ونشرها بين الناس . وكان هناك قاصٌ مشهور ، له حلقة كبيرة ، يحدث العامة بتلك الأحاديث ، فأفتى بضررها وتغريبه أن لم يرجع عن ذلك . والنف كتاياب في (تحذير الغواص وأكاذيب القصّاص) ، فهاج الناس بسبب هذه الفتوى ، فما كان منه الا أن أقسم بأغلظ الأيمان على ترك الانتقام ، والتعليم ، والجهود بإنكار المنكر ، وعدَ ما تعرض له عندها يسوع ذلك ، وعزم على اعتزال الناس أيضاً .

* * *

□ شخصيته وأخلاقه :

كان السيوطني على حظ عظيم من الدين ، والتقوى ، والورع ، شديد التمسك بالسنة المطهرة ، ونهج السلف الصالح ، قفزاً للحق ، مجاهراً به ، لا يخشى به أحداً .

وكان متصوفاً ، يؤمن بوجود القطب ، والأوتاد ، والنجاء ، والأبدال . ويتحدث عن المكافئات ، والكرامات ، وقدرة الولي على طي المسافات ، والوجود في أكثر من بلد في وقت واحد .

وكان يدافع عن أعلام الصوفية . فقد انتصر لابن الفارض ، ورد على من انتقد كتاب فصوص الحكم لابن عربي ، وكتب في ذلك رسالة : « تنبية الغبي في تنزيه ابن عربي » . وله عن الشاذلية كتاب : « تأييد الحقيقة الملبية وتشييد الطريقة الشاذلية » .

واما موقفه من متصوفة عصره ، فمرده لهذه الصوفية النقية التي يتصورها ، وييذهب بها ، أما أولئك ، فادعيا ، دخلام ، اتغدوها مرقة للشهرة ، وسيبا للارتقاء على خلاف مقتضى الشرع .

وهو في صوفيته لم يكن ينذهب الى القول بالحلول ، والاتحاد ، وله في ذلك رسالة .

كان السيوطي زاهدا بما في أيدي الناس ، فلا يلكل الا ما يستحقه من غلة الوقف المرصود لأهل العلم والمتصوفة ، وربما احتاج ، فباع بعض كتبه ، ليس خلته ، وخصاصته . حتى قال تلميذه الشاذلي : « وبعث له كتبا كثيرة ، ولم يسأل مخلوقا في شيء من أمور الدنيا ، ولم يعلم بحاله أحدا » .

ولذلك كان عزوفا عن هدايا الأمراء ، والأغنياء . وقد أرسل له السلطان النسوري ألف دينار ، وعبدا . فرد المال ، وأعتق العبد ، وجعله خادما لقب الرسول عليه السلام . وقد عرض عليه هذا السلطان مرتبة شهرية ، ودعاه الى مشيخة مدرسته ، فلم يقبل شيئا من ذلك . وكان في خلقه سمحا ، لين المريكة ، كريم النفيس ، محبا للخير . وكان يرى أن الأصل في الإنسان الدين ، والخير ، والصلاح ، حتى يثبت عنده بالتجربة الطويلة ، أو بالتواتر ، ما ينافي ذلك . ولهذا لم يكن يتقبل قالة السوء في حق أحد . أنها نظرة للناس تقطر طيبة ، وواعمة .

★ ★ ★

كان السيوطي معتقدا بنفسه ، معجبًا بها ، يمينه على ذلك ما يتمتع به من ذكاء ، وقوة حافظة ، وبراعة ذكر ، وجلد على طلب العلم ، وتحقيق مسائله ، مع احاطة بكل ما كتب حولها احاطة لم يبلغ أحد من معاصريه فيها شأوه ، مع قوة حجة ، واستدلال ، وسیولة قلم ، وذبوع صيت ، وشهرة طبقت الآفاق ، جعلت منه فردا علما مجليا بين أهل العلم . . . ولكن ذلك تجاوز حد المقبول ، ووصل الى الاستعلاء ، والاستهانة بكل من حوله . . .

انه يصور قبرته على قهر خصومه ، فيقول : « ان ثم من ينفع أشداته » . ويدعى مناظرتي ، وينكر علي دعوى الاجتهاد ، والتفرد بالعلم على رأس هذه الملة ، ويزعم أنه يعارضني ، ويستحيش علي بن يمن لو اجتمع هو ، وهم في صعيد واحد ، ونفتئت فيهم نفحة صاروا هباء منثورا

وعندى أن هذه الخصلة ناشئة من فرط الحساسية بالذات ، وبالمواهب . وهي سر كثرة الخصوم ، وشدة المداواة . لأن الانسان قد يصبر على مصائب الدنيا ، ولا يصبر على من يستهين به . فكيف اذا كان من أهل العلم ، والبيان ، وله في مجتمعه مقام .

وقد تعين هذه الخصلة صاحبها على الوقوف لحظة في وجه خصم ، او اثنين ، او ثلاثة . ولكن لا يمكن أن يجعله يصمد فترة طويلة في مقارنة خصوم لهم قوة ، وتأثير في السلطان ، وفي العامة . . .

وعندئذ لا بد أن يلجا إلى العزلة ، والفرد ، والانزواء بعيداً عن الناس ..
وهذا ما انتهى إليه السيوطى في سنواته الأخيرة .. فقد ترك القاهرة ، واعتزل في بيته بالروضه(٤) ، وأغلق بابه دون طيبة العلم ، والفتوى ، وحتى الخواص من العلماء ، والأصدقاء .. بل أغلق نوافذ بيته المسترخي بين أحضان الطبيعة الفناء ، والنيل الحالى .. لا يزعيه في هذه الوحدة إلا الكتاب ، والقلم ، وتلميذ يكتب له ، بعد أن رحلت عنه زوجته إلى دار البقاء ، دون عقب ..

وظل على هذه الحال متنين عددا ، إلى أن وفاه الأجل بعد مرض ترك في ذراعه اليسرى ورما دام سبعة أيام .. وكانت جنازته يوماً مشهوداً خرج فيه الطلبة ، والأئمة ، والخصوم جيماً ، ودفن في قبر أبيه في مقبرة قوصون شرقى بباب القرافة ، والمعروف اليوم ببواحة السيدة عائشة بشارع سيدى جلال .. وهو مزار مقصود يقف الرم عنده ليذكر من عاش للعلم من المهد إلى اللحد .. ولئن بلي منه الجسد ، فان ما تركه من تراث في علوم الشرعية ، واللغة العربية المقدسة ، خالدلا يبلى مع الزمان .. وسيبقى السيوطى ترنيمة فخر على كل لسان ..

المحامي
سعلى أبو جيب

دمشق : ٢٣ ذي القعدة ١٤١٢ هـ
٢٤ إيار ١٩٩٢ م



□ العواشي :

- ١ - بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في الصحراء جنوب المقرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج (معجم البلدان - لياليوت) .. وهي البلاد المتقدة من العصيف الطلقلى إلى حنود وادي النيل ..
- ٢ - وهي محفوظة بدار الكتب المصرية - محفوظة رقم ١٦٤ مجامي ..
- ٣ - الطيلسان : تعرّب للكلمة الفارسية ثالسان ، أو ثالشان .. ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف ، أو يعطف باليدن ، خال من التفصيل والخياطة .. ويعرف بالعامية المصرية بالشال .. (المعجم الوسيط) ..
- ٤ - جمع خانقاه .. وهي كلمة فارسية مقتناها بيت العبادة .. وقد سمّاها السيوطى بيت الصوفية ..
- ٥ - موقع بين القاهرة ، والعبيزة ، متنه مقاصن النيل ، وكانت تعرف في صدر الأسلام بالجزيرة ..



مصادر ترجمة السيوطي

- ١ - ترجم السيوطي لنفسه مرتين :
 - ال الأولى : في كتاب : حسن المعاشرة في أخبار مصر والقاهرة . وهي ترجمة وجيبة . وقد حققت محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة البابي الحلبى - ط ١ - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٧ م .
 - الثانية : في كتاب : التحدث بتنعمة الله . وقد فرغ من هذه الترجمة سنة ١٩٦ هـ . وهي ترجمة موسعة ، كتبها بعد سنوات من الترجمة الأولى . وفيها حديث عن والده ، وشخصه ، ورحلاته ، ومسعماته ، ومؤلفاته . ولكلماته مع بعض معاصره ، ونذكره في بعض العلوم ، وبلوغه رتبة الاجتهد . ولهم السيرة الذاتية قيمة كبيرة في التعريف بشخصية السيوطي ، وعرضه . وقد حققتها اليزابيث ماري سارتين ، وتقنعت بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كمبرج طبعتها المطبعة العربية الحديثة في القاهرة سنة ١٩٧٧ م .
- ٢ - بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين . تأليف عبد القادر الشاذلي تلميذ السيوطي ، وتأمّن كتبه . وقد لازمه أربعين سنة ، واعتمد كتاب التحدث بتنعمة الله ، وما شاهده من أحوال شيخه . وفي متحف المخطوطات العربية في الكويت نسخة مصورة تحت رقم ١٦٧٠ . وقد اطلعت على نسخة منها في مكتبة الاستاذ محمد الشريبي .
 - ٣ - الضوء الالمعنوي - للسعيفاوي .
 - ٤ - بذائع الزهور - لابن إيماس .
 - ٥ - مقاومة الغلان - لابن طولون .
 - ٦ - الطبقات الصغرى - للشمراني .
 - ٧ - البدر الطالع - للشوكاني .
 - ٨ - الكواكب السارة - للغزى .
 - ٩ - النور السافر - للعبد روسي .
 - ١٠ - شذرات الذهب - لا بن العماد .
- ١١- الحافظ جلال الدين السيوطي - عبد العظيم القرني - سلسلة اعلام العرب (١٣٧) - الهيئة المصرية العامة للطباعة - ١٩٩٠ .
- ١٢- جلال الدين السيوطي - بحوث القيد في الندوة التي اقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب والعلوم بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ٦ - ١٠ آذار ١٩٧٦ . نشرتها الهيئة المصرية لل الكتاب سنة ١٩٧٨ .
- ١٣- جلال الدين السيوطي - محمد العروسي المطوي - تونس - نشر جمعية الاتصال الثقافي لعمل قابس .
- ١٤- السيوطي النعوي - عدنان محمد سلمان - بغداد - دار الرسالة - الطبعة الأولى ١٩٦٦ .
- ١٥- مكتبة الجلال السيوطي - احمد الشرقاوى البال - الرباط - دار المغرب - ١٩٧٧ .
- ١٦- حسن المعاشرة - دراسة كتبها إبراهيم الإيباري - نشرت في كتاب : تراث الإنسانية - نشر المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .
- ١٧- مقامات جلال الدين السيوطي - شرح وتحقيق سمير معمو : الدروبي - بيروت - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ .
وفي هذه المقامات جمل كثيرة تكشف عن سيرته الذاتية ، و موقفه من علماء عصره ، وأهل الحكم والسلطان ، يحسن تلقيها ، للأطاحة بجوانب هذه الشخصية . كما ترى في مقامة الدوران الفلكي ، و مقامة طرز العمامات ، و مقامة الفارق بين المصنف والسارق ، و مقامة المستنصرية ، و مقامة المزهري ، و مقامة المؤذنة ، و مقامة الاستئثار بالواحد القهار .

اتهام الجلال السيوطي

بين التبرئة والإدانة

د. عدنان درويش*

□ تمهيد : حفول القرن التاسع للهجرة بالعلماء الموسوعين :

سحر ليلة يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى سنة
٤٧٦ احدى عشرة وتسعمائة للهجرة ، انطفأ وهج السراج ، وفارق القلم
عشيره ، مات الامام العلامة جلال الدين السيوطي ، فقصّوّحت روضة
المقياس(١) بغياب من كان يتعهدها بالعلم ، ويغمرها بالاشتغال والأشغال
والتصنيف ، وأمضى في ذلك من العمر ستة عقود تزيد سنتين الا قليلاً ، كان
العقد السادس الأخير منها في ريق المئة العاشرة ، والعقود الخمسة قبله هي النصف
الثاني من المئة التاسعة ، في هذه العقود الخمسة من حياة العضارة الإسلامية
في هذا القرن كانت نشأة الجلال ، واشتغاله وتكونه العلمي ، ثم اكتماله عالماً
موسوعياً مبدعاً .

كانت هذه المئة كسابقتها المئة الثامنة من أغني حقب تاريخ العضارة
الإسلامية حفولاً بالأعلام العظام الذين بنوا وأثروا أثارة جليلة في شتى ميادين
المجتمع الإنساني في حركته العضارية والمعرفية ، يبرز ذلك في الحكم والإدارة ،
وال عمران ، والعلوم ، والثقافة ، والأداب ، والفنون ، والاقتصاد ، وغير ذلك من
أفاتين النشاط المعرفي الإنساني . ونبغ في هذين القرنين - الثامن والتاسع -
علماء أغنوا المكتبة العربية الإسلامية التي بدأ تكوينها منذ ارهاصات حركة
التدوين في بدايات القرن الثاني للهجرة، وتسارع مسار هذه الحركة صنعاً ونماء

(*) مدير احياء ونشر التراث العربي في وزارة الثقافة السورية .

في النصف الثاني من ذلك القرن وما تلاه من الزمان ، أغنناها هؤلاء العلماء بما أنتجه قرائتهم من معارف الإنسان من ناحية وبما وظفوه من التراث الفكري المكتوب الذي ورثوه من أسلافهم بالشرح، والاختيار، والاختصار، والجمع، والتحشية، والمضاهاة ، والمحاكاة ، والنقد وما إلى ذلك من ناحية أخرى ، فزخرت المكتبة العربية بعشرات الآلاف من كتب تناولت كل شعب المعرفة الإنسانية في حضارة المسلمين من ناس المئتين الثامنة والتاسعة، اضططع بذلك مفسرون ، وحفظاء ، ومحدثون ، وقراء ، وفقهاء ، ولغويون ، ونحاة ، ومؤرخون ، وجفانيون ، ورياضيون ، وعلماء في العلوم التطبيقية من هندسة ، وهيئة ، وطب ، وفلك ، وما إلى ذلك من هذه الفنون .

وشيء ظاهرة في هذين القرنين وهي تنامي الاتجاهات المعرفية الموسوعية عند كثير من نبغ في تلك الحقبة من الزمان ، رأينا كوكبة غفيرة منهم في المئة الثامنة ، كان من أعلامها : التوييري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة : ٢٣٣ هـ^(٢) ، العالم البغدادي الفزير العلم ، صاحب كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره .

والسبكي ، تقى الدين علي بن عبد الكافي بن علي الانصاري ، المتوفى سنة : ٧٥٦ هـ^(٣) ، أحد الحفاظ المناظرين ، صاحب التصانيف الكثيرة المتعددة الفنون . والصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله المتوفى سنة: ٧٦٤ هـ^(٤) ، صاحب المؤلفات الكبيرة العفيلة المتنوعة الفنون .

وبعدهم العلامة ابن خلدون ولـي الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي الذي عاش معظم عمره في المئة الثامنة وتوفي سنة : ٨٠٨ هـ^(٥) وترك للمكتبة العربية موسوعته التاريخية بمقدمتها الجليلة .

واستمرت ظاهرة الاتجاهات المعرفية الموسوعية تتدحرج اتساعاً في المئة التاسعة، وتنافس من نبغ فيهم من العلماء في الاحاطة بفنون العلوم والمعارف ، ونبه من هؤلاء طبقة عالية ، جلّئـ فيها القلقشندي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد المصري المتوفى سنة : ٨٢١ هـ^(٦) ، وهو الأديب المؤرخ البغدادي صاحب موسوعة (صبح الأعشى في كتابة الأنسا) .

ثم جاراه في الحلبة بل تقدم عليه المقرizi تقى الدين احمد بن علي بن عبد القادر المتوفى سنة: ٨٤٥ هـ^(٧) ، وهو المؤرخ المتعدد المواهب الموسوعي المعرف

صاحب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) و (السلوك في معرفة دول الملوك) وغيرهما من المصنفات الكثيرة في فنون متعددة .

وتلاه الحافظ ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المتوفى سنة : ٨٥٢ هـ^(٨) ، وهو من آئمة العلم والتاريخ والأدب والشعر ، وناهض مصنفاته التي وضعها في فنون مختلفة (١٣٢) اثنين وثلاثين ومتنة كتاب .

وابن عربشاه شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي المتوفى سنة : ٨٥٤ هـ^(٩) ، المؤرخ الرحالة الأديب المتقن للغات العربية والفارسية والتركية وصاحب التصانيف الكثيرة .

وابن تغري بردي جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري المصري المتوفى سنة : ٨٧٤ هـ^(١٠) . وهو المؤرخ البغدادي الأديب صاحب كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) و (المنهل الصافي والمستوفي بعد الواقي) وغيرهما من الكتب العاملة الصخام في فنون شتى .

والكافيجي ، معيي الدين محمد بن سليمان بن سعد الرومي المصري ، المتوفى سنة : ٨٧٩ هـ^(١١) ، شيخ جلال الدين السيوطي ومن كبار العلماء بالمعقولات والنحو ، ومن المؤرخين وصاحب التصانيف المتعددة الفنون .

والتكشاري معيي الدين محمد بن إبراهيم بن حسن ، الرومي الحنفي المتوفى سنة : ٩٠١ هـ^(١٢) ، الإمام العالم بالعلوم الشرعية والمقلية والعربية والماهر في علوم الرياضيات ونحوها من معارف أهل عصره .

والسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد المصري المتوفى سنة : ٩٠٢ هـ^(١٣) ، رصيف الجلال السيوطي ، العاشر الحجة ، المؤرخ ، الأديب ، المحدث ، المفسر ، صاحب التصانيف الكثيرة التي من أشهرها كتابه الحفيل (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) وغيره من الكتب المتعددة الفنون .

ولطفي التوقياتي لطف الله بن حسن الرومي المتوفى سنة : ٩٠٤ هـ^(١٤) ، وهو المؤلف الموسوعي صاحب كتاب (المطالب الالهية) وكتاب (مراتب الموجودات) وغيرهما من المؤلفات الموسوعية .

وغير من ذكرنا كثيرون يأتون طبقة ثانية في هذا الفن الموسوعي .

أخذ هؤلاء وأولئك في الأخذ واستيعاب العلوم وال المعارف والثقافات التي أفرزتها الحضارة الإسلامية الموروثة ، ثم تمثلوا ما أفرزه عصرهم وأطهرهم الاجتماعية والحياتية من المعطيات الحضارية في مختلف فروع المعرفة الإنسانية وشعبها من علوم وثقافات وألوان حياتية وعلاقات انسانية ، وراحوا بعد ذلك يبدعون ويؤلفون من تلك المواريث الشعوب المعرفية انتاجاً معرفياً ملوباً بخصوصيات مجتمعاتهم بأطه العلمية والثقافية من ناحية ، وبخصوصياتهم هم باعتبارهم أناساً مبدعين من ناحية أخرى . فأورثونا بذلك المجلدات الضخمة الحقيقة بأفانين المعارف الإنسانية التي أفرزتها الحضارة الإسلامية منذ الشروع بحركة التدوين فيها حتى عصرهم .

□ السيوطي عالماً ومؤلفاً موسوعياً :

في هذا الوسط ذي المعارف المتعددة الألوان ، والشعب التي انتظمت في عصر السيوطي ، نشأ هذا الملاحة المبدع جلال الدين ، واستقامت له في فترة تكونه العلمي أسباب التلقى والأخذ من أفانين تلك المعارف المبتعدة منها والموروثة ، حتى إذا ما آنسَ في نفسه القدرة على المطاء ، وainاع ملكة التاليف واستقامة أسبابها دلف إلى حلبة العلماء الموسوعيين يجاريهم بادئ بدء حبّوا حين كان في السنة السابعة عشرة من عمره ، يقول^(١٥) :

« وقد الفت في هذه السنة - [اي سنة : ٨٦٦ هـ] - فكان أول شيء الفتنه (شرح الاستماعة والبسملة) وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلاذري ، فكتب عليه تقريراً » .

وهكذا راض السيوطي قلمه بعددمن الكتب والرسائل ، ثم اجرأه فجرى ولم يشمس ، حتى اذا كان عام واحد وتسعين وثمانية ، تنكب الحياة العامة واعتزل شؤونها اثر حادثة عزله^(١٦) من مشيخة المدرسة البيرسية^(١٧) ، وأثر مسكنه في روضة المقياس حيث انصرف الى اشغال المريدين وتاليف الكتب والرد على المسائل ، فكتب أكثر مؤلفاته التي تاهرت بضع مئات في عقدين من الزمان انتهيا بوفاته عام احد عشر وتسعمئة .

لم يؤثر السيوطي الانصراف الى الاشتغال والتصنيف على المشاركة فيما يهتم به أصناؤه من التداريس والمشيخات والوظائف في قضاء أو نحو ذلك الا بمد أن استقامته له آلة البحث وتوفرت لديه أداة التأليف ، واكتملت له البراعة والحمدق في علوم شتى كثيرة صنفها هو نفسه من حيث تبعره فيها واتقاده لها أو معرفته بها فقال^(١٨) :

« رزقت التبعر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو والمعانوي والبيان والبديع » . وقال :

« والذي أعتقده أن الذي وصلت اليه من هذه العلوم الستة سوى الفقه ، والنقل التي اطلعت عليها وفيها ، لم يصل اليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عن دونهم » .

وقال : « ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه ، والجدل ، والصرف .

دونها : الانشاء ، والترسل ، والفرائض .

دونها : القراءات ، ولم أخذها من شيخ .

دونها : الطب .

ولما الحساب : فأعسر شيء علي وأبعده من ذهني » .

وراح يطلق قلمه للتآليف والكتابية في هذه الفنون كلها ، وفي غيرها مما يعرض في خاطره من موضوعات حملتهاأسفار المكتبة العربية الاسلامية واطلع عليها أو قرأها ، كما يسبيل كل ما يكتبه على المسائل والفتاوی مما يعرض عليه ، يتناول ذلك وهو يملك الثقة كلها ببني ما استقام له من أفانين المعارف في ذلك العصر .

بل أكثر من ذلك فقد وقر في نفسه ورأه ثابتا في خلده أنه بلغ مرتبة المجتهدين من الأئمة ، كما صرخ بذلك ، ووضع نفسه في ثبت المجتهدين في كتابه (حسن المحاضرة) في الفصل الذي أفرد للأئمة المجتهدين في الديار المصرية ، بل تجاوز هذا الى أنه كان يتطلع الى أن يكون هو المبعوث على رأس المئة التاسعة ليجدد للأمة أمر دينها ، يقول :

« ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون ، عمر بن عبد العزيز في الأولى ، والشافعي في الثانية ٠٠٠ وابن دقيق العيد^(١٩) في السابعة ، والبلقيني^(٢٠) في الثامنة ، وعسى أن يكون المبعوث على رأس المئة التاسعة من أهل مصر » .

وبلغ هذا التطلع عنده درجة القناعة بأنه هو المبعوث على رأس المئة التاسعة ، يقول في رسالته (فيما يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة) :

« إني ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالى لنفسه أنني المبعوث على هذه المئة التاسعة لانفرادى عليها بالتبصر في أنواع العلوم »^(٢١) .

ويقول في موضع آخر إنه نظم أرجوزة سماها : (تحفة المتهدين بأسماء المجتهدين) ختمها بهذين البيتين :

« وهذه تاسعة المئين قد انت ولا يخلف ما الهانى وعد

وقد رجست انتي المجد فيها ففضل الله ليس يجدد »

ووضع رسالة : (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف) قال فيها :

« فان ثم من ينفعن أشداقه ويدعى مناظرتى ، وينكر علي دعوى الاجتهد والتفرد بالعلم على رأس هذه المئة ، ويزعم أنه يعارضنى ويستجيبش علي بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ونفخت عليهم نفخة واحدة صاروا هباءً منثورا »^(٢٢) .

كان أمر الاجتهد عند السيوطي وبعثه على رأس المئة التاسعة مجدداً للامة دينها خاطرة بادىء ذي بدء ، ثم أصبح رجاء ، ثم ما عتم أن استحال اعتقاداً ملک عليه جوانب نفسه، فذهب به مذهب الدعوى العريضة بالاجتهد والابداع ، والاعتراض بنفسه ، واعتداده بما يؤلف ويكتب ، وتجربته على التصنيف في كل فن ، ثم التباھي والتفاخر في مقدمات بعض كتبه بأنه مخترع هذا العلم، ومبتدع ذاك ، وأنه لم يسبقه أحد الى كذا وكذا . ثم تجاوز ذلك الى التعاظام والتعالى على ذوي الفضل من السلف وأولي العلم والحفظ من الأقران .

□ اتهامات السخاوي للسيوطى وأسبابها :

وهكذا تجتمع الأسباب لاحفاظ جماعة من معاصريه أولى الفضل والعلم ، وتشفع بشيء مما يقع بين الأقران من التحاسد والتنافس . ففارقه نفر منهم ، وانقض من حوله جماعة كانوا من أصدقائه ومحبيه ، وراحوا يسفهون دعواه ، ويتبينون سقطاته ، ويرصدون أخطاءه وفواته ، وجاء في مقدمتهم رصيف الشمس السخاوي ، فاشتد عليه في النكير ، وشن عليه الغارة ، وغل في حطه عليه ، بدا كل ذلك في ترجمة السيوطى في (الضوء اللامع) حيث بسط فيه لسانه بالقول الجارح ، فقال متكرراً عليه دعوه بلوغ مرتبة الاجتهد وتبعجه وتنقصه ذوي الفضل والعلم :

« وأطلق لسانه وقلمه في شيوخه فمن فوقهم ، بحيث قال عن القاضي العضد ^(٢٣) : انه لا يكون طعنة في نجل ابن الصلاح ^(٢٤) ، وعُزِّرَ على ذلك من بعض نواب العنابلة بحضور قاضيه ، ونقص الشريف البرجاني ، والرضي في النحو بما لم يُبْدِ مستندأ فيه مقبولاً ، بحيث انه أظهر لبعض الغرباء الرجوع عنه ^(٢٥) » .

وضرب السخاوي لذلك مثلاً حواراً جرى بين السيوطى وبين من حاجته في ذلك ، وكيف أسقط في يده بعد أن أفحمه ذلك بقوة العجة ^(٢٦) . وقال السخاوي :

« وقد قام عليه الناس كافة لما ادعى الاجتهد ، وصنف هو (اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري) و (الكر في خباط عبد البر) ٠٠٠ » .

ومضى السخاوي في ايراد الأمثلة على ذلك ، ثم على تعاليه وتعاظمه وسوء تصرفه في معاملة أقرانه حتى أصدقائه المقربين من ذوي الفضل ، يقول :

« وكذا راسل الكمال ابن أبي شريف وملأ على الكرمانى بما لا يليق ، وأرسل إليه الخطيب بولده للروضة ليعرض عليه ، فرده معللاً ذلك بأنه لا يستكمل أباه للوصفت بذلك وكذا وكتابة دون هذا لا ترضيه » .

وقال السخاوي في موضع آخر :

« وفارقه المحيوي ابن مغيزل نصارى منه الجفاء الزائد بعد كونه القائم بالتنويه به ، وذكر عنه من الحقد والأوصاف والتعاظم ما يصدقه فيه الحال .

ومن ذلك أنه توسل عند الإمام البرهاني الكركي في تعيينه لعببة كانت تحت نظره، فأجابه وزاده من عنده ضعف الأصل ، وحضر إليه مع العلم سليمان الخليفي^{٢٠} ليقبض ذلك، فما قال له : جزيت خيرا ، ولا أبدى كلمة مؤذنة بشكره ٠٠ ٠

ومضى السخاوي يضرب الأمثال على سلوكه في التعامل والتواضع ، ودعواه بأنه استقامت له أسباب الاجتهد وألاته، وبذلك فهو قادر على كتابة الأوجبة على مسائل العلماء على طريقة الاجتهد، وأن لديه القدرة الخارقة على التأليف والكتابة والسرعة فيها ، وايراد الأدلة من نقل وقياس ومقارنة لأراء المذاهب ونحو ذلك ، قال السخاوي ينقل قول السيوطي :

« وقد كملت عندي آلات الاجتهد بعدها ٠ الى أن قال : ولو شئت أن أكتب في كل مسألة تصنيفا باقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوصها وأجوبيتها ومقارنتها بين اختلاف المذاهب فيها لقللت على ذلك ٠ وقال : ان العلماء الموجودين يرتبون له من الأسئلة الوفا فيكتب عليها أوجبة على طريقة الاجتهد ، وأنه يرتب لهم من الأسئلة بعد العشر فلا ينهضون ٠ »

ويمضي السخاوي قائلا :

« وبالجملة فهو سريع الكتابة ، لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع ٠٠
قال : انه عمل (النفعة المسكية والتحفة المكية) وهو بمكة على نمط (عنوان الشرف) لابن القراء في يوم واحد ٠ وأنه عمل (الفية في الحديث) فائقة (الفية العراقي) الى غير ذلك ٠ »

سلوك السيوطي في المزيد من الترفع والتواضع التمس فيه السخاوي مسوغا للغلو في اتهاماته بل في الحط عليه ، حتى بلغ في ذلك مبلغ اشاعة الارتياب بصدق أقواله عن قراءته ، وأخذته ، وسماعه ، واجازاته من حفاظ العصر وشيخه ،
يقول السخاوي :

« هو كثير المجازفة، جاءني مرة و زعم أنهقرأ (مسند الشافعي) على القمي في يوم ، فلم يلبث أن جاء القمي وأخيرني متبرعا بما تضمن كذبه ٠٠ وقال لي البدر قاضي العناية : لم أره يقرأ على شيخي في (جمع الجواب) مع شدة حرسي على ملازمته ٠ نعم كان يقرأ عليه فيه خير الدين الريشي النقيب ، فقلت : فلعله كان يحضر معه ، فقال : لم أر ذلك ٠ »

ويقول في موضع آخر :

« وأخذ عن كل من السيف ، والشمني ، والكافاجي ، شيئاً من فنون ، وفيما زعم عن الشهاب الشارمساخي بعض شرحه لمجموع الكلائي » .
والسيوطى اذا أخذ ، او سمع ، اوقرأ فهو قليل الصبر والامان في ذلك كله ،
يقول السخاوي :

« ولم يمنع الطلب في كل ما أشرت اليه » .

ويقول السخاوي عن الرحلة المكية للسيوطى :

« ثم الى مكة من البحر في ربيع الآخر سنة تسع وستين ، فأخذ قليلاً من
الحيوي » .

اما تصدر البلال للتدریس ، وجلوسه مجالس الشیوخ للاملاء والاسماع
فاتهمه السخاوي بأن ذلك لم يتأت عن جدارته وأهليته ، بل كان التماساً من يبنقه
ذلك من ذوي الفضل والجاه من الشیوخ والأعيان ، وسلوكه طريقاً غير سوية الى
ذلك ، يقول السخاوي :

« ودرس جمعاً من العوام بجامع ابن طولون ، بل صار يملئ على بعضهم مما يحسن
شيئاً بعثث كان ذلك وسيلة لمساعدة وصية شهاب الدين ابن الطباخ ، حيث رباء عند
برسياي أستاد دار الصعب ، فلزم اينال الاشقر رأس نوبة النوب حتى قرره في تدريس
الحديث بالشیعونة بعد وفاة الفخر عثمان المقسى مع تركه ولداً . وكذا استقر في
الاسماع بها ، وليس بموفق شرط الواقع فيما وفى مشيخة التصوف بتربة برقوم نائب
الشام التي بباب القرافة بمنية بلديه أبي الطيب السيوطى » .
وقال أيضاً :

« وساعده العلم البلقيني حتى باشر تصدر الفقه بالجامع الشیعوني » .

وفي موضع آخر يقول السخاوي :

« وقد ساعده الخليفة حتى استقر في مشيخة البيرسية بعد البلال البكري ،
وحمد من ثم بل جمد » .

ويمضي السخاوي قائلاً :

« ثم انجمع وتمشيخ وخاص في فنون خصوصاً هذا الشأن » . « كل هذا مع أنه لم يصل ولا كاد ، ولذا قيل : انه تزب قبل أن يتعصرم » .

* * *

وأمر آخر على جانب كبير من الخطرا والأهمية رماه به السخاوي ، ذلك هو اختلاسه شيئاً من تصانيفه ، وسطوه على كثير من كتب من تقدمه من العلماء ، ومسخه المخلص أو المسطو عليه وأفساده ، يقول السخاوي :

« واختلس حين كان يتربى على معمولته كثيراً، (الأشخاص الموجبة للضلال) و (الأسماء النبوية) و (الصلة على النبي ﷺ) و (موت الأبناء) ، وما لا أحصره؛ بل أخذ من كتب المحمودية^(٢٧) وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون ، فغير فيها يسيراً ، وقدّم وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي بيغضه . وأول ما أبرز جزء له في تعريف المنطق جرده من مصنف لابن تيمية ، واستعan بي في أكثره ، فقام عليه الفضلاء بعيث كفه العلم البليقيني عنه وأخذ ما كان استكتبه به في المسألة ، ولو لا تلطفي بالجامعة كالأبناسي وابن الفالاتي وابن قاسم لكان ما لا خير فيه » .

وقال في موضع آخر :

« وذكر أن تصانيفه زادت على ثلاثة كتب، رأيت منها ما هو في ورقة ، وأما ما هو دون كراسة فكثير . وسمى منها (شرح الشاطبية) و (الفية في القراءات العشر) مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها .

وفيها مما اختلسه من تصانيف شيخنا^(٢٨) : (ليب النقول في أسباب النزول) (عين الاصابة في معرفة الصعابة) (النكت البديعات على الموضوعات) (الدرج إلى المدرج) (تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسى) (تحفة النايم بتلخيص المتشابه) (ما رواه الواقعون في أخبار الطاعون) (الأساس في مناقببني العباس) (جزء في أسماء المدلسين) (كشف النقاب عن الألقاب) (نشر العبير في تخرير أحاديث الشرح الكبير) .

كل هذه تصانيف شيخنا ، وليته اذا اختلس لم يمسخها ، ولو نسخها على وجهها لكان أنفع » .
وقال أيضاً :

« كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التعریف والتصحیف ، وما ينشأ عن عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم ، ولا جلس بينهم في مسائلهم وتعریسهم ، بل استبد بأخذة من بطون الدفاتر والكتب ، واعتمد ما لا يرتضيه من الاتقان صحب » .

هذا الأمر الذي رماه به السخاوي ذو بال وخطر، فهو جدير بالنظر والتأمل .
فقد كان السيوطي غزير التصنیف مكثراً من التأليف ، وأجمع من جاء بعده ممئن ترجم له على أن تصانیفه كانت كثيرة ، واختلفوا في عدد ما أخرج من الكتب والرسائل ، قال ابن آیاس^(٢٤) : « وبنيت عدد مصنفاته نحواً من ستمائة تأليف » .
وقال النجم النزی^(٢٥) : « وألف المؤلفات العائلة ، الكثيرة الكاملة ، الجامعة ، النافعة ، المتقدمة ، المحررة ، المعتمدة ، المعتبرة ، نیفت عدتها على خمسين ملیحة مشهورة بين الناس ، ولا يحتاج الى تعدادها لشهرها وجودتها . وفضائله كثيرة ، رحمة الله تعالى » .

وقال الشمس ابن طولون^(٢٦) : « بلغت عدة مصنفاته نحو ستمائة » .
وقال الشرف موسى ابن آیوب الأنصاری^(٢٧) : « وتصانیفه كثيرة ، قال بعضهم : انها بلغت الألف » . وبعد أن ذكر عدداً من أشهرها قال : « وكل مصنفاته مليحة مشهورة بين الناس ، ولا يحتاج الى تعدادها لشهرها وجودتها . وفضائله كثيرة ، رحمة الله تعالى » .
وجمعها صاحب (هدية العارفين)^(٢٨) بلغت ثمانية وثمانين وخمسين كتاباً .

وقد ذكر السيوطي نفسه في (حسن المحاضرة) أنه أحصى مؤلفاته بلغت ثمانية وثمانين ومائتي كتاب^(٢٩) .

وقال في كتابه (التحدث بنعمة الله) : إنه صنف أربعين وثلاثين مؤلف ، والحقها باسم ثلاثة وثمانين مؤلفاً قال فيها : « إنه شرع فيها وفتر العزم عنها »^(٣٠) .

ولدينا اليوم كتاب وضعه فاضلان من العاملين في حقل المخطوطات العربية
هـما الأستاذان : أحمد الخازندار، ومحمـا بـراـهـيم الشـيـبـانـي وضـعا كـتابـاً أـسـمـيـاهـ :
(دـلـيلـ مـخـطـوـطـاتـ السـيـوطـيـ وـأـمـاـكـنـ وـجـودـهـاـ) وـهـوـ كـتـابـ حـفـيـلـ مـفـيدـ جـمـعـاـ فـيـهـ
ـمـاـ وـقـفـاـ عـلـيـهـ مـنـ كـتـبـ السـيـوطـيـ فـيـ مـظـانـهـافـبـلـغـ مـاـ أـحـصـيـاهـ (٩٨١) وـاـحـدـاـ وـثـمـانـينـ
ـوـتـسـمـيـةـ كـتـابـ مـعـ فـوـتـ يـسـيرـ يـبـلـغـ بـضـعـةـ كـتـبـ مـذـكـورـةـ فـيـ مـظـانـ لـمـ يـقـنـاـ عـلـيـهـاـ .

□ رسالة (البيان في رياضة الصبيان) برهاناً على سطوة السيوطني :

هذه الكثرة من التصانيف التي يزدّيـها العـلـامـةـ السـيـوطـيـ منـ سـبـقـهـ وـمـنـ
ـعـاصـرـهـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـصـنـفـيـنـ اـدـعـىـ السـخـاوـيـ أـنـ كـثـيـرـاـ مـنـهـاـ كـانـ اـخـتـلاـسـاـ
ـوـسـطـوـاـ وـأـنـتـعـالـاـ ،ـ وـأـورـدـ أـمـثـلـةـ مـنـهـاـ ذـكـرـنـاهـاـ .ـ هـذـهـ الدـعـوـىـ التـيـ أـضـافـهـاـ إـلـىـ
ـمـاـ رـمـاهـ بـهـ مـنـ تـهـمـ ذـكـرـنـاهـاـ آـنـفـاـقـدـ نـجـدـ مـاـ يـبـثـهـاـ ،ـ فـلـئـنـ كـانـتـ تـلـكـ
ـتـهـمـ شـيـئـاـ مـنـ فـرـيـةـ أـوـ بـهـتـ بـسـبـبـ مـاـ يـقـعـ بـيـنـ الـأـقـرـانـ مـنـ التـعـاسـدـ وـالتـنـافـسـ
ـعـلـىـ أـمـوـرـ الـدـنـيـاـ فـاـنـ دـعـوـيـ السـخـاوـيـ فـيـ بـاـبـ اـنـتـعـالـ الـكـتـبـ مـاـ يـسـرـ دـحـضـهـ
ـوـدـفـعـهـ ،ـ لـأـنـ تـلـكـ الـكـتـبـ الـمـخـلـسـةـ أـوـ الـمـسـطـوـنـ عـلـيـهـاـ تـحـلـ فـيـ صـفـحـاتـهـاـ مـاـ يـنـهـضـ
ـبـالـمـاضـةـ وـالـمـارـضـةـ بـمـاـ وـضـعـهـ بـرـاهـيـنـ وـحـجـجـاـ عـلـىـ صـحـةـ هـذـهـ الدـعـوـىـ ،ـ وـشـاهـدـنـاـ
ـعـلـىـ ذـلـكـ مـائـلـ بـيـنـ أـيـدـيـنـاـ :

وـقـعـتـ عـلـىـ رـسـالـةـ لـطـيـفـةـ مـخـطـوـطـةـ نـلـامـ السـيـوطـيـ مـحـفـوظـةـ فـيـ الـمـكـتبـةـ الـأـحـمـدـيـةـ
ـبـعـلـبـ وـرـاءـ الرـقـمـ (٣٠٥) مـجـمـوعـ حـدـيـتـ) وـحـفـظـتـ مـصـورـتـهـاـ فـيـ وـزـارـةـ الـثـقـافـةـ
ـبـدـمـشـقـ فـيـ الرـقـمـ (عـ : ٢٤١) ،ـ حـمـلتـ الرـسـالـةـ الـعنـوانـ التـالـيـ :ـ (ـ الـبـيـانـ فـيـ
ـرـياـضـةـ الصـبـيـانـ)ـ وـجـاءـتـ فـيـ خـمـسـ وـرـقـاتـ ،ـ مـنـهـاـ صـفـحةـ لـلـعـنـوانـ وـثـمـانـيـ صـفـحـاتـ
ـأـخـرـىـ لـتـنـ الرـسـالـةـ .ـ اـسـتـهـوـنـيـ الـعـنـوانـ ،ـ فـقـرـأـتـ الرـسـالـةـ بـاـهـتـامـ ،ـ إـذـاـ بـهـاـ فـيـ فـنـ
ـتـرـبـيـةـ الـأـطـفالـ ،ـ سـُرـرـتـ يـاـ لـظـنـيـ أـنـنـيـ قـدـ أـصـبـتـ وـجـازـةـ توـقـفـنـيـ عـلـىـ طـرـائـقـ
ـأـهـلـ الـقـرـنـ النـاسـيـ فـيـ تـرـبـيـةـ الـأـطـفالـ وـتـنـشـيـتـهـمـ ،ـ وـزـادـ اـحـتـفـالـيـ بـالـرـسـالـةـ حـيـنـ
ـقـرـأـتـ فـيـ خـاتـمـتـهـاـ اـسـمـ نـاسـخـهـاـ «ـ جـارـ اللهـ اـبـنـ فـهـدـ المـكـيـ »ـ وـاـبـنـ فـهـدـ هـذـاـ هوـ الـإـلـامـ
ـالـمـحـدـثـ الـمـؤـرـخـ الـمـتـوفـيـ سـنـةـ (٩٥٤ هـ)ـ وـتـرـجمـهـ السـخـاوـيـ فـيـ (ـ ضـوـئـهـ)ـ وـقـالـ :ـ
ـ «ـ جـارـ اللهـ ،ـ وـيـسـمـيـ الـمـعـبـ أـبـاـ الـفـضـلـ مـحـمـداـ ،ـ وـلـكـنـهـ بـجـارـ اللهـ أـشـهـرـ ،ـ بـنـ عـبـدـ
ـالـعـزـيزـ بـنـ عـمـرـ بـنـ مـعـمـدـ الـهـاشـمـيـ ،ـ وـيـعـرـفـ كـسـلـفـهـ بـاـبـنـ فـهـدـ ٠٠ حـضـرـ عـلـيـَّـ

وهو في الرابعة في مجاورتي الرابعة من لفظي وبقراءة أبيه وغيره أشياء ، ثم سمع عليًّا بعد ذلك أشياء ٠ ٠ ٠ »

وترجمه النجم الغزي في (الكتاكيت) ، قال : « جار الله بن عبد العزيز بن عمر الشيخ ، الامام ، المحدث ، المخرج ، المؤرخ ، محب الدين ابن الحافظ عز الدين ابن الحافظ تقى الدين ابن فهد المكي الهاشمي ٠ ٠ ٠ جمع تاريخاً وأربعين حديثاً ٠ ٠ ٠ »

وبعد أن ذكر فضله وعدداً من مصنفاته قال : « وأثنى عليه الوالد كثيراً وترجمه بالأمامية والتقدم في علم الحديث ، وكانت وفاته سنة أربعين وخمسين وتسعمئة بمكة ، رحمة الله تعالى »

النسخة إذا صريحة النسب ، من فوعة إلى ناسخ عالم مؤرخ ، عزمت على تحقيقها على ما في خط ابن فهد من صعوبة وعسر ، وبعثت عن آخر لها فأصببتها في الغزانة العامة بالرباط ضمن مجموع (٢٨) ، واستحال على اجتلابها ، فاجتزأت بنسختي لأصالتها ونقاء نسبيها ورحت أنسخها ، وهذا عنوانها واستهلالها :

« البيان في رياضة الصبيان ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

تأليف : شيخنا الإمام الحافظ الهمام ، مفتى المسلمين

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ثم القاهري الشافعي رحمة الله عليه أمين »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصـحبـه وسلـمـ تـسـلـيـماـ كـثـيرـاـ

وقال الشيخ الإمام الحافظ الهمام مفتى المسلمين جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ثم القاهري الشافعي رحمة الله تعالى :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد :

فهذا تأليف لطيف في الطريق والبيان لرياضة الصبيان في أول نشوئهم ، ووجه تأديبهم ، وتحسين أخلاقهم سميته : البيان في رياضة الصبيان ، وأسائل من الله تعالى التوفيق والهداية إلى سواء الطريق ٠

اعلم ان الصبي امانته عند أبويه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان عود الغير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركته في توايه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم به والوالى عليه ٠٠٠

و جاء في الفقرة الأخيرة من هذه الرسالة وفي خاتمتها ما مثاله :

« ثم رجمت الى تستر فجعلت قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطعن لي ويخبز ، فأفطر عليه عند السعر كل ليلة على أوقية ، وأخذه بحثاً بغير ملح ولا ادام ، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة . ثم عزمت على أن أطوي ثلاثة ليال ثم أظلر ليلة ، ثم خمساً ، ثم سبعاً ، ثم خمساً وعشرين ليلة . وكانت على ذلك عشرين سنة . ثم خرجت أسيح في الأرض سبع سنين ، ثم رجمت الى تستر فكنت أقوم الليل كله .

وهذا آخر كلامه رضي الله عنه ونفعنا به ، ونختتم به ما ذكرناه ، ولينتبه كل انسان لمناه ، وانها موعظة في هذا الباب ، وتبصرة لأولي الألباب ، والحمد لله أولاً وأخراً ، وباطناً وظاهراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـهـ وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وكتب في مجلس واحد ضعى يوم الثلاثاء ثالث شهر صفر الغير عام اثنين وأربعين وتسعمئة بمكة المكرمة على يد الفقير الى لطف الله وكرمه محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز ابن فهد الهاشمي المكي الشافعي ، لطف الله به والمسلمين اجمعين ، والحمد لله رب العالمين » .

هذا ما جاء في فاتحة رسالة (البيان في رياضة الصبيان) المخطوطة للجلال السيوطي وختمتها .

وذات يوم بعد فراغي من انتساخ الرسالة عرضت لي مسألة مظنتها (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين) لجعجع الاسلام أبي حامد الغزالى المتوفى عام خمسة وخمسين للهجرة . كشفت في سردار عنوانات الجزء الثالث من الاحياء أبحث عن عنوان المسألة المطلوبة ، وإذا بنظرى يقع في السردار على هذا العنوان : « باب بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم » .

سررت بذلك ظاناً أنني ظفرت في الاحياء بما يغنى عملي في تحقيق رسالة السيوطي ، ويكملاً بحثاً في تربية النشء .

وفي الصفحة / ٧٢ من الجزء الثالث من الاحياء^(٣٩) وقفت على الباب ، قرأته فإذا في مطلعه ما مثاله :

« اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكردتها ، والصبيان (كذا) أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائلاً إلى كل ما يمالي به إليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له مؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهتمام البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له ٠٠ »

ومضيت أقرأ الباب حتى بلغت آخره ومثال الفقرة في آخره :

« ثم رجمت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصاداً (كذا) على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطعن ويخبز لي ، فأفطر عنده السعر كل ليلة بعثنا من غير ملح ولا أدم ، فكان يكفييني ذلك الدرهم سنة . ثم عزمت على أن أطوي ثلاثة ليال ، ثم أفتر ليلة ، ثم خمساً ، ثم سبعة ، ثم خمساً وعشرين ليلة . فكانت على ذلك عشررين سنة ثم خرجت أسير (كذا) في الأرض سنين (كذا) ثم رجمت إلى ، تستر ، وكانت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى ، قال أحمد : فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى ٠ »

فإذا الرسالة (البيان في رياضة الصبيان) هي هذا الباب نفسه منقوله نقل مسطرة حرفاً حرفاً ، كلمة كلمة ، ليس فيها من زيادة إلا التمهيد الذي دفعه السيوطي والا كلمات قليلة زادت في الخاتمة . وكانت غمت علينا أثناء نسخ الرسالة كليمات لرداءة الخط وسوء التصوير فاستدركناها من الاحياء .

هذا برهان مائل على صدق مارمي به السيوطي في هذه البابة .

ويبقى العجب والغرابة في كيف ندعن جار الله ابن فهد المكي مثل هذا الأمر وهو المؤرخ المحدث العلامة ، هذا ما لم أقف له على تفسير .

□ مترجمو السيوطي والذخائع عنه :

وتوفي السخاوي عام اثنين وتسعمئة للهجرة قبل الجلال بنحو تسعة أعوام ، وترك لنا في (ضوء اللامع) ترجمة السيوطي مبسوطة ، ولم يذكر من الوجوه المشرقة في حياة هذا الرجل الا وجه آخرته قترة وكلفة ، ولبيته جنح اني النصفة والاقساط فذكر ما للسيوطى وما عليه وكان ترك لنا من اخبار الرجل خيراً كثيراً .

وجاء بعد السخاوي جماعة من المؤرخين ترجموا للسيوطى ، نذكر ستة منهم وهم أشهرهم ، اثنان منهم معاصران للسيوطى :

أولهما : تلميذه ابن آياس محمد بن أحمد بن آياس العنفي . ولد سنة ٨٥٢ وتوفي نحو سنة ٩٣٠ للهجرة ، ترجمه في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور)^(٤٠) ترجمة اتسمت بالايجاز الشديد اذ لم تتجاوز الصفحة من الكتاب.

وثانيهما : ابن طولون شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي ، ولد سنة ٨٨٠ وتوفي سنة ٩٥٣ للهجرة ، تناول في كتابه (مفاكهه الغلان في حوادث الزمان) ترجمة^(٤١) السيوطي بایجاز أيضاً فلم يتتجاوز في ذلك الصفحة .

ثم تلا هذين المؤرخين أربعة :

أولهم : شرف الدين موسى بن يوسف بن آيوب الانصارى، ولد سنة ٩٤٦ وتوفي نحو سنة ١٠٠٢ للهجرة ، وترجم للسيوطى في كتابه الذي لما يزال مخطوطاً (الروض العاطر فيما تيسر من أخبار القرن السابع الى ختام القرن العاشر) وقد تابع الشرف سابقه في الايجاز وعدم البسط .

ثانيهم : نجم الدين الغزى محمد بن محمد بن محمد العامري القرشى الدمشقى ، ولد سنة ٩٧٧ وتوفي عام ١٠٦١ للهجرة ، وأفرد للسيوطى في كتابه (الكواكب السائرة بآعيان المئة العاشرة)^(٤٢) ترجمة مبسوطة جاءت في نحو خمس صفحات ونصف الصفحة بالحرف الدقيق .

الثالث : ابن العماد عبد الحى بن أحمد بن محمد بن العماد العنبلى ، ولد سنة ١٠٣٢ وتوفي سنة ١٠٨٩ للهجرة، ترجم السيوطى في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ترجمة مبسوطة^(٤٣) أيضاً بلغت صفحاتها أربعاً .

الرابع : الامام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنمعاني العلامة المجتهد ، ولد سنة ١١٧٣ و توفي عام ١٢٥٠ للهجرة ، اهتم بالسيوطى فبسط ترجمته في كتابه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) فجاءت في نحو ست صفحات و نصف الصفحة (٤٤) .

مؤلف المؤرخون الذين ترجموا للجلال سواء منهم من اقتصر في الترجمة او بسط لم يتعرض أحد منهم الى مثليه من مثالب السيوطى كما صنع السخاوي ، بل بالغوا كلهم باطرايه والثناء عليه إماماً ، علاماً ، مجتهداً ، مصنفاً ، ونحو ذلك ، بل منهم من نسب إليه خوارق الكرامات كما فعل النجم الفزى في (كواكب) ، وتابعه عليه ابن العماد في (شذراته) ، ولم ينه أحد منهم أيضاً إلى الذب عن السيوطى أو الدفاع عنه الإمام الشوكاني وحده ، فهو الذي وقف بمحاسينه ويدفع عنه في (بدره الطالع) قال بعد أن ذكر فضله وعلو كعبه في العلم وطول باعه في التأليف : « ولكن لم يسلم من حاسد لفضله ، وجاءه مناقبه ، فان السخاوي في (الضوء الالمعم) وهو من أقرانه ترجمه مظلمة غالباً ثلب فظيع وسب شنيع ، وانتقاد وغمط لمناقبه تصريحاً وتلويناً ، ولا جرم بذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه ، وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها (الكاوي لدماغ السخاوي) (٤٥) ، فليعرف المطلع على ترجمة هذا المفضل في (الضوء الالمعم) أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه » .

ثم مضى الشوكاني في نقل كلام السخاوي فاستوفاه جميعه ، وبعد أن فرغ من ذلك انبرى يدفع عنه ويقول :

« وأقول : لا يخفى على المنصف ما في هذا المنقول من التعامل على هذا الإمام » .

وراج يفند أقوال السخاوي ، ويکاد ينحصر دفاعه عنه في الوجوه التالية :

– عدم استساغة السيوطى لعلم الحساب واستثنائه على فهمه ليس دليلاً على عدم ذكائه وظلم بصره ، يقول الشوكاني :

« ان ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره من عدم

الذكاء ، فان هذا الفن لا يفتح فيه الاعلى ذكي الا نادراً كما نشاهد الان في
أهل عصرنا » .

– إنكار معاصرى السيوطي عليه دعوه الاجتهد ، يرد الشوكاني :

« وكذلك سكوته دند قول القائل له : نجمع لك أهل كل فن من فنون الاجتهد ،
فان هذا كلام خارج عن الاصف ، لأن رب الفنون الكثيرة لا يبلغ تحقيق كل
واحد منها ما يبلغه من هو مشتمل به على انفراده ، وهذا معلوم لكل احد » .

– سطوه على الكتب و ..ها ، يقول الشوكاني :

« وكذا قوله : انه مسخ كذا ، وأخذ كذا ، ليس بعيوب ، فان هذا ما زال دأب المصنفين ،
ياتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله ، فيختصر ، او يوضع ، او يعرض ، او نحو ذلك من
الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف ، ومن ذاك الذي يعمد الى فن قد صنف فيه من
قبله فلا يأخذ من كلامه ٠٠٠ » .

– رده شناعة السخاوي على السيوطي تبجيحه بكثرة مصنفاته فيقول :

« وقوله : انه رأى بعضها في ورقة ، لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة من ذكر
عدد مصنفاته ، فإنه لم يقل : انها زادت على ثلاثة مجلد ، بل قال : انها زادت
على ثلاثة كتاب . وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها » .

– توجيهه الادعاء بسمة الأخذ والسمع على الشيوخ :

« وقوله : انه كذبه القميسي بتصریحه أنه بقى من (المسند) بقية : ليس
بتکذیب ، فربما كانت تلك البقية بسیرة ، والحكم للأغلب . لا سيما والشهو
والنسیان من المعارض البشرية ، فيمکن أنه حصل أحدهما للشيخ أو تلميذه » .

– ابطاله دعوى السخاوي أن السيوطي كثير التصحیف والتحریف :

« وقوله : انه كثير التصحیف والتحریف : مجرد دعوى عاطلة عن البرهان ،
فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة معمرة أحسن تعزیر ومتقدمة أبلغ اتقان » .

ثم يتتحول الشوكاني من الذب عن السيوطي الى اتهام السخاوي بعدم النصفة
وال موضوعية ، ويقر أن كل ما اتهمه به مرفوض ، يقول :

«وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرف من قول أئمة العرج والتعديل بعدم قبول أقوال الأقران في بعضهم بعضاً مع ظهور أدنى منافسة ، فكيف يمثل المنافة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض ، فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول . والسخاوي - رحمة الله - وإن كان أماماً غير مدفوع لكنه كثير التعامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه (الضوء اللامع) فإنه لا يقيم لهم وزناً ، بل لا يسلم غالبيهم من الخط منه عليه ، وإنما يعظم شيوخه وتلاميذه ومن لم يعرفه فمن مات في أول القرن التاسع قبل موته ، أو من كان من غير مصره ، أو يرجو خيره ، أو يغاف شره » .

ويحرص الشوكاني على ضرب الأمثلة ينهضها أدلة على ما يذهب إليه في دفعه عن السيوطي . ثم يمضي في إطراه والاشادة بقيمة كتبه ومصنفاته التي طبقت شهرتها الأمصار والأفاق .

ويبدو لكل ذي بصر ومتأمل أن دفاع الشوكاني عن الجلال ، وحماسه في نصرته أقرب إلى الاعتذار له والتسويف لما تصرف فيه من اقامة العجوج والبراهين التي تدمغ دعاوى السخاوي وتدحض أقواله .

□ رأينا في أسباب كثرة تصانيفه :

وبالجملة فيكاد يتفق من ترجم للسيوطى من المؤرخين أنه يأتي مجلياً في مقدمة الطبقة الأولى من علماء رأس المائة التاسعة . ولكن - جل جلال المنفرد بالكمال وسبحانه - ، فإن شدة ولع السيوطى بالتأليف ، وعراة شهوته إلى الاكتشاف من أخراج الكتب : مجلداتها ، أجزائها ، رسائلها ، قد أزججاه إلى مزالق ما كان أغناه عنها، فمن ذلك ما نحده بأنه كانت تعرض له الخاطرة يرى أنها تستحق الكتابة فيها ، أو يعن بياله المعنى يجد أنه أهل لأن يؤلف فيه ، فيوكل من ذلك إلى أحد من تلاميذه أو من يشتغل عليه أمر تتبع بعضه في مظان يهديه إليها ، فيجمع ذاك منها ما شاء الله أن يفعل في تلك الخاطرة أو ذاك المعنى ، وقد يؤلف بين ما جمعه من نقول ، ثم يعرض محسوله على الشيخ، فيسرع النظر فيما صنعت ، وقد يضيف أشياء يسيرة من تمهيد أو خاتمة ، ثم يضع اسمه على الكتاب أو الجزء أو الرسالة ، ويخرج ذلك لتناوله أيدي النساخ القراء . ولا تستبعد أن تكون رسالته (البيان في رياضة الصبيان) من هذا القبيل .

ولعله - من ناحية أخرى - حين يستبد به عرام شهوته إلى التأليف قد

يكفي بتعليق أو تعليقات أو ما يراه اصلاحاً لكتاب ما يراه محتاجاً الى ذلك ، فيخرج من هذا النحو كتاباً ، أو أجزاء ، أو رسائل تحمل عنوانين جديدين . وبذلك ترك لنا هذا المحسول الوافر من المجلدات والكتب .

□ خاتمة : فضل السيوطي على المكتبة العربية الإسلامية :

ومهما يكن من أمر فان الجلال بما أو عليه من معارف موسوعية متعددة الفنون والألوان ، وبما أوتي من مقدرة فائقة على لملمة ما تتشعث من نصوص للمعنى الواحد ، وحصافة أصيلة في التهدي الى موضوعات فيها الجدة والطرافه والابتكار ، وسعة اطلاع على ذخائر ما زخرت به المكتبة العربية الاسلامية من موروث المعرف الى عصره ، كل ذلك ملكه قدرة مطوعة على أن يخرج للناس كتاباً فرائد حقيقة في أبوابها ، أمثل :

(الأشباء والنظائر في الفقه الشافعي) و (الأشباء والنظائر في النحو) و (الاتقان) و (التعبير) و (الدر المثور) و (المزهر) و (لب الأليلب) و (بقية الوعاظ في طبقات العفاظ) و (بقية الوعاء) و (حسن المحاضرة) و (الجامع الصغير) و (همع الهوامع) و (تاريخ الخلفاء) و (الاقتراح) و نحو هذا الكثير مما يقع بعضه في مجلدات عديدة ، وبعض في مجلد واحد ، وبعض يخرج أجزاء ، أو رسائل تقع في أوراق قليلة . وقد أوفى الحديث عن ذلك مترجموه ، ولعل ما تدمناه من إلماحات إلى ذلك يعني عما لا يتسع لملئه هذا المقام .

١٩٩٢/١٢/٢٥

دكتور عدنان درويش

□ هوامش البحث :

- روضة المقياس : هي في القاهرة . قال المقريزي في الخطط : ١٧٧/٢ : « الروضة : تطلق في ذماننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة العجيزه ، وعرفت في اول الاسلام بالجزيره وبجزيره مصر ، ثم ليل لها : جزيره الصن ، وعرفت الى اليوم بالروضة » .
- وقال في : ج ٢/ ص ١٨٥ : « وبطريق الروضة المقياس الذي يقاس فيه ماء النيل اليوم ، ويقال له : المقياس الهاشمي : وهو آخر مقياس يدياري مصر » .
وقد توفى المقريزي قبل ولادة السيوطي باربعة اعوام ، سنة : ٨٦٥ هـ .

- ٢ - الدرر الكامنة في اعيان الملة الثامنة : ١٤٧/١ .
- ٣ - الدرر الكامنة : ٦٣/٣ .
- ٤ - الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .
- ٥ - الضوء اللامع ياعياد القرن الناتس : ١٤٥/٤ . ذيل الدرر الكامنة : الترجمة : ٢٥٨ .
- ٦ - الضوء اللامع : ٦٢/٢ .
- ٧ - الضوء اللامع : ٢١/٢ .
- ٨ - الضوء اللامع : ٣٦/٢ .
- ٩ - الضوء اللامع : ١٣٦/٢ .
- ١٠ - الضوء اللامع : ٣٥٠/١٠ .
- ١١ - الضوء اللامع : ٢٦٩/٧ .
- ١٢ - شذرات الذهب في اخبار منذهب : ٩/٨ .
- ١٣ - الضوء اللامع : ٣٢٢/٨ . الكواكب السائرة ياعياد الملة العاشرة : ٥٣/١ .
- ١٤ - الكواكب السائرة : ٣٠١/١ .
- ١٥ - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة : ٣٣٧/١ .
- ١٦ - جلال الدين السيوطي : ١٠٧-١٠٦ .
- ١٧ - هي المدرسة الظاهرية البيبرسية : يخطى بين القصرين في القاهرة؛ ينها الملك الظاهر وكن الدين ببرس البتقدارى سنة : ٦٦٢ هـ . وتوفي الظاهر سنة : ٦٧٦ هـ . (الخطف المقزىزة : ٣٢٨/٢) .
- ١٨ - حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ . التحدث بعنده الله : ٢٠٣ .
- ١٩ - هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، تقى الدين ، ابن دقيق العيد ، القشىرى ، المصرى ، المالكى ، ثم الشافعى ، العافظ ، المحدث ، ولد في شعبان سنة : ٦٢٥ هـ . وتوفي بالقاهرة سنة : ٧٠٢ هـ (الدرر الكامنة : ٩١/٤) .
- ٢٠ - هو عمر بن رضلان بن نصیر بن صالح ، سراج الدين ، البلقينى ، الكثانى ، الشافعى ، العحافظ . ولد في شعبان سنة : ٢٢٤ هـ . وتوفي بالقاهرة في ذي القعدة سنة : ٨٠٥ هـ . (ذيل الدرر الكامنة ، الترجمة : ١٨١) .
- ٢١ - يشير إلى الحديث الشريف : « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » . انتظر : (الجامع الصغير : ١٢٥/١) ومقتني كتاب نظم العقيان ، لفيليب حتى : ش .
- ٢٢ - مقتنة كتاب نظم العقيان ، لفيليب حتى : ش .
- ٢٣ - هو القاضى ضدالدين ، عبد الرحمن بن أحمد الأبعى المتوفى سنة : ٧٥٦ هـ . (الدرر الكامنة : ٣٢٢/٢) .
- ٢٤ - هو تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ، أبو عمرو ، الشهورى ، الشهير بابن الصلاح ، الشافعى ، العافظ صاحب التصانيف ، توفي بمحنة في ديم القمر سنة : ٦٤٣ هـ (وفيات الإمامين : ٣١٢/١) .
- ٢٥ - الضوء اللامع : ٦٧/٤ .
- ٢٦ - الضوء اللامع : ٦٧/٤ .
- ٢٧ - قال المقريزى في الخطف : ٣٩٥/٢ : « هذه المدرسة يخطى المؤذنون خارج باب زويلة تجاه دار المقربيه ... انشاءها الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستاذان في سنة : ٧٩٧ : ورتب بها درسا ، وعمل فيها حزارة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها ، وهي بالالية الى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب الا ان يكون في المدرسة ، وبهذا الغزاوة كتب الاسلام من كل فن ، وهذه المدرسة من احسن مدارس مصر » . وتوفي يائتها مسجونة سنة : ٧٩٩ هـ ودفن بمدرسته . يزيد : ابن حجر المسقلانى .
- ٢٩ - يدان الزهور في وقائع الدهور : ٨٣/٤ .
- ٣٠ - الكواكب السائرة : ٢٢٨/١ .
- ٣١ - مفاكرة الغلام في مواد الزمان : ٣٠١/١ .
- ٣٢ - الروض العاطر فيما تيسر من اخبار القرن السابع الى ختام القرن العاشر : (الورقة : ١٥٧) .
- ٣٣ - هدية المارفين اسماء المؤلفين : ٥٣٥/١ .
- ٣٤ - حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

- ٣٥- التحدث بعنوان الله : ١٠٥ ، ١٣٦
- ٣٦- الضوء الالامع : ٥٢/٣
- ٣٧- الكواكب السائرة : ١٣٠/٢
- ٣٨- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها : من : ٢٣٦ الرقم : ٨٩٠
- ٣٩- احياء علوم الدين : ٧٦-٧٧/٣
- ٤٠- بذائع الزهور في وقائع المخمور : ٨٣/٤
- ٤١- مقاومة الغلان : ٣٠١/١
- ٤٢- الكواكب السائرة : ٢٣١-٢٢٦/١
- ٤٣- ثلرات الذهب : ٥٥-٥١/٨
- ٤٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : ٣٣٥-٣٢٨/١
- ٤٥- سماها السخاوي في الضوء : ٧٠/٤ (الكاوي في الرد على السخاوي) وقال : « كتب مؤلفها سماها الكاوي في الرد على السخاوي ، خالف فيه الثابت في الصحيح مع توكيل اتكلم في المسألة الا قبله ، بل مذهبني فيه ترك التكلم اليانا ونفيها ، فسبحان قاسم العقول »

★ ★ ★

□ المصادر والمراجع :

- احياء علوم الدين ، لعجة الاسلام ابي حامد الغزالى : الطبعة المصورة في دار المعارف - بيروت
- بذائع الزهور في وقائع المخمور : لابن ابياس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : ١٩٨٦
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للأمام الشوكتانى ، مطبعة السعادة ، القاهرة : ١٣٤٨
- التحدث بعنوان الله ، للسيوطى ، تحقيق اليزابيت ماري سارتين - القاهرة : ١٩٧٢
- الجامع الصغير من حديث البيشى النذير ، للجلال السيوطى - يوالق : ١٢٨٦ هـ
- جلال الدين السيوطى - مجموعة من الباحثين - القاهرة : ١٩٧٨
- حسن العاضرة في أخبار مصر والقاهرة - للسيوطى ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - القاهرة : ١٩٩٧
- الدور الكامنة في اعيان الملة الثامنة - لابن حجر العسقلانى - حيدر اماد : ١٤٥٠ هـ
- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها - احمد الغازى ندار ، ومحمد ابراهيم الشيبانى - الكويت : ١٩٨٣
- ذيل الدور الكامنة - لابن حجر العسقلانى ، تحقيق الدكتور عدنان درويش - مهد المخطوطات العربية - القاهرة : ١٩٩٢
- الروض الماطر فيما تيسر من أخبار القرن السابع الى خاتمة القرن العاشر - لشرف الدين موسى بن يوسف بن ابوب الانصاري التوفى نحو سنة ١٠٠٢ هـ ، مخطوط - نسخة برلين يغطيه : ٧٧٦ - اور .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد العتبي - طبعة القدس ، القاهرة : ١٣٥١ هـ
- الضوء الالامع لأشهر القرن التاسع - للشمس السخاوي - طبعة مصر : ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ
- الكواكب السائرة ياعياف الملة العاشرة - للنجم الفزى - المطبعة الامريكانية - بيروت : ١٩٦٥
- مقاومة الغلان في حوارث الزمان - للشمس ابن طولون - القاهرة : ١٩٦٢
- الماءعذ والاعتبار بذكر الغلط والتار - للتقى القرزى - مصر : ١٣٧٧ هـ
- نظم العقاب في اعياف الاهياء - للسيوطى - مقدمة محقق طلبيب حتى : نيوبورك : ١٩٧٢
- هدية المغارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين - اسماعيل باشا البقدادى - استانبول : ١٩٥٥-١٩٥١
- وفيات الاعياف في انباء ابناء الزمان - لابن خلكان - مصر : ١٣١٠ هـ

السُّلْطَانِي

إمام التفسير بالتأثير في القرن العاشر

د. وهبة الزحيلي

من أبسط وأولى الواجبات في مجال التثقيف والمعرفة أن نتعرف
جهود علمائنا العظام ، وفاءً لهم ، وتقديرًا لعطائهم وانتاجهم الثر
إن وبخاصة في عصرنا ، بما خلفوه من آثارهم ومصنفاتهم الكثيرة . ومن
هؤلاء الشخصيات العلمية المتميزة، الغزيرة الانتاج والتصنيف ، العافظ العبد
المجتهد عبد الرحمن ابن الكمال أبي بكر بن محمد بن سايب الأسيوطى المصرى
الشافعى الملقب بجلال الدين ، والمعنى بابى الفضل ، المولود عام ٨٤٩ هـ ،
والمتوفى عام ٩١١ هـ ، وذلك بمناسبة مرور خمسماة عام على وفاته ٠

كان العلامة السيوطي يحرا في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، وال نحو ،
والمعنى والبيان والبدایع جمع آفاق هذه المعلوم وأتقنها ، فصنف فيها وجدد ، وأفاد الكثير من
علمه وفضله ٠

ويتجلى جده العظيم في تفسير القرآن الكريم في كتابه الشهير « الدر المنشور في
التفسير بالتأثر » في ستة مجلدات - طبع دار الكتب العلمية في بيروت ، وله طبعة أخرى في
ثمانية مجلدات . قال الإمام السيوطي في كتابه « الاتتان في علوم القرآن » عن أصل هذا
الكتاب : « وقد جمعت كتاباً مسندًا فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة ، فيه بضعة عشر
ألف حديث ما بين معروف وموقوف . وقد تم والحمد لله في أربع مجلدات - أي مخطوطلة ،
وسميته ترجمان القرآن . ورأيت وأنا في أثناء تصنيف النبي ﷺ في المنام في قصة طويلة
تحتوي على بشارة حسنة » ٠

وقال في مقدمة تفسيره « الدر المنشور » : « فلما أثبتت كتاب ترجمان القرآن ، وهو
التفسير المستند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وتم بحمد الله في مجلدات ،

* استاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق . وضع مجموعات من الموسوعات في علوم الفقه والأصول والتفسير .

فكان ما أورده فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات ، رأيت قصور أكثر الهم عن تحصيله ، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الاستناد وتطوليه ، فلخلمت منه هذا المختصر ، مقتضراً فيه على متن الآثر ، مصدراً بالغزو والتغريج إلى كل كتاب معتبر ، وسميته « الدر المنثور في التفسير بالتأثر » .

□ منهاج في التفسير :

ينذكر الإمام السيوطي الآية أو الآيتين في السور المدنية الطوال ، أو مجموعة من الآيات في السور المكية القصار ، ثم يفسر الكلمة أو الجملة بما هو مأثور عن النبي ﷺ – وهو قليل – من بيان المعنى ، أو بما هو منقول في كتب السنة النبوية عن الصحابة والتابعين ، وهو في ذلك يقيض افاضة شاملة لكل الروايات المعاكية ، بتغريب ذلك في الصحاح والمسانيد والمصنفات والسسن والأشار – ففي تفسيره (٣٢/١ - ٣٦) لجملة « العمد الله » في الفاتحة يذكر سبعة وثلاثين رواية متقاربة المعنى ، فالحمد : الشكر لله ، أو الثناء على الله ، وفيها بيان العمد الخ وفي ١٥٧ يفسر كملة « حنيفاً » بشان روایات ، منها : حنيفاً : حاجاً أو متيناً أو مستقيماً أو مخلصاً ، وفيها إيراد حديث « بثت بالعنفية السمعة » أو « أحب الدين إلى الله : العنيفية السمعة » دون بيان درجة صحة الحديث أو ضعفه . وفي ٤/٦٢٢ – ٦٢٣ يفسر جملة « ثانى عطفه » بشان روایات ، منها أنه المرض من المظلمة ، أو لاوى رأسه ، أو لاوى عنقه ، أو المرض عن العق ، أو عن ذكر الله ، مع بيان من نزلت في شأنه (وهو التضر بن العمار) . وفي ٦/٥٦١ يفسر جملة « والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدوع » بشان روایات ، الرجع : المطر بعد المطر ، والصدع : صدعاً عن النبات ، أو صدعاً للأودية ، أو باذن الله عن الأموال والنبات الخ . ولا يرجع رواية على أخرى ، ولا معنى على معنى آخر .

ويذكر في أوائل كل سورة ، أو في أثناء بيان بعض آياتها ، فضلها أو منزلتها وثواب تاليها وقارنها ، كفضائل سورة البقرة وأآل عمران ، وسورة الأخلاص والفلق والناس وغير ذلك ، وبين صفة السورة ومكان نزولها، فهي مكية أو مدنية أو تشتمل على كلتا الصفتين ، لوجود آيات منها مدنية وأخرى مكية مثل سورة البقرة مدنية الآية (٢٨١) وهي « وانتقوا يوماً ترجمون فيه إلى الله » فنزلت في حجة الوداع ، وأورد في ١/٦٥٣ منها آخر آية نزلت في القرآن على النبي ﷺ ، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ أحد وثمانون يوماً، أو تسع ليال .

وأسلوبه : تاريخي محض ، يذكر كل رواية بأسانيدها عن الصحابة أو التابعين ، ويسرد أسماء المخرجين لها في الكتب الستة (للبخاري ومسلم وأبي داود والترمذني والنسائي وأبي ماجه) أو مسند أحمد أو مسانيد الطبراني أو سنن البيهقي ، أو صحيح الحاكم وأبي خزيمة وأبي حبان ، أو مصنف ابن أبي شيبة ، أو الكتب المشتملة ، على الفimum أحياناً كتاریخ الخطیب ومسند الدیلمی (الفردوس) وأبي هساکر في

تاریخه ، والحلیة لأبی نعیم ، ویعمد کثیراً علی ما أخرجه الطبری فی تفسیره ، وسعید بن منصور فی سننه ، وابن المنذر .

ومنهجه : ایيراد مختلف الروایات فی التفسیر بالماثور للكلمات أو الجمل ، ويقتصر على المأثور دون المقول أو الرأی ، ولا يبيّن مدى صحة الروایة أو ضعفها في غالب الأحيان ، ملقیاً عبء التبعة في الروایة على صاحبها ، فهو مجرد سرد ، أو حکایة روایات أو وصف المنسولات ، وترك الأمر للقارئ ليأخذ بما شاء ، ویستحسن ما ي يريد ، ويرجح ما يختار ، فهو بحق أوسع وأشمل تفسیر للآیات بالماثور ، كما أن روایة الحديث أو الآخر تندل وأکثر احاطة باسم المخرجین ، لكن بالرغم من كثرة الروایات لا يجد القارئ ضالتہ المشودة بنحو حاسم :

مثلاً يصعب على القارئ اصدار الحكم على السیوطی بأنه سلفي الاعتقاد ، أو أشعري المذهب ، فتراه في بيان المراد من الأحرف المجائیة المقلمة في أوائل السور ، مثل « آلم » (٥٣/١) وما بعدها في أوائل تفسیر سورۃ البقرة لا يذكر ما يقتنع أو ما هو راجح عند المفسرين ، وانا ينتقل عن ابن جریر وغيره عن ابن عباس : أن هذه الأحرف قسم أقسامه الله ، وهو من أسماء الله .

وفي (١٢ - ٧/٢) يقول عن الآیات المتشابهات : أخرج ابن المنذر عن سعید ابن جبیر قال : « المتشابهات » : آیات فی القرآن يتشاربین علی الناس اذا قرؤوهن . ومن أجل ذلك يفضل من ضل ، فکل فرقۃ يقرؤون آیة من القرآن يزعمون أنها لهم ، فمنها يتبع العروبة (أي الغواچ) من المتشابه قول الله : « ومن لم يحکم بما أنزل الله فاولئک مکافرون » (المائدة : ٤٤) ثم يقرؤون معها : « ثم الدین کفروا بربهم يعدلون ، (الأنعام : ١) فإذا رأوا الامام يعکم بغير الحق قالوا : قد کفر ، فمن کفر عدل بربه ، ومن عدل بربه فقد أشرك بربه ، فهو لاعلائم مشرکون .

ويقول في تفسیر الكرسي في قوله تعالى : « وسع کرمیه السموات والأرض » (البقرة : ٢٥٥) في (٥٧٥/١) : ي يريد هو أعظم من السموات السبع والأرضين السبع ، وتلك رواية الطبراني عن ابن عباس . وفي تفسیر آیة « والسموات مطوبیاً تبیینه » (الزمر : ٦٧) يقول في (٦٢٨/٥) ذاكراً حدیث أبي هریرة عند البخاری ومسلم وغيرهما : يتقبض السموات بیینه ، ثم يقول : أنا الملك ، أین ملوك الأرض ؟ » . وفي (٤٤/٢) لم یفسر المراد بوصف المسيح بأنه کلمة الله في آیة آل عمران (٤٥) والنمساء (١٢١) واكتفى بایيراد حدیث مطابق ظاهر القرآن بان عیسی کلمة الله القاها الى مریم .

ولا یذكر شيئاً في معنی آیة « الرحمن على المرش استوى » (طه : ٥) (٥١٨/٤) ، كما لا یذكر شيئاً في تفسیر آیة « يد الله فوق أیدیهم » (الفتح : ١٠) (٦٤/٦) وانما يقول : أخرج عبد بن حمید عن الحکم بن الأعرج رضی الله عنه : « يد الله فوق أیدیهم » قال : أن لا یفروا وكذلك في تفسیر آیة : « وجاء ربک والملك صفا صفا » (الفجر : ٢٢) قال في (٥٨٧/٦) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاک في قوله : « والملك صفا صفا »

قال : جاء أهل السموات ، كل سماء صفا . وفي ٦/١٩٦ قال في آية : « وَبِقِي وَجْه رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ » (الرحمن : ٢٧) : أخرج ابن المنذر والبيهقي عن حميد بن ملال قال : قال رجل : يرحم الله رجلاً أتى على هذه الآية : « وَبِقِي وَجْه رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ » فسأل الله تعالى بذلك الوجه الكافي الكريمه . وللفظ البيهقي : بذلك الوجه الباقي الجميل . واكتفى بتعدد روايات أحاديث الكشف عن الساق ، منها ما أورده في (٣٩٧ / ٦) وما بعدها : أخرج ابن منده في الرد على الجهمية (فرقة من المشبهة) عن أبي غريبة قال : قال رسول الله عليه السلام : « يوْمٌ يُكَشَّفُ عَنِ السَّاقِ » (المقلم : ٤٢) قال : يكشف الله عن وجہ عن ساقه .

وهكذا لا نجد السيوطى يأتي بما يشفي الغليل في تفسير آيات الصفات ، ولعله يكتفى بما ذكره في كتابه « الانقان في علوم القرآن » حيث يعتقد في (٦٤٩ / ١) وما بعدها فصلاً عن المشابهة من آيات الصفات ، نحو (الرحمن على العرش استوى) (طه : ٥) « كُلُّ شَيْءٍ هَالَّكُ إِلَّا وَجْهَهُ » (القصص : ٨٨٨) « وَبِقِي وَجْه رَبِّكَ » (الرحمن : ٢٧) « وَلَتُقْسِنَعْ عَلَى عِنْيِي » (طه : ٣٩) « يَدُ اللهِ شَوْقُ أَيْدِيهِمْ » (الفتح : ١٠) « وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيمِينِهِ » (الزمر : ٧٧) ثم يقول :

وَجَمِيعُ أَهْلِ السَّنَةِ - مِنْهُمُ الْسَّلْفُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ - عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا ، وَتَفْوِيسُ مَعْنَاهَا الْمَرَادُ مِنْهَا إِلَيَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تُفْسِرُهَا ، مَعَ تَنْزِيهِنَا لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا .

وذهب طائفة من أهل السنة : على أننا نؤول لها على ما يليق بجلاله تعالى ، وهذا مذهب الخلف ، وكان أمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه ، فقال في رسالة الناظمة : الذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقداً ، اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرُّض لمعانيها .

وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدّر الأمة وساداتها ، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباهما .

واختار ابن بَرَّ هان مذهب التأويل ، قال : ومنشأ الخلاف بين الفريقين : هل يجوز أن يكون في القرآن شيء لم نعلم معناه ، أو لا ، بل يعلمه الراسخون في العلم ؟

وتوسط ابن دقيق الميد فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً عنه توقتنا عنه ، وأمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه ، قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تناول العرب ، قلنا به من غير توقيف ، كما في قوله تعالى : « يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي جَنَّبَ اللَّهِ » (الزمر : ٥٦) فتعامله على حق الله وما يجب له :

موقع تفسير السيوطي في عالم البيان :

القرآن الكريم كتاب هداية وارشاد ، يهدي الى الحق ، وبين للناس طريق الهدى والضلال ، لانقاد الناس من ظلمات الجهل الى نور المعرفة والعلم ، فتصلح دنياهم وآخرتهم ، وتحتفظ لهم السعادة الأبدية . لذا وصف الله تعالى القرآن بالبيان ، هنا ابان ابو القاسم الراغب الاصفهاني في « مقدمة جامع التفاسير » فقال تعالى : « هذا بيان للناس » (آل عمران: ١٣٨) وقال : « بين الله لكم أن تضلوا » (النساء: ١٧٦) وقال : « بلسان عربي مبين » (الشعرااء: ١٩٥) وقال : ولقد أذلتنا اليكم آيات مبينات » (النور: ١٢٤) وبالرغم من وجود بعض الاشكال والتشابه فيه ونحوه من الرموز ، بالنسبة للناس الماديين غير المتخصصين ، فإنه يظل بيانه ناصعا ، لأن البيان يحسب أحوال المبين لهم ، ومنهم أهل العربية وغير العرب ، ومنهم المتضلع الراسخ في العلم ، ومنهم العامة وأواسط المعرفة والثقافة ، فيكون بيان القرآن كافياً لجامعة وهم الراسخون في العلم ، ولا يعد بياناً كافياً لغيرهم ، والناس أيضاً يتلقون في المعرفة بحسب درجاتهم العلمية ومتخصصاتهم واختلاف أحوالهم ، فالبلفاء يدركون فصاحتهم ، والفتواه حكماء ، وعلماء الكلام (أو التوحيد) يدركون براهينه المقلية وأهل الآثار والتاريخ يفترضون الكثير من قصصه التي يجهلها غير المتخصصين ، والمالم نفسه يقدر ما يتعمق في العلم وتزايد معرفته بتواءضع معانيه ، لهذا قال النبي ﷺ في مسند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة : « نشر الله أمره أسمع مقالتي ، فرعاها كما سمعها ، حتى يؤديها إلى من لم يسمعها ، فربّ مبلغ (وعي من سامع) .

والبيان أعم من التفسير ، فال الأول شامل كل أنواع المكلام البين الفصيح ، والتفسير يختص بنوامض الكلمات والتركيب والجمل ، والبيان فيه القطعى الذي لا يتحمل معنى آخر سواه ، والظنى الذى يحتمل معنى آخر سوى المعنى المتباادر الى الذهن . ف المجال الظنيات وأنواع الجمل والتشابه ونحوهما .

وتفسير السيوطي أحد أنواع التفاسير المختصة بالتأثر المنقول عن النبي ﷺ والصحابية والتابعين . وقد ذكر الإمام ابن تيمية رحمة الله في « مقدمة في أصول التفسير » أن النبي ﷺ بين لأصحابه معانى القرآن ، كما بين لهم ألفاظه ، ف قوله تعالى : « لتبيّن للناس ما نزلُّ اليهم » (التعليل: ٤٤) يتناول هنا وهذا . وكان الصحابة الكرام كعثمان وابن عباس وغيرهما اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميماً . ولا ابن عباس تفسير للقرآن ، وكان يلقب بحرب الأمة وترجمان القرآن ، ببركة دعاء النبي ﷺ بقوله : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . ونقل الصحابة علوم القرآن لمن بعدهم من التابعين ، ونقل مؤلّاء تلك العلوم بدورهم الى من بعدهم . فتكون من حصيلة تلك النقول أصل التفسير او ما سمي بعدneath التفسير بالتأثر ، الذي كان امام المفسرين ابن جرير الطبرى أول من صنف فيه تفسيره الشهير بـ « جامع البيان في تفسير القرآن » .

كتاب السيوطي في مجال التفسير والتاویل:

ان علم التفسير : علم يبحث عن معنى نظم القرآن المؤدي الى معرفة الأحكام الشرعية بحسب الطائفة البشرية ، وعلى وفق ما تقتضيه الأصول الشرعية والقواعد العربية، وهو قسمان : تفسير وتاویل ، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ ، والتاویل في المعاني ، كتاویل الرؤيا ، كما ذكر الراحل الأصفهاني في مقدمة جامع التفاسير^(١) .

١ - التفسير :

هو ما لا يدرك الا بالنقل والرواية ، كأسباب النزول ، وهو مقصود على السماع ، فما يُبَيَّنُ في الكتاب والسنة يسمى تفسيراً ، وليس لأحد أن يتعرض له باجتهاد ولا غيره : لأنه من باب الرواية ، فهو قطع شهادة على أن الله تعالى عنى بهذا اللفظ هذا المعنى ، وأحسن طرق التفسير كما ذكر العلماء كابن تيمية في أصول التفسير ، وغيره : أن يفسر القرآن بالقرآن ، فإن لم يوجد في والسنة النبوية ، فأنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قال الإمام الشافعي رحمة الله : كل ما حكم به رسول الله ﷺ ، فهو مما فهمه من القرآن ، قال الله تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتعكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائفين خصيما » (النساء : ١٠٥) وقال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل : ٤٤) . وقال النبي ﷺ فيما أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه : « أَلَا أَنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك الى أقوال الصحابة ، فانهم أدرى بذلك ، لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ، وما لهم من الفهم الشامل والعلم الصريح ، لا سيما علماؤهم وكبارهم ، كالخلفاء الراشدين وعبد الله بن مسعود ، وال عبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم النبي ﷺ وترجمان القرآن ، كما تقدم . وأعلم الناس بالتفسير أهل مكة : لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد وعطا وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم .

وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد بن جبیر ، فانه آية في التفسير ، وكمسعود بن جبیر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مناحم ، وغيرهم من التابعين وتبعائهم ومن بعدهم . وقد أبان السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » (١١٩٢ / ٢ وما بعدها) طريق التفسير بالتأثر على النحو السابق .

٢ - التاویل :

بيان المعاني بطريق الاجتهاد والاستنباط بالرأي المقبول شرعاً ، المتفق مع أصول الشريعة ومقاصدها العامة وروح التشريع . ويكون بترجيع أحد المحتملات بالدليل بلا

قطع ولا شهادة على أنه مراد الله تعالى ، ويعرف بأنه ما استنبطه العلماء العاملون بمعانٍ الخطاب الالهي ، فهو من باب الدراية لا الرواية ، ولذا اشتُرط في التأويل أن يكون المفسر : عالماً في اللغة والمعنى والمعرفة والبيان والدبيع وعلم القراءات وأسباب النزول ، والقصص القرآنية ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، وأصول الدين ، وأصول الفقه والسنّة النبوية ، وسائل الاجتماع والقياس وأركانه وشرائطه .

والتفسير بالرواية : هو التفسير بالتأثر وهو ما جام في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة ، بياناً لمراد الله تعالى من كتابه . **والتفسير بالدراءة :** هو التفسير بالرأي . وتفسير السيوطي هنا تفسير بالتأثر كما بين لدينا ، وقد أثبتت فيه تفاصير كثيرة جمعت من آقوال الصحابة والتلاميذ ومن أشهرها وأولها تفسير ابن جرير الطبرى ، ومن أحسنها تفسير يقى بن مخلد ، قال ابن حزم : أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره لا تفسير ابن جرير ولا غيره . وقال السيوطي في الاتقان (١٢٠٣ / ٢) : « تفسير ابن هشمة وأمثاله أتبع للسنة ، وأسلم من البلاغة ، ولو ذكر كلام السلف المتأثر عنهم على وجهه : لكان أحسن ، فإنه كثيراً ما ينتقل من تفسير ابن جرير الطبرى . »

والتأويل أو التفسير بالرأي نوعان : محمود ومنموم ، والممنوم : هو تفسير القرآن بمجرد الرأي المحسن من غير دليل شرعي ، وهو حرام ، لما أخرجه الطبرى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقدمه من النار » لكنه ضعيف . وفي حديث ضعيف آخر أخرجه الترمذى : « من قال في القرآن برأيه ، فأصاب ، فقد أخطأ ، » .

ومن التأويل المستكره : تخصيص لنظر عام ببعض مشتملاته من غير حجة ولا برهان مثل قوله تعالى : « وَانْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ ، فَانَّ اللَّهَ هُوَ مُوَلَّهُ وَجَبَرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ » (التحرير : ٤) حمله بعض الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقط . ومثل قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة ، محتاجاً بقوله تعالى : « وَانْ مَنْ أَهَلَ إِلَّا خَلَافَهَا نَذِيرٌ » (فاطر : ٢٤) وقوله تعالى : « وَمَانِدَابَةً فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِعِنَاحِيهِ إِلَّا أَمْ أَمْتَالَكُمْ » (الأنعام : ٢٨) فدلل بقوله : « إِلَّا أَمْ أَمْتَالَكُمْ » أنهم مكلفوون كما نحن مكلفوون . ونحو تأويل قوله تعالى : « يَوْمَ يُكَشَّفَ عَنْ سَاقِ (القلم : ٤٢) بالاعتماد على حديث مزور أو موضوع ، قائلًا : عني به الجارحة ، وكالاستعانتة باستعارات واشتراكات بعيدة ، كما قال بعض الناس في البقر : « إِنَّ انسَانَ يَبْقَى عَنْ أَسْرَارِ الْهَرَمِ » وفي الهدى : « إِنَّ انسَانَ مُوصَوفٌ بِجُودَةِ الْبَحْثِ وَالْتَّنْقِيرِ » .

اما التأويل العلمي او التفسير بالرأي المعمود : فهو توضيح معانٍ القرآن الكريم بالاعتماد على قوانين اللغة العربية وقواعد الشريعة الإسلامية ، كما بيننا سابقاً في شروطه ، فيصبح مقبولاً لاعتماده على أساس صحيحة وقواعد وأصول ثابتة شرعاً . وقد نقل السيوطي عن الزركشي في البرهان خلاصة هذه الضوابط ، وهي أربعة ذكرها في كتابه « الاتقان في علوم القرآن ٢ / ١٢٤ » :

- ١ - النقل عن الرسول ﷺ نقاً صحيحاً .
- ٢ - الأخذ بقول الصحابي .
- ٣ - الأخذ بمطلق اللغة ومراعاة الاصطلاحات الشرعية .
- ٤ - الأخذ بمقتضى الكلام المتبادر الذي يدل عليه قانون الشرع ، وهذا النوع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه في قوله : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » .
- والخلاصة :** ان التفسير بالرأي المقبول شرعاً إعمال للعقل والفكر الذي أمر به الله تعالى في آيات كثيرة منها : « ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (النساء : ٨٣) ومنها : « أفلأ يتذمرون القرآن ، ام على قلوب أفالها » (محمد : ٢٤) ومنها : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذبروا آياته وليتذكرة أولوا الآلباب » (سورة ص : ٢٩) وهو داخل فيما يجوز للنبي ﷺ من الاجتهاد فيما لم يوح إليه فيه . وهو رأي ابن تيمية والشوكاني وغيرهما .

وبالرغم من أن الإمام السيوطي أقر التفسير بالرأي المعمود ، فإنه التزم في تفسيره منهج التفسير بالتأثر ، فكان يعم مرجعاً غالباً بما جاء فيه روایات كثيرة في مجال تفسير مفردات الألفاظ . أما التأويل الذي يستعمل أكثره في الجمل كما أبان الراغب الأصفهاني فيحتاج إلى التفسير بالدرارية أو بالرأي العلمي الموضوعي المقبول شرعاً ، وهو ما لا يعرض فيه شيء من التأويلات البشعة السابقة ذكرها ، نحو قوله تعالى : « لا تدركه الأ بصار » (الأنعام : ١٠٣) هل هو من بصر العين أو من بصر القلب ؟

والحق أن الاحتياط والورع والالتزام يقتضي الأخذ بالتفسير المتأثر الثابت نقله ، وهو قليل . قال ابن تيمية في « مقدمة في أصول التفسير » ص ٥٨ وما بعدها : ومعلوم أن المنسقون في التفسير أكثره كالمنسقون في المجازي الملحم ، ولهذا قال الإمام أحمد : « ثلاثة أمور ليس لها إسناد : التفسير ، والمجازي ، والملحم » ويروي « ليس لها أصل » أي إسناد : لأن الغالب عليها المراسيل (الأخبار التي رواها التابعون من غير سند متصل) مثل ما يذكره عروة بن الزبير ، والشعبي ، والزهري ، وموسى بن مسلم ، والواقدي ، ونحوهم من كتاب المجازي .

والأكثر في التفاسير المتدوالة : هو التفسير بالرأي المقبول شرعاً القائم على الاجتهاد بضوابطه وشروطه المعتبرة .

□ موازنة بين امامين في التفسير بالتأثر : الطبرى والسيوطى :

جاء بعد التابعين شيخ المفسرين وإمامهم المجتهد المطلق أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٤٠ - ٣١٠ هـ) صاحب التاريخ المروف وصنف تفسيره المشهور « جامع البيان في تفسير القرآن » جاماً بين التفسير بالتأثر والتفسير بالرأي المقبول ، جمع وجوه البيان ،

وأقوال العلماء ، وأراء الممجتدين ، واجتهاد الصحابة والتابعين ، في المأثور والمقبول ، والرأي المترن والمقبول السليم ، وزوازن بين الآراء المختلفة ، ورجح أقربها إلى الحق أو إلى مفهوم اللغة التي نزل بها القرآن وكلام العرب . ورأى الطبرى أن التفسير مقدمة للتاويل ، وهذا كلام سديد ومنطق صحيح ، وقال في مقدمة كتابه المذكور : (ص ٢) : « اللهم فرقنا لاصابة صواب القول في معكم القرآن ومتشبهه ، وحلله وحرامه ، وعامة وخاصة ، ومجمله ومفسره ، وناسخه ومنسوخه ، وظاهره وباطنه ، وتاويل آيه ، وتفسير مشكلا » . وبعد أن أورد الطبرى في (٢٧/١) بعض الأخبار التي وردت بالتفى عن القول في تاویل القرآن بالرأي ، قال : وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تاویل أي القرآن الذي لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله ﷺ ، أو بتصنيبه الدلالة عليه ، فغير جائز لأحد القتيل فيه برأيه . بل القائل في ذلك برأيه ، وإن أصاب الحق فيه ، فخطيء فيما كان من فعله بقيئله فيه برأيه ؛ لأن اصابةه ليست اصابة موقن أو محق ، وإنما هو اصابة خارص وظان ، والسائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم .

ثم أورد الطبرى الأخبار التي تعضم على العلم بتفسير القرآن ، ثم قال في الماءظ والتبیان بقوله جل ذكره : « ولقد ضرب الناس في هذا القرآن من كل مثل لهم يتذكرون .قرأناً عربياً غير ذي عوّج ، لعلهم يتقون (الزمر : ٢٨ - ٢٧) وما أشبه ذلك من أي القرآن التي أمر الله عباده ، وحثهم فيها على الاعتبار بامثال أي القرآن ، والانتظام بمعاذه ، ما يدل على أن عليهم معرفة تاویل ما لم يتعجب عنهم تاویله من آيه ؛ لأنه مجال أن يقال لن لا يفهم ما يقال ولا يعقل تاویله: اعتبر بما لا فهم لك به ، ولا معرفة من القتيل والبيان ، الا معنى الأمر بان يفهمه ويفقهم ، ثم يتدبّره ويعتبر به ، فاما قبل ذلك ، فمستحبيل أمره بتدبّره ، وهو بمعناه جاهل .

وسار المفسرون من بعد الطبرى على الجموع بين التفسير بالتأثر والتفسير بالمقبول ، واستقر ذلك منهاجا عاما في التفاسير التقديمية والمعاصرة ، وامتلاط كلها بتاویلات سائفة شرعا ، غير مذمومة عقلا وفهمـا . وأيد النيسابوري في كتابه « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان » منهجه الطبرى ، وهو مطبوع بهامش تفسير الطبرى وي逞ض ذلك فيما ذكره في (٩/٤) في بحث « بيان النهي عن تفسير القرآن الا بما سمعه ، فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن ، واختلفوا في تفسيره على وجهه ، وليس كل ما قالوه سمعوه . كيف وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التاویل » ، فإن كان التاویل مسموعا كالتنزيل ، فما فائدة تخصيص بذلك ؟ وإنما النهي يحمل على وجهين :

أحدهما - أن يكون له في الشيء رأي ، واليه ميل من طبعه وهواء ، فيتناول القرآن على وفق هواه ، ليتعجب على تصحيح غرضه ... الخ .

الثاني - أن يتسرّع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغير بظاهر العربية ، وما فيه من الألفاظ المبهمة والاختصار والعنف

والاضمار ، والتقديم والتاخر ، فالنقل والسماع لا بد منها في ظاهر التفسير اولاً ليتنقى بها مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط .

وطبق الطبرى منهجه في الجمع بين المأثور والمعقول في تصدیه لتفصیر معانی الآيات القرآنية ، فمثلاً جاء في ٤٨/١ : القول في تأویل قول تعالى « العالَمُ » في مسورة الفاتحة ، قال أبو جعفر : والعالَمُ جمْع عالم ، والعالم جمْع لا واحد له من لفظه ، كالأئمَّة والمرجع والجيش .. والعالم : اسم لأصناف الأئمَّة ، وكل صفت منهم عالم .. فالأنس عالم ، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان ، والجن عالم ، وكذلك سائر أجناس الخلق ، كل جنس منها هالم زمانه .. وهذا القول الذي قلناه قوله ابن عباس وسعيد بن جبير ، وهو معنى قول عامة المفسرين . ثم ذكر أبوالهم .

اما السيوطي فاقتصر على ايراد الآثار المختلفة ، دون تعرُض لشيء من التأویل ، فكان في ذلك أقل مستوى تفسير الطبرى ومنهجه الذي سار عليه جميع المفسرين ، ففي تفسيره « العالَمُ » في المثال السابق أورد عشر روايات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجابر بن عبد الله ومجاده وغيرهم ، مفسرين العالمين بقولهم : « الجن والانس » .

ويظهر من ذلك أن هناك اتفاقاً بين الطبرى والسيوطى في التفسير بالmAثور ويزيد الطبرى عن السيوطى أنه ضم الى ذلك التفسير بالمعقول . ويتبين الفرق بينهما في مثال آخر في تفسير قوله تعالى : « من يهَدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَتَّدُ ، وَمَن يُضْلَلُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرْشِداً » (الكهف : ١٧) وهو ما قد يوهم أن الإنسان مسير لا مغير ، فلا تجد السيوطى في موقع تفسير هذه الآية (٤ / ٣٩١) يأتي بشيء فيها ، لعدم وجود الآثار في ذلك ، بينما الطبرى في (١٥ / ١٤١) يقول في تفسيرها :

يقول الله عز وجل : من يوفقه الله للامتداء بأياته وحجه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه ، فهو المحتدى ، يقول : فهو الذي قد أصاب سبيل الحق ، ومن يضل يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدله ، فلم يوفقه لامتداء بها على سبيل الرشاد ، فلن تجد له ولها مرشداً ، يقول : فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفاً يرشده لاصابتها ؛ لأن التوفيق والخدلان بيد الله ، يوفق من يشاء من عباده ، ويخذل من يريده ، يقول : فلا يعنك إدبار من أذبر عنك من قومك وتكتيبيهم أياك ، فاني لو شئت هديتهم ، وبيدي الهدایة والضلالة .

ما سبق يتبيّن أن الله قادر على خلق الهدایة والضلالة في كل انسان ، لكنه سبحانه ترك الخيار للناس في اختيار الايمان أو الكفر ، يمتنع عقولهم ، واسترشادهم بهدي الله في كتبه السماوية وعلى أيدي آنبيائه ، فمن قصر وأهمل البحث لمعرفة طريق الحق والإيمان ، فهو المؤاخذ على ضلاله ، ويترکه الله في غيه وانحرافه . ومن بعث وتوصل الى طريق الإيمان والحق ، زاده الله هدى بتوفيقه في الكشف عن منارات أخرى للهدایة أتم وأشمل ، وأدق وأحكم ، للاسترار أو للثبات على منهج الحق ، فاستحق هذا التأييد والعون ، بعد اختياره أصل الهدایة ، وأما الأول فلم يستحق التوفيق (أي الهدایة) في الآية

المذكورة ، فكان عاصياً كافراً : لأنه لم يختربنفسه أصل الهدایة أو الدلالة على وجود الله ووحدانيته والآیمان بما أنزل الله في كتبه . ومن المعلوم أن الهدایة في القرآن نوعان : هدایة عامة وهدایة خاصة ، والأولى هي الدلالة ، وتشمل هدایة الحواس والعقل والدين . والثانية هي الاعانة والتوفيق للسير في طريق الغير والنجاة مع الدلالة .

والخلاصة : ان السيوطي يعد بحق امام المائة العاشرة ، بل والتاسعة وما بعد ذلك في التفسير بالتأثر ، فقد وقى الموضوع حقه ، وكان تفسيره شاملًا معيظاً بجميع الروايات الواردة . كما أن تفسيره يعد مجالاً رحبًا للتغريب شاملاً وافياً للأحاديث النبوية والأئمّة المنقوله عن الصحابة والتابعين في قضيّاً دينية كثيرة .

ولكن ينقص كل ذلك التصحیح والتضعیف فيما لم نجد فيه روایة في الكتب الصعیحة ، كما أن المزو الى كتب السنّة وتخریج ما جاء فيها يحتاج أيضاً لتوثیق وتدقيق . ولا يطمئن الباحث أحياناً الى هذا الحشد من تعداد أسماء المخرّجين الا بعد الرجوع للمصادر الأصلية التي ورد فيها الحديث والأئمّة ، وهذا يساعدنا على تنقیة مصادرنا من الروایات الموضعية أو الضعیفة أو الاسرائیلیات والاخبار غير المؤوثقة أو غير المتمتدة على نقل ثابت صحيح .



اسحام السيوطي بالآفاق ،

د. محمد الزحياني

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على رسول الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ، وعن العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين ، وعننا معهم ، إلى يوم الدين .

مقدمة □

يعتبر السيوطي رحمة الله تعالى من العلماء الأعلام الذين انتشر ذكرهم في الآفاق ، وتعطر أسماؤهم المجالس ، وخلف جلال الدين السيوطي ثروة علمية كبيرة ، وذكرى خالدة على مر الأجيال .

وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الأسيوطى ، الغضائري ، الملقب جلال الدين ، الشهير بالسيوطى الملاحة ، الفقيه الشافعى ، الحافظ ، المؤرخ ، الأصولى ، الأديب ، النحوى ، المفسر ، المفتى ، صاحب المؤلفات النافعة .

ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م ، ومات بها سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

وكان السيوطي موسوعة في ثقافته وعلمه ، ونابفة في تصانيفه ومؤلفاته ، ولا مثيلًا في حياته وشهرته ، فكان مالىء الدنيا وشاغل الناس في عصره ، وانتشرت كتبه ومصنفاته في جميع مناهل العلم ، وفي مختلف العلوم العربية والإسلامية والتاريخ والترجمة ، ولا يزال اسمه يتتردد في درمات العلم والعلماء ، وفي جميع البلاد ، وله شخصيته الفذة في مختلف المجالات .

* استاذ في كلية الشريعة والحقوق بجامعة دمشق ٢٠٠٠ له مؤلفات في الفقه والأصول وترجم الرجال . قام بتحقيق مؤلفات تراثية منها : [أخبار القضاة لابن أبي المم - شرح الكوكب المنير لمحمد النقاشي] .

ونحصر حديثنا عنه في أحد جوانب حياته ، مما لم يلق الإهتمام الكثير في الدراما عنه ، وكان أقل شأنًا من غيره في حياته ، ولكنه ذو أثر باهر ، ومكانة رفيعة ، ومجال رحب في عصرنا الحاضر ، وهو اشتغال السيوطى بالافتاء ، ومارسته للفتوى ، ومساهمته في تصنيف الفتوى الالتي صدرت عنه .

□ خطة البحث :

وتقسم الدراسة في هذا الموضوع إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لعنة موجزة عن الفتوى والافتاء .

المبحث الثاني : أهلية السيوطى للفتوى .

المبحث الثالث : فتاوى السيوطى الفقهية .

خاتمة عن النتائج وخلاصة البحث ، وأهم مصارده .

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد ، وعليه الاعتماد والتکلام .

المبحث الأول : لعنة موجزة عن الفتوى والافتاء

□ تعريف الفتوى والافتاء :

الفتوى لغة من أفتى إفتاء في المسألة ، أي أبان الحكم فيها ، والاسم الفعلي بالياء وضم الفاء ، والفتوى بالواو وفتح الفاء وضمهما ، من أفتى العالم أي بين الحكم ، والجمع الفتوى والفتاوي ، واستفتاءه : سأله أن يفتني ، وفي الحديث الشريف : « الاثم ما حاك في صدرك ، وان أفتاك الناس وأفتوك »^(١) ، أي وان جملوا لك فيه رخصة ، وجوازا .

والافتاء مصدر ، وهو بيان حكم المسألة، والمفتى : من يتصدى للفتوى بين الناس ، وهو الفقيه الذي يعطي الفتوى ، ويجبب بما أتفى عليه من المسائل المتعلقة بالشريعة ، والمفتى عند علماء الأصول هو المجتهد ، والمفتى في الشرع : هو المجيب في الأمور الشرعية والنوازل الفرعية .

والفتوى عند الحنفية بيان حكم المسألة، وعند المالكية : الاخبار بالحكم الشرعي على غير وجه الالزام ، والقاضي يغير بالحكم الشرعي على وجه الالزام^(٢) .

وعلم الفتوى أحد فروع علم الفقه الذي يعرفه الملمام بأنه : « العلم بالأحكام الشرعية العملية ، المكتسب من أدلةها التفصيلية » ، وجمع الملمام الفتوى التي أصدروها في كتب

خاصة ، تسمى كتب الفتاوى ، وصار لهذه الكتب مرتبة عند العنفية باسم الفتوى والواقعات ، وهي مسائل استنبطها المجتهدون وأتباعهم مما سئلوا عنها ، ولم يجدوا رواية عند أهل المذهب المتقدمين ، وهم أصحاب أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، وأصحاب أصحابهما^(٣) .

وعرف طاشن كبرى زاده علم الفتوى فقال : « وهو علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الواقع العاجزية ، ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم ، والكتب المؤلفة في هذا العلم أكثر من أن تحصى »^(٤) .

□ أهمية الفتوى :

وتظهر أهمية الفتوى من وظيفة المفتى، بأنه المخبر عن حكم الله تعالى لمعرفته بدليله ، وقيل : هو المخبر عن الله يحكمه ، وقيل : هو المتتمكن من معرفة أحكام الواقع شرعاً بالدليل مع حفظه لأكثر الفقه ، لذلك كان أمر الفتوى عظيماً ، وخطرها جسيماً ، ويتوقف عندها العلماء والأتقين والورعون خوفاً من اثماها وخطرها^(٥) .

قال النووي رحمة الله : « اعلم أن الافتاء عظيم الخطر ، كبير الموقف ، كثير الفضل ؛ لأن المفتى وارث الأنبياء صلوات الله وسلمه عليهم ، وقائم بفرض الكفاية ، لكنه معرض للخطأ ، ولهذا قالوا : « المفتى موضع عن الله تعالى »^(٦) .

وأكد ابن قيم الجوزية هذا المعنى عند النووي ، مبيناً صفات المبلغين عن الله ، وعن رسول الله ، فقال : « وما كان التبليغ عن الله سبحانه أنه يعتمد العلم بما يبلغ ، والصدق فيه ، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا من اتصف بالعلم والصدق ، فيكون عالماً بما يبلغ ، صادقاً فيه ، ويكون مساع ذلك حسن الطريقة ، مرضي السيرة ، عدلاً في أقواله وأفعاله ... ، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بال محل الذي لا ينكر فضله ، ولا يتجاهل قدره ، وهو من أعلى المراتب السنتيات ، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ، فحقيقة بين أقيم في هذا المنصب أن يُعد له أهونه ، وأن يتائب له أهونه ، وأن يعلم قدّر المقام الذي أقيم فيه ... وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب ، فقال تعالى « ويستفتوه في النساء » ، قل : الله يفتحكم فيهن ، وما يتلى عليكم في الكتاب » النساء / ١٢٧ ، وكفى بما تولاه الله بنفسه شرفاً وجلالاً ، اذ يقول في كتابه : « يستفتوه فيهن » ، قل : الله يفتحكم في الكلالة » النساء / ١٢٦ ، ولعلم المفتى عن ينوب في فتواه ، ولزيق أنه مسؤول غداً ، وموقف بين يدي الله »^(٧) .

ويؤكد ابن القيم رحمة الله تعالى أن رسول الله عليه السلام هو أول من قام بالتبليغ والافتاء ، فيقول : « وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبفين ، عبد الله رسوله ، وأمينه على وحيه ، وسفره بينه وبين عباده ، فكان يفتى عن الله بوجهه المبين ... فكانت فتاويه هي جوامع الأحكام ، ومشتملة على فصل العطاب ، وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها والتعالى إليها ثانية الكتاب ، وليس لأحد من المسلمين العدول عنها ما وجد

اليها سبيلاً»^(٨) . ثم بيّن أن الصحابة قاموا بالفتوى بعده ، فقال : « ثم قام بالفتوى بعده برَّكُ الإسلام ، وعصابة اليمان ، وعسكر القرآن ، وجد الرحمن ، أولئك أصحابه هُنَّ الذين قلوب الأمة قلوباً ، وأعمقها علماء ، وأقلّها تكلفاً ، وأحسنها بياناً ، وأصدقها إيماناً ، وأعمقها نصيحة ، وأقربها إلى الله وسيلة ، وكانتوا بين مثُلِّيها ، ومقل ، ومتوسط»^(٩) .

□ حكم الفتوى :

الفتيا فرض عين اذا كان في البلد مفت واحد ، وتصبح فرض كفاية اذا كان في البلد مفتين فاكثر^(١٠) ، وذلك أنه يجب على العالم أن يبين للناس حكم الله تعالى ، ولا يجوز له كتمان العلم ، أو اغفال حكم الله تعالى ، لأن الله تعالى أمر نبيه أمراً جازماً بالتبليغ ، فقال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تقم فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين » المائدة / ٦٧ ، وقال رسول الله ﷺ بأمر ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ثم حمل أصحابه ، والأمة جمماً ، التبليغ والقيام بهذا الواجب المتنفس ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بلغوا عنِّي ولو آية »^(١١) ، ورَغَبَ رسول الله ﷺ بتبلغ أحكام الله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام « نصّر الله عبداً ، سمع مقالتي فوعاها وحفظها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فربّ حامل فقهه غير فقيه ، وربّ حامل فقهه إلى من هو أفقهه منه »^(١٢) ، لذلك يجب على المسلمين عامة ، والعلماء والفقاء خاصة ، أن يبيّنوا ذلك عند السؤال والاستفهام ، اقتداء برسول الله ﷺ ، وتحصيلاً للثواب والنفع والخير في قوله ﷺ : « ما تصدق الناس بصدق مثل علم ينشر »^(١٣) ، وقوله : « نعم المطية كلمة حق تسموها ، ثم تحملها إلى آخر لك مسلم فتعلّمها إيه »^(١٤) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « اذا مات ابن ادم انقطع الا من ثلاث : صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يسمع له »^(١٥) .

كما يجب على العلماء والفقهاء بيان الأحكام الشرعية ليسلّموا من الوعيد الشديد ، والترحيب الصريح لمن كتم العلم ، فقال رسول الله ﷺ : « من سُئِلَ عن علم فكتمه الجنه الله يوم القيمة بلجام من نار »^(١٦) .

لذلك قام العلماء والفقهاء من الصحابة فمن بعدهم بواجب الفتوى ، وبيان الأحكام الشرعية ، بعد تحصيل العلم ، ومعرفة الأدلة ، وكان الأستاذ أو الشیخ يجيز الطالب بالافتاء والفتوى ، متى أنس منه الحد الكافي واللازم في حفظ الأحكام الشرعية ، وتنزيتها على الأسئلة والتطبيق العملي .

والأصل أن الافتاء واجب ديني ، ولم يصبح وظيفة مرسومة ، ومنصبًا رسميًا في الدولة الإسلامية إلا في الخلافة المشائية ، وكان العلماء والفقهاء يقوّمون بهذه المنصب الجليل من تلقّاه أنفسهم ، امثالًا لأمر الله تعالى ، والتزاماً بوصية رسول الله ﷺ ، وأداءً للواجب المقدس الملقى على عاتقهم بتبليغ الشرع وبيان الأحكام ، وطمئناً بالثواب الدائم والأجر الميم .

□ شروط المفتى :

ونظراً لأهمية الفتوى وخطورتها في أنها اظهار لحكم الله تعالى في المسألة ، وتبليل عن رسول الله في دين الله ، وتوضيح عن رب العالمين في بيان شرعه فقد بين العلماء صفات المفتى ، وذكروا الشروط التي يجب أن تتوافر فيه ليقوم بهذا العمل الجلل((١٧)) .

فقالوا ينبغي أن يكون المفتى ظاهر الورع ، مشهوراً بالديانة الظاهرة ، والصيانت الظاهرة ، ويشترط فيه أن يكون مسلماً ، مكلاً ، عَدْلًا ، ثقة ، مأموناً ، متزناً عن أسباب النفاق وخوارم المروءة ، فقيه النفس ، سليم الذهن ، رصين الفكر ، صحيح التصرف والاستنباط ، متيقظاً ، وينبغي أن يكون كالراوي والقاضي . لا يؤثر فيه قراءة وعداؤه ، وجر منفعة ودفع ضرر ، لأن المفتى في حكم الخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص ، فكان كالراوي ، ولكن فتواه لا يرتبط بها الزام بخلاف حكم القاضي ، وتقبل الفتوى من الحر والبد ، والمرأة والرجل ، والأعمى والآخرين إذا كتب أو فهمت إشارته .

وإذا كان المفتى مجتهداً مستقلاً – وهو قليل – فيشترط فيه أن يكون فيما بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية ، ومتوفرأ فيه شروط الاجتهاد المعروفة في علم أصول الفقه .

أما إن كان المفتى مجتهداً مستقلاً – وهو قليل – فيشترط فيه أن يكون فيما بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية ، ومتوفرأ فيه شروط الاجتهاد المعروفة في علم أصول الفقه .

أما إن كان المفتى غير مستقل بالاجتهاد ، وهو الأعم الأغلب فيشترط أن يكون فقيه النفس ، حافظاً مذهب أمامه ، عارفاً بادلته ، قائماً بتقريرها ، وأن يحسن نقل الأحكام في الأمور الواضحة ، والمسائل المشكلة ، وأن يتمتد على نصوص المذهب ، والكتب المعتمدة فيه ، والأراء الراجحة ، والأقوال الصحيحة((١٨)) ، فإن لم يوجد حكم المسألة منصوصاً في الكتب استطاع أن يدرك أوجه الشبه والاختلاف ، ويفصل بين الأشياء ، ويلحق الآباء بالأشباء ، والأشبال بالأشبال ، فإن أعزبه كل ذلك يجب أن يمسك عن الفتوى تجنباً للافتراء على الله تعالى ، وتعززاً من الكذب ، وورعاً من القول بما لا يعلم ، وقد يرهن العلماء الثقات ، والفقهاء الأعلام ، والمفتونون الورعون على صدق ذلك ، والتزامه ، وتواتر عنهم كراهية الفتيا ، والتهيب منها ، والثبت في الأحكام ، والتصرير بعدم العلم في كثير من المسائل ، والاحالة على من هو أعلم منهم ، وأنهم يضعون حديث رسول الله عليه أمانة أعينهم ، ونصب وجوههم ، قال : «أَجْرُوكُمْ عَلَى الْفِتْيَا، أَجْرًا عَلَى النَّارِ»((١٩)) ، ولذلك تحرم الفتوى على الجاهل باتفاق العلماء ، ولهم أقوال ماثورة في الفتوى((٢٠)) .

□ آداب الفتوى :

إن للفتوى أحكاماً كثيرة ، وأداباً جمة ، تضمن سلامتها وصحتها ، وتعمل على تحقيق الهدف منها في معرفة حكم الله تعالى بشكل صحيح وسليم ، وهذا ما خصه العلماء بكتاب أبواب وفصول ، تشير إلى بعضها .

يحرم التساهل في الفتوى ، وأن تكون حسب الأغراض الفاسدة ، والمطابع الشخصية ، وأن تدور الفتوى على تتبع العigel المحرمة ، أو المكرهه ، والتمسك بالشبه طلباً للترخيص لن يربده ، أو التغليظ لن يكرهه ، ولذلك يجب على المفتى أن يتثبت في الواقعه والسؤال ، ولا يسرع بالفتوى قبل النظر الكافي ، والتفكير الشافي الا اذا كان المسؤول عنه مما تقدمت معرفته ، ونقل السيوطي عن سفيان بن عيينة قال : «ان العمل لا يماري ولا يداري ، ينشر حكمة الله ، فان قبلت حمد الله ، وإن ردت حمد الله » (٢١) .

وبينفي أن يكون المفتى في حالة اعتدال ، ولا يفتني في حال تغير خلقه ، وشنف قلبه ، واضطراب نفسه ، والختار أن يتبرع بالعمل ، ولا يأخذ عليه أجرًا ، الا اذا تعين رسمياً لذلك فيجب على الدولة أن تفرض له رزقاً يتناسب مع الاحتراف وال الحاجة والطلب .

ويلزم المفتى أن يبين الجواب بياناً يزيل الاشكال ، وله أن يستفصل السائل ، ويستفسر عن الواقعه ، ويسأل عن اطراف الحادثة ، وصيغة المين أو الطلق أو الاقسار ، أو الابراء ، فان لم يجد المفتى من يساله فصل الأقسام واجتهد في بيانها واستيفائها ، كقوله: اذا كان الأمر كذلك فكذا ، وان كان غيره فكذا ، ولذلك يجب على المفتى أن يكون حليماً رقيتاً يتطرق بالناس على اختلاف مستوياتهم ، ويصبر على تفهم السؤال ، وتفهم الجواب ، ليقع الحكم والهدف موضعه ، وان كان السؤال مكتوباً يجب أن يقرأه كاملاً ، ويتأمله ، ويتحقق الصيود والشروط الواردة فيه ، ثم يكتب الجواب بخط واضح ، وعبارة دقيقة وصحيحة تفهمها العامة ، ولا يزدريها الخاصة .

ويستحب أن يشاور المفتى في المسالة ، وأن يباحث غيره فيها ، ولو كانوا دونه من تلاميذ وطلاب للاقتداء بالسلك في ذلك ، وأن يستعين الله تعالى في ذلك ، ويدعوه للتوفيق والسداد والرشد ، ويستعين بالله تعالى من الشيطان الرجيم ، وأن يحمد الله تعالى ، ويصللي على النبي ﷺ ، ويقول : « رب اشرح لي صدري » ونحو ذلك ، ويختم جوابه بقوله : « وبالله التوفيق » أو « واه أعلم » أو « واه الموفق » ، ثم يكتب اسمه الكامل المعروف به ، ولا يشترط ذكر الدليل والوجه في الفتوى الا اذا كانت موجهة الى فقيه او عالم ، ويكتنفع عن الفتوى في المسائل الافتراضية التي لم تقع ، ويحاول أن يمنع السائل المستفتي عن اثاره الفتوى ، والغوص في المسائل الكلامية والنبوية .

ويجب على كل مسلم أن يسأل عن أحكام دينه ، ويعرف ما يخصه ، وما يمتهي ، وأن يبحث عن المفتى الذي يتمتع بأهلية الافتاء ، ويجوز له استفتاء مَنْ كونه أملاً للفتوى ، وعليه أن يلتزم الأدب في السؤال ، والصراحة الى غير ذلك من آداب الاستفتاء الكثيرة والمكتوبة شرعاً وعقلاً وآدباً وتربيه (٢٢) .

ويصف ابن القيم الموقعين عن الله تعالى بالأحكام بأنهم « فقهاء الاسلام ، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام ، الذين خصوا باستنباط الأحكام ، وعنوا بضبط قواعد العلال والحرام ، فهم في الأرض بمنزلة التنجوم في السماء ، بهم يهتدى العبران في الظلماء ، وخاصة الناس اليهم أعظم من حاجتهم الى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض عليهم من

طاعة الأمهات والأباء ، بنص الكتاب ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطعُوا الله ، وأطعُمُوا الرَّسُول ، وأولي الأمر منكم ، فإن تنازَعْتُم في شيءٍ فرِدْنُوهُ إِلَيْهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كَتَمْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَاحْسَنَ تَأْوِيلًا » النساء/٥٩ ، وأولوا الأمر هم « العلماء » (٢٢) .

وكان العلماء والفقهاء بهذا العمل المقدس طوال التاريخ الإسلامي ، في كل زمان ومكان ، ولا شك أنهم على درجات ، بحسب درجاتهم في العلم والفقه والتحصيل ، والذكاء والورع والتقول ، والمكانة الاجتماعية والظروف المحيطة .

ومتى كان العالم متضللاً بعلم الفقه ، وقدراً على ادراك الأحكام ، وفطناً وذكياً لاستنباط أحكام الشرع للمسائل الجديدة ، استطاع أن يبيّن غيره في الفتوى ، وأن يشتهر في البلاد والأفاق ، ويقصده الناس بالفتوى والاستفهام ، وخاصة في بيان الأحكام التي تخص الأمة ومصيرها ومصالحها العليا وشؤونها العامة في وقت الأزمات والنكبات ، وقد تتعلق الفتوى بالحكام بما يخالف ميلولهم وتوجيهاتهم ، ومن هنا تتبع خطورة منصب الافتاء وأهميته ومسؤوليته ، لينطلق الماالم والفتوى بحكم الله تعالى الذي يحقق العدل ، ويقيم الحق ، ويمنع الظلم ، ويکبح جماح المتدين والمحرفين .

وظهر في التاريخ الإسلامي عدد لا يحصى من العلماء الأعلام ، والفقهاء البارزون ، منهم كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ومن التابعين سعيد بن جبير ، ثم الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، ثم أصحابهم كابي يوسف ومحمد والمرني وأصحابه الحربي وابن القاسم ، ثم ابن سريج وأبو حامد الإسفرايني ، ثم النووي والمر بن عبد السلام ، وابن تيمية ، والسبكي والسيوطى ، وحتى عصرنا الحاضر .

المبحث الثاني : أهلية السيوطى للفتوى

عرفنا سابقاً أن الفتوى فرع من علم الفقه ، وأنها تقوم على بيان الأحكام الشرعية ، وأن دراسة علم الفقه هو نقطة البداية في علم الفتوى ، وأن اتقان علم الفقه ، والعمق في تحصيله ، والتوسيع في معرفته ، هو الركن الرئيس للفتوى ، والأساس القويم لحسن القيام بها ، والتبوع فيها ، ومتي أصبح الإنسان فقيها ، وبلغ شاؤه ، ليكون مفتياً والتف حوله الطلاب ، وقصدوه الناس بالسؤال ، وعظمت سمعته بين العلماء ، ليكون مفتياً باستحقاق وجدارة ، وثبتت كفاءته الفالية .

لذلك نبين صلة السيوطى بالفقه ، ودراسته له ، ومسنفاته فيه ، وبلوغه المرتبة العليا في تحصيله بالاجتهاد ، وتوفر أهلية الفتوى وشروطها فيه .

□ السيوطي يدرس الفقه :

نشان السيوطي في جو علمي يفسوح الفقه منه من كل قطر وجانب ، ابتداء من البيت والأسرة ، إلى رحاب مجالس الفقه في القاهرة ، وهي موئل العلم ، ومجمع الفقهاء ، ثم في بقية المدن العربية كما سيأتي .

اتجه السيوطي رحمه الله تعالى بهمة ونشاط إلى علم الفقه ، معترفًا بفضلة مكانته وأهميته ، فدرس على كبار علماء عصره ، وأخذه عن جماعة من الشيوخ ، ولازم شيخ الإسلام علم الدين البلقيني في الفقه حتى مات (سنة ١٤٦٨هـ / ١٨٩٨م) (٢٤)، فلازم ولده ، وقرأ عليه عدة كتب في الفقه إلى أن أجازه بالتدريس والاستفهام سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وبعد وفاته لزم شيخ الإسلام شرف الدين المناوي ، وأخذ الفرائض ، وهو أحد فروع الفقه ، وأهم مباحثه ، وأكثر مسائله صلة بالفتوى والاستفهام ، عن فرضي زمامه العلامة الشيخ شهاب الدين الشارمسيحي ، وحفظ السيوطي كتاب «المعدة» في الفقه ، ثم حفظ «النهج» للنحووي في الفقه ، و«النهج» في أصول الفقه للبيضاوي (٢٥) .

وكان السيوطي يحب الفقه ، ويطبع أن يبلغ فيه أقصاه ، فيقول عن نفسه : «فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ...» ثم يقول : «... وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والهجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، ولما حججت شربت من ماء زرم لأمور ، منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر (المسلاني) ، وأفتيت من مستهل سنة أحدي وسبعين» (٢٦) .

ويقول السيوطي عن نفسه : «ورزقت التبعر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، على طريقة المرب والبلفاء ، لا على طريقة المجم وأهل الفلسفة» (٢٧) .

ويعرف السيوطي أنه حلّق في معظم هذه العلوم ، وفاق فيها الأقران والأشياخ ، ولكنه لم يبلغ نفس المرتبة في الفقه والفرائض ، فيقول : «واندلي أعتقد أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة ، سوى الفقه ، والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليها ، ولا وقف عليه ، أحد من أشياخي ، فضلاً عن دونهم ، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيفي أوسع نظراً ، وأطول باغاً» ثم يقول : «ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل ... ، ودونها الفرائض» (٢٨) .

□ السيوطي يصنف في الفقه :

وسما يدل على المكانة الفقهية التي يتمتع بها السيوطي ، والساحة الواسعة التي جال فيها ، أنه اشتغل في الفقه مدة طويلة ، وعاش في أجواءه ، ومارس العمل فيه ، وصار

- له باع كبير فيه تدريساً وافتاءً ، واختصار الأشهر كتب الفقه وأهمها ، وأوسماها ، مذهب الشافعي ، ثم صنف فيه استقلالاً وتقيداً ، ولذلك نذكر أهم آثاره الفقهية ، وهي :
- ١ - مختصر « الحاوي الكبير للماوردي » وتوجد منه نسخة مخطوطة ، كاملة في المغرب .
 - ٢ - مختصر « الروضة للنحوبي » ويسمى « القنية » .
 - ٣ - مختصر « التنبية للشيرازي » ويسمى « الواقي » .
 - ٤ - مختصر « الأحكام السلطانية للماوردي » وهو في نظام الحكم ، وأجهزة الدولة ، والسياسة الشرعية .
 - ٥ - الحاوي للفتاوى ، وسوف نقدم له دراسة وتحليل إن شاء الله تعالى .
 - ٦ - الأشباء والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية^(٢٩) ، وقدمت له دراسة مستقلة في بحث خاص .

وإذا أردنا التأكد من معرفة البهد المفهmi الذي يذله السيوطي، والممارسة العملية الطويلة له في الفقه ، فاننا نشير باختصار الى هذه الكتب المصنفة ، فالحاوي الكبير للماوردي من اهم كتب الفقه ، في المذهب الشافعي وأوسماها مع المقارنة ببقية المذاهب ، ولايزال مخطوطاً حتى الان ، لعجز المهيدين بالتراث عن تحقيقه وطباعته ونشره ، ويقع في ٤٤ مجلداً كبيراً مخطوطاً ، وحقق بعض طلاب الدراسات العليا باباً من أبوابه للحصول على الدرجات العلمية في الماجستير والدكتوراه ، و« روضة الطالبين » للنحوبي من اهم الكتب المعتمدة في المذهب الشافعي وخاصة فيه دون مقارنة ، وطبع في ١٢ مجلداً كبيراً . و« التنبية للشيرازي » ، أشهر مختصر في الفقه الشافعي ، وكان الكتاب الأساسي الذي يعود عليه الطلاب والمعلماء حتى القرن السابع الهجري عند ظهور المنهج للنحوبي ، وكان الفقهاء والطلاب والمعلماء يتنافسون في حفظ « التنبية » ، وله شروح وتعليقات كثيرة . و« الأحكام السلطانية » ، للماوردي أشهر كتاب في الأنظمة الإسلامية ، وخاصة في نظام الحكم ، والخلافة ، والقضاء ، والحسنة ، والمظالم ، والسيامة الشرعية ، ومعظم المؤلفين عالة عليه في موضوعه . و« الأشباء والنظائر » للسيوطى أشهر كتبه الفقهية على الاطلاق ، وقد بلغ فيه القمة ، وتوج الكتب النظيرة له عند علماء الشافعية قبل السيوطى ، ثم صار مثلاً للاحتماء به والاقتداء فيه ، والسير على منواله ، كما صرّح ابن نجم العنفي ، وسوف تخص كتاب الفتوى الفقهية بدراسة خاصة .

□ السيوطي يبلغ درجة الاجتئاد :

وما يميز مكانة السيوطي الفقهية ، وامتلاكه ناصية الفقه انه لم يقف في طلبه بدراسته والتدریس فيه ، والافتاء ، والتصنيف عند حد معين ، بل قصد فيه النزوة ، وسمى إلى القيمة ، وحرص على الوصول إلى ينابيع الفقه ومبينه ، ولبلوغ درجة الاجتئاد التي وصلها الأئمة الفقهاء ، ولا يدركها الا القليل النادر ، وخاصة في القرون الأخيرة .

والاجتهد أعظم درجات الفقه في الدين ، والتفقه في الشرع ، والاحاطة بفهم النصوص ، والقدرة على الاستنباط منها ، وبذل الجهد في معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدتها التفصيلية (٢٠) ، وله شروط معينة ، وصفات محددة ، ويعتمد على اتقان عدة علوم وفنون متنوعة .

والسيوطى رحمة الله تعالى توفرت فيه شروط الاجتهد ، وكملت فيه صفاته ، وحصل العلوم المطلوبة فيه ، وخاصة العلوم الشرعية ، والعلوم العربية ، وعلوم الآلة ، حتى ادرك مناط البحث والاستنباط ، وعرف بنفسه ذلك ، فلم يتوار عن الانظار ، ولم يبخس نفسه حقها ، ولم يتواضع تقية ، فاعلن الاجتهد ، وادعى وصوله اليه ، وانه بلغ رتبة الاجتهد المطلق ، وكسر القيد الوهمي الذي شاع في غلق باب الاجتهد ، وطلب السيوطى فتحه لمن توفرت فيه شروطه ، واثبت أن الاجتهد ياق في الشرع ، وأنه موجود في كل زمان ومكان ، وأقام العجبة الشرعية على ذلك ، وقدم الأدلة التاريخية ، والأمثلة العملية من كبار العلماء والفقهاء في مختلف المذاهب على توالي الأزمان ، وصنف كتاباً في الاجتهد وشروطه ، والدعوة اليه ، ووجوب إحيائه ومارسته ، وشن الهجوم على دعوى اغلاق باب الاجتهد ، وننى على الداعين لتركه أو التخلّي عنه ، أو التواضع في اخفائه ، وأشار إلى ذلك في عنوان كتابه :

« الرد على من أغلّبَ الْأَرْضَ ، وجَهَلَ أَنَّ الْاجْتِهَادَ فِي كُلِّ عَصْرٍ فَرْضٌ » (٢١) .

ويصف السيوطى نفسه هذا الكتاب بقوله : « وهو كتاب جليل حافل ، فيه نفاس متعلقة بالاجتهد » (٢٢) ، وعرض في الباب الأول نصوص العلماء على أن الاجتهد في كل عصر فرض من فرض الكتابات ، وأنه لا يجوز شرعاً إخلام المصر منه (٢٣) ، وصرح في سيرته الشخصية ، فقال : « وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهد بعمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى ، لا فخراً ، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها باللغز ، وقد أزف الرحيل ، ويسدا الشيب ، وذنب أطيب المرء ، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبيتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيه لقدرت على ذلك من فضل الله » (٢٤) .

ويقول السيوطى أيضاً : « فقد يلقتـــ والحمد لله والمنةـــ رتبة الاجتهد المطلق في الأحكام الشرعية ، وفي الحديث النبوى ، وفي العربية » (٢٥) ، ويقول في دعوى الاجتهد : « فاني لم أقله في الابتداء صريحاً بلسانى ، وإنما ذكرت ذلك في بعض الكتب ۰۰۰ فنقوله من قصد التشنيع ، لا الشهرة ، فلما رجحت فيه صرت أقرر لن راجعني فيه أمره ۰۰۰ مع أنني عدت تصدي هذا العدو لاتهاره فضلاً من الله اجراء على يديه فلا أستطيع القيام بشكر عشر مشاراه » (٢٦) .

ولكن العلماء لم يسلموه هذه الدعوى ، لأنه لم يبتكر أصولاً للاجتهد ، وقواعد للاستنباط مستقلة عن غيره ، ليعتمد عليها في اجتهد ، دون أن يقلد غيره ، كما هو شأن المجتهد المطلق كمام لذهب ، وأنه اعترف أنه لم يصل في الفقه والقانون درجة بقية

العلوم التي تبعها ، وأنه دون ذلك في أصول الفقه^(٣٧) ، وهذا يحتاج لبحث مستقل عن « اجتهاد السيوطي » .

□ توفر شروط الفتوى عند السيوطي :

ان المفتى يعبر عن حكم الشرع ، ويبين حكم الله تعالى الذي عرفه ووصله اليه اما باجتهاده ، كالأئمة ، والمجتهد المطلق ، واما بما وصل اليه امام مذهبة الذي يتفق معه فيه ، او يقلده به .

والكلام السابق يدل على أن السيوطي بلغ رتبة الاجتهاد عند تقدم السن ، ولذلك لم يمارسه بتواضع كبقية الأئمة ، ونافذ في غيره في هذه المدعوى ، ولكن ظهر اثر اجتهاده في عدة جوانب وكتب ، وهي :

- ١ - كتاب الاجتهاد « الرد على من أخلد الى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » .
- ٢ - تعريف القواعد الفقهية في كتابه : « الأشباه والنظائر » .
- ٣ - تفرد السيوطي بخمسة وثلاثين رأياً ، صنف فيها كتاباً سماه « التحدث بنعم الله » ، وختمه بهذه المسائل والأراء التي أثبت فيها اختياراته .

ويظهر من ذلك أن السيوطي مجتهد مطلق ، وهو الذي لم يقلد امامه ، ولكن سلك طريقه في الاجتهاد ، بخلاف المجتهد المستقل « الذي استقل بقواعد لنفسه ، يبني عليها الفقه خارجاً عن قواعد المذاهب المقررة »^(٣٨) .

فالسيوطى بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ، ولكنه تابع لللام الشافعى ، وهذا ما يصرح به فيقول : « والذي ادعيناه هو الاجتهاد المطلق ، لا الاستقلال ، بل نحن تابعون لللام الشافعى رضى الله عنه ، وسالكون طريقه في الاجتهاد ، امثلاً لأمره ، وممنودون من أصحابه »^(٣٩) .

ويضاف الى ذلك خبرة السيوطي الواسعة في الفقه عامة ، وفي فقه المذهب الشافعى خاصة ، واختصاره أمهات كتب الشافعية السابقة ، كل ذلك يؤهله لتصبح الافتاء والفتوى ، وتكتشف قدرته الكاملة على بيان الأحكام الشرعية ، مع التذكير والتركيز على كتابه العظيم « الأشباه والنظائر » الذي يتضمن القواعد الفقهية في فقه الشافعية ، والتي تعتبر أحد وسائل الفتوى ، والاشتثار بها .

يقول ابن النجار الفتاحي عن القواعد الفقهية ، وأنها أحد أبواب الاستدلال للأحكام الشرعية ، « قواعد الفقه تشبه الأدلة ، وليس بالذلة ، ولكن ثبت مضمونها بالدليل ، وصارت يقضى بها في جزئياتها ، كانها دليل على ذلك الجزئي ، فلما كانت كذلك ناسب ذكرها في باب الاستدلال »^(٤٠) .

وهذا يقودنا الى بيان ممارسة السيوطي للفتوى والافتاء ، ودراسة فتاويه التي دونها بنفسه .

المبحث الثالث : في فتاوى السيوطني

□ ممارسة السيوطني للفتاوى :

بلغ السيوطني الأوج في علم الفقه ، وذاع صيته بين العلماء ، وانتشر اسمه في الأفاق ، واتسعت شهرته في البلاد ، والذئف حوله الطلاب ليأخذوا عنه ، فدرسهم الفقه ، وحلق في أجواهه وكتبه ، ثم مارس الافتاء ، وقصده الناس بالفتوى من القاهرة ومدن مصر وغيرها ، لبيان الأحكام الشرعية في المسائل والأسئلة المروضة عليه .

وذكر السيوطني ذلك عن نفسه ، فقال : « وأقيمت من مستهل سنة احدى وسبعين »^(٤١) أي وثمانمائة للهجرة ، أي كان عمره احدى وعشرين سنة ، وقال أيضاً ، انه لازم ولد على الدين البليقيني ، وقرأ عليه عدة كتب في الفقه ، واجازه التدريس والافتاء من سنة ست وسبعين وثمانمائة^(٤٢) ، أي جاوز عمرسته وعشرين سنة .

واستمر السيوطني على ممارسة الفتوى والافتاء طوال حياته ، وصدرت عنه فتاوى كثيرة جداً في مختلف العلوم والفنون التي اتقنها واشتهر بها وجمع السيوطني نفسه أهم هذه الفتواتي في كتابه المشهور « المحاوي للفتاوى »^(٤٣) ، في الفقه وعلوم التفسير والحديث وأصول الفقه وأصول الدين ، والنحو والاعراب ، وسائر الفنون ، وقال في مقدمته : « فقد استغرت الله تعالى في جمع نبذ من مهمات الفتوى ، التي أقيمت بها على كثرتها جداً ، مقتضراً على المهم والمعيوبين ، وما في تدوينه نفع واجر ، وتركت غالباً ، الواضحات ، وما لا يخفى على ذوي الأذهان القادحات ، وبدأ بالفقهيات ، مرتبة على الأبواب ، ثم بالتفسير ، ثم بالحديث ، ثم بالأصول ، ثم بالنحو والاعراب ، ثم بسائر الفنون ، افاده للطلاب ، وسميت هذا المجموع « المحاوي للفتاوى »^(٤٤) . »

ويظهر من هذه المقدمة أن المجموع يشتمل على الفتواتي في مختلف العلوم ، ولكن اذا أطلقت كلمة الفتوى ، أو الافتاء ، أو الفتاوی ، فإنها تنصرف الى الفتواتي الفقهية لبيان الأحكام الشرعية ، وهي محل البحث ، ولذلك تقتصر على دراسة الفتواتي الفقهيات من هذا الكتاب دون غيرها ، وتقع في مائتين وتسعين صفحة من العجم الكبير (٥ - ٢٩٤) ، من المجلد الأول .

□ أهمية كتب الفتواتي :

ونحب هنا أن نشير الى أن كتب الفتواتي تعتبر من الكتب الفقهية (وتصنف مع كتب الفقه) ، ولكنها تمتاز عن بقية كتب الفقه بميزة خاصة تتفرق بها ، وقد يشارکها بها كتب أدب القضاء ، أو أدب القاضي ، أو كتب الفقه القضائية ، وتبرز هذه الميزة أهمية كتب الفتواتي والقضاء ، وتتجلى في أمرين أساسين :

١ - أنها أحكام واقية ، تتصل بالواقع ومجريات الحياة ، وما يعترض طريق الناس عملياً ، وخاصة عند تطبيق أحكام الشرع والفقه في الحياة والواقع ، وما ينتجه عنها

من مشكلات ، واختلافات في وجهات النظر ، فتاتي الفتوى لتنزيل الاشكال ، وتكشف الطريق السوي لتطبيق الحكم عملياً ، ولا تقتصر على مجرد ذكر الأحكام وأدلتها ، وهذا ما نلاحظ بكثرة في فتاوى السيوطي الفقهية .

٢ - ان الفتوى الفقهية ، وأحكام القضاء تعالج المسائل المستجدة التي لم يسبق عرضها في كتب الفقه ، ولم تقع في الماضي ، وكثيراً ما تكون غير مطروقة لدى الأئمة الأوائل ، والمشتغلين في الفقه ، والتأليف ، والتصنيف ، والتفرع في كتب المذاهب .

□ الفتوى الفقهية للسيوطى :

ذكر السيوطي اهم فتاویه في كتابه « العاوي للفتاوی » وقسمها الى الفقهيات ، والفتاوی المتعلقة بالتفسير ، والفتاوی المتعلقة بالحديث ، والفتاوی المتعلقة بأصول الفقه ، والفتاوی المتعلقة بأصول الدين والعقيدة والتوحيد ، والفتاوی النحوية ، وفي الاعراب ، والتصوف .

وان هذه الفتوى وان كانت مقسمة الى هذه المعلوم والفنون ، ولكن يوجد كثير من الفتاوی الفقهية في المعلوم الآخر ، ولكننا نقصر الدراسة والتحليل للفتاوی الفقهية دون غيرها مع الاشارة الى بقية الفتوى في المعلوم الآخر مما له صلة بالفقه والأحكام الشرعية .

□ منهج السيوطي في الفتوى الفقهية :

ان القارئ لهذه الفتاوی الفقهية ، والمطلع عليها ، يستطيع أن يستخرج منها منهج السيوطي فيها ، ويمكننا تلخيص ذلك بما يلى :

١ - الاعتماد على المذهب الشافعی :

اعتمد السيوطي في بيان الأجروبة ، واصدار الفتوى ، على المذهب الشافعی ، الذي درسه وحفظه ، واتقنه ، ودرسه ، وصنف فيه ، وصرح بالالتزام به في المقال ، الا في حالات نادرة وصلها باجتهاده الخاص ، كما أن السيوطي في الحالتين لم يخرج على أصول المذهب الشافعی ، فقال : « لما بلغت درجة الاجتهاد المطلق لم أخرج في الافتاء عن مذهب الشافعی رضي الله عنه ، كما كان القفال ، وقد بلغ رتبة الاجتهاد ، يفتى بمذهب الشافعی لا باختياره » (٤٥) . وقال أيضاً : « والذي ادعيناه هو الاجتهاد المطلق لا الاستقلال ، بل نحن تابعون للأمام الشافعی رضي الله عنه ، وسالكون طريقه في الاجتهاد ، امثلاً لأمره ، ومددودون من أصحابه » (٤٦) .

ويبين العلامة السوسي أقسام المفتين ، ووصف العالة الثانية التي تتطبق على السيوطي ، فقال : « والمفتون في الشرع قسمان ، مستقل ، وهو المجتهد المستقل في

أصوله واجتهاده كائنة المذاهب ، والمفتى غير المستقل ، وهو المتسبب إلى آئمه المذاهب المتبوعة ، وهذا القسم الثاني على أربعه أحوال ، أحدها المفتى غير المقلد لامامه ، لا في المذهب ، ولا في دليله ، لاتصافه بصفة المستقل ، وإن لم يستقل عملياً ، وهو يتبع مذهب أمامة لا تقليداً ، بل لما وجد أن اجتهاده وقياسه أحد الطرق ، والحاله الثانية أن يكون المجتهد مقيداً في مذهب أمامة مستقلاً بتقرير أصوله بالدليل ، غير أنه لا يتجاوز في أدله أصول أمامة وقواعدة ، وشرطه كان يكون عالماً بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام تفصيلاً ، بصيراً بمسالك الأفتية والمعانوي ، تام الارتكاض في التخريج والاستنباط ، قياماً بالحاق ما ليس منصوصاً عليه لامامه بأصوله ، ولا يعرى عن شوب تقليد له ... ثم يتخذ نصوص أمامة أمولاً يستنبط منها كفالة المستقل بنصوص الشرع ، وربما اكتفى في الحكم بدليل أمامة ، ولا يبحث عن معارض ٠٠٠ وهذه صفحة أصحابنا أصحاب الوجوه ، وعليها كان آئمه أصحابنا أو أكثرهم ، والعامل يقتوى هذا مقلد لامامه لا له)٤٧(.

هذه الصورة والأوصاف تتطابق على السيوطي ، وعلى فتاویه الفقهية ، فإنه متلزم بمذهب الشافعی ، ولا مانع أن نقول كماقال النووي انه « مقلد لامامه » ، فيأخذ الأحكام من كتب الشافعیة ونصوصهم - كمساند - ويخرج المسائل الجديدة على أصولهم وقواعدهم ، وكانت تردد عليه الأسئلة مع طلب الاجتهاد فيها ، فمن ذلك قوله : « ويرد سؤال صورته ما قول مولانا شيخ الإسلام ، حافظ مصر ، مجتهد الوقت ، عالم أهل الأرض المعموث في المائة التاسعة . ولست أنا لكم عن مشهور مذهب الشافعی ... يجل سالكم بما يقتضيه الدليل والنظر من حيث الاجتهاد ، والمسؤول أن يكون الجواب على طريقة الاجتهاد »)٤٨(.

٢ - نقل النصوص من كتب الشافعیة :

وهذا فرع عن منهجه السابق ، فالسيوطی يعتمد على المذهب الشافعی ، وعلى أقوال الإمام الشافعی وعلى كتب الأصحاب في المذهب الشافعی ، ولكن نقله للنصوص ليس دائماً ، فإن كانت الفتوى قصيرة ، وعبارة عن جواب لحكم فقهی جزئي أجاب عن السؤال ، وذكر الحكم فقط دون ايراد نص ، أما ان كانت المسألة كبيرة ، والجواب طويلاً ، ويشكل بحثاً أو موضوعاً فاته يلغا إلى ايراد النصوص .

فمن أمثلة ذلك بحثه عن « الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر » ص ١٣٣ ، فيه انه لا يحل التعرض في البيوت التديمة الباقية على أصولها ، وأما البروز العادث ، وما يراد احداثه فلا يجعل ذلك باتفاق المذاهب ، وأن بعض الناس يظن في المذهب الشافعی جواز البروز مطلقاً ، وليس كذلك بل شرطه أن لا يكون في شارع ، ولا في حريم نهر ، ولا نحو ذلك مما هو مبين في كتب الفقه ، ثم يقول ذكر نقول مذهبنا : قال الرافعی في « الشرح » ، والنحوی في « الروضة » ص ١٣٤ ، وقال الشيخ تقى الدين السبکی في « شرح

المنهج » ، وقال ابن الرفعة في « الكفاية » ص ١٣٦ ، وفي « فتاوى ابن الصلاح » ص ١٣٧ ، وقال الترکشی في « شرح المنهاج » ص ١٣٥

ويقول في موضع « كشف الضبابة في مسألة الاستنابة في الوظائف » وقد أفتى بجوازها بما نقله السعیری في « شرح المنهاج » عن السبکی وغیره ، ثم قال : « ونبأ بنقل کلام السبکی وغيره في ذلك ، قال السبکی في « شرح المنهاج » ص ١٥٨ ٠٠٠ ونقله الشیخ کمال الدین السعیری في « شرح المنهاج وأثره » من ١٥٨ ٠

ويقول في مسألة الوقت : « ولنسق عبارة السبکی » ص ١٦٩ ٠٠٠ وسئل الشیخ ولی الدین المرافق فل JACKAB ٠٠٠ ص ١٧٣ ٠

ولا بد من التنبيه هنا أن السیوطی ینقل نصوص الشافعیة من الکتب المعتمدة في المذهب ، وعن أشهر علماء المذهب وأصحابه الذين تقبل آراؤهم وتعدّ وجوهاً في المذهب ٠

٣ - بيان أسماء الکتب التي ینقل بها :

ويظهر منهج السیوطی في الفتاوی الفقهیة بالأمانة الملییة ، والعرض على نقل النصوص أولاً ، وتحديد اسم الکتب والمراجع والمصادر التي یعتمد عليها ، سواءً كانت کتاباً فقهیة أم غير فقهیة ، وهذه أمثلة لذلک اضافة لما ورد من أسماء الکتب في النصوص السابقة :

- قال العما الكاتب في كتاب « فتح بيت المقدس والبلاد الشامية » ، واستخلاصها من يد الفرنج على يد السلطان صلاح الدين أيوب » ص ١٧١ ٠

- قال القاضی عیاض في خطبة كتابه « الشفا » ص ٢٧١ ٠

- قال عبد المؤمن الأصفهانی صاحب « أطباق الذهب » في الوعظ ص ٢٧١ ٠

- ذکر ما استعمله الشیخ تاج الدين السبکی في خطبة كتاب « الأشیاء والنظائر » من تضمین الآیات والأحادیث ص ٢٦٨ ٠

- ذکر ما استعمله الشیخ بهاء الدين السبکی في خطبة كتاب « عروض الأفراح في شرح تلخیص المفتاح » ص ٢٦٩ ٠

- قال الغزالی في أول كتابه « الانتصار لما في الأجناس من الأسرار » (٤٩) ص ٢٦٦ ٠

- رأیت في « تاريخ من دخل مصر » للحافظ ذکری الدين عبد المطیم المندری ص ٢٦٦ ٠

- قال ابن السبکی في كتابه « الترشیح » ص ٢٣٨ ٠

- قال ابن الأثیر في « النهاية » ص ٢٣٦ ٠

- وقد صرخ التنوی في « الروضة » ص ٢٢٧ ٠

- وعبارة ابن أبي عصرون في « المرشد » ص ٢٢٨
- وعبارة صاحب « البيان » ص ٢٢٨
- وعبارة الشاش في « المعدة » ص ٢٢٩، قال ابن الأثير في « المثل السائر » ص ٢٦٧
- وعبارة الشاش في « المعدة » ص ٢٦٧
- قال الجوهرى في « الصلاح » ٠٠٠ ص ٤١٠ ، قال المسكري في « الأولئ » ٠٠٠ ص ٥١٠ ، قال النووي في « شرح المذهب » ٠٠٠ ص ١٠٣

ونستدل من ذلك أن السيوطي رحمة الله تعالى المعتمد على مصادر كثيرة ، ومراجع عديدة ، يكون قائمة كبيرة ، ويجب استئرجاجها في « فهرس خاص للمصادر والمراجع والكتب التي وردت في الفتاوى »

٤ - الاشارة الى كتب السيوطي :

كان السيوطي أيضاً يشير الى كتبه ورسائله الأخرى ، ويحيل القارئ اليها اذا أراد التوسيع ، أو كانت خارجة عن محل السؤال ، فمن ذلك قوله : « سالت أن أين لك أمر هيئة السموات والأرض بدلائل القرآن والحديث ، والجواب أن لي في ذلك تاليفاً كاماً يسمى « الهيئة السننية في الهيئة السننية » وسارسل لكم منه نسخة لي » من ٢٦٣ ، وقال: سالت عن « الرسالة التي لي في حروف التهجي » وسارسل لكم منها نسخة » من ٢٦٣ .

٥ - عرض آراء المذاهب :

كان السيوطي رحمة الله تعالى يذكر في المسائل الكبيرة ، والفتاوی المهمة ، آراء المذاهب الأخرى ، كالحنفية والمالكية والحنابلة ، وفي بعض الأحيان ينقل نصوصاً حرفية من كتبهم .

فقال في « مسألة الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر » : ولا يحل ذلك باتفاق المذاهب الأربع ٠٠٠ وهذا هو منقول المذهب نص عليه امامنا الامام الشافعى رضي الله عنه ، ومسائر أصحابه ، ولا نعلم في ذلك خلافاً في المذهب ولا في بقية المذاهب الأربع واتباعهم ، متلقون على هذا الحكم ٠٠٠ ، وذكر السيوطي نقول علماء المذهب الشافعى ص ١٣٤ ، ثم ذكر نقول المالكية ، فقال : « قال ابن الحاج : في « المدخل » ص ١٣٧ ، ثم ذكر نقول الحنفية ، فقال : « قال : في « المهدية » ص ١٣٨ .. و قال القدوسي ٠٠٠ من ٢٧٩ وقال صاحب « النافع » ، وهو الامام أبو المفاخر السويسي الوزوني ٠٠٠ .. وفي « فتاوى قاضي خان » ٠٠٠ ص ١٤٠ ، وفي « فتاوى البزازي » ٠٠٠ .. و قال صاحب « الكافي » ٠٠٠ ص ١٤١ ، وفي « خلاصة الفتاوى » ٠٠٠ ص ١٤٢ ، ثم ذكر نقول العتابلة ، قال في « المتنى » وهو أجل كتب العتابلة ٠٠٠ من ١٤٣ .

وقال السيوطي في مسألة الاستنابة في الوظائف : « فأفتى جماعة بجواز ذلك ، وامتنبب منهم ... كلهم من الشافعية ، ومن الحنفية ، والمالكية ، والحنابلة آخرون » ص ١٥٨ .

وقال السيوطي في مسألة الارث : « وبأن الصواب من أفتى بعدم ارثه ... وأنه لا خلاف فيه في مذهب الشافعى ، وممالك ، وأبى حنيفة ، وهو أصح الروايتين في مذهب أحمد بن حنبل » ص ١٧٧ ، وذكر السيوطي الدليل ونصوص الأصحاب في المذهب ، ثم نقل نصوص بقية المذاهب ، فقال : « قال صاحب « المحيط » من الحنفية ما نصه ... ص ١٧٩ ، قال صاحب « المفتني » من الحنابلة ... وحکي الحنابلة ... ص ١٨٠ ، وبعد ذلك قال : « عود على يده في نقول أخرى مصرحة من كتب سائر المذاهب : قال العري من أصحابنا في كتاب « التلخيص في الفرائض » ... وفي الأصل لمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ما نصه ... ، وفي « المدونة » ... وفي كتاب « الرابض في خلاصة الفرائض » تاليف أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن يحيى بن عبد السلام المالكي ما نصه ... ص ١٨٤ ، وفي « المفتني » لابن قدامة الحنبلی ما نصه ... ص ١٨٥ .

٦ - الاستطراد :

كان السيوطي رحمة الله تعالى يسطر أثناء ذكر الفتوى والأحكام الشرعية لبيان فوائد عارضة ، أو ترجمة بعض الأعلام .

ففي صفحة ١٠٠ يختتم فتاوى كتاب البیم بعنوان « فوائد نختم بها الكتاب » ، ويدرك أثنتي عشرة فائدة في أحكام البيع .

وفي صفحة ١٤٣ يضع عنواناً خاصاً « فائدة لطيفة » أثناء بيانه حكم البناء على حافة النهر ، ويقول : « قال ابن الحاج في « المدخل » ليس للانسان في المسجد الا موضع قيامه وسجوده وجلوسه ، وما زاد على ذلك فللسائر المسلمين ... » .

وفي صفحة ١٩٠ يتحدث عن حمل المولد ، ويستطرد الى ترجمة أحد الأشخاص ، فيقول : « وقال ابن خلكان في ترجمة العافظ أبي الخطاب بن دحية » .

وفي صفحة ٢٠٥ بحث حكم الطلاق ٠٠٠ ثم قال عدة مرات : تنبیه من ٢٠٧ ، تنبیه من ٢٠٨ ، تنبیه أربع مرات من ٢٠٩ ، وهي تنبیهات عظيمة تتعلق بالطلاق ، وفي ص ٢١٦ ذكر فروعاً مهمة تتعلق بالطلاق .

وفي صفحة ١٤٥ ذكر خاتمة للفتوى بمنع البروز على حافة النهر ، وأنه أرسل ذلك الى قاضي القضاة الشافعى ، فاذعن للحق ومنع ثوابه من الحكم بذلك ، ثم أرشده أن يصدر حكماً عاماً بالمنع من غير تعين خصم ودعوى .

٧ - الاحتجاج بالأحاديث النبوية :

كان السيوطي رحمة الله تعالى يعتمد كثيراً على الاحتجاج بالسنة النبوية ، ويرجع الى كتب الحديث الشريف ، وينقل نصوصها ورواياتها ، وهذا أمر يدهي بالنسبة له ، وهو

المحلق في علم الحديث ، والجامع لاشتقاقه ، والمصنف فيه عدة كتب ، وقد بلغ النهاية القصوى فيه ، وكان من درجة الحفاظ ، ونكتفي ببعض الأمثلة :

في صفحة ١٤٤ ذكر الأحاديث الواردة في إثم من ظلم شيئاً من الأرض وطريق المسلمين ، ونقل الأحاديث عن صحيح البخاري » ، وعن « الأدب المفرد » للبخاري ، و « المستدرك » للحاكم ، و « ذم الملاهي » لأبي الدنيا ، و « شعب اليمان » للبيهقي ، و « السنن الكبرى » للبيهقي ، و « مسند البزار » وعن أحمد وابن حبان والطبراني رحهم الله تعالى .

وفي مسألة عصبة المعتق في الارث من ١٧٧ ذكر الحاكم ، ثم قال : « وما أنا أسوة ما أورده البيهقي ثم ارتفقى إلى جميع ما ورد في ذلك عن الصحابة فمن بعدهم ، مسندًا مخرجاً ليستفاد » ص ١٨١ .

وفي مسألة براءة الذمة من ١٠٩ ذكر الحاكم ، ثم قال : « وما أنا أسوة ما أورده البيهقي ثم ارتفقى إلى جميع ما ورد في ذلك عن الصحابة فمن بعدهم ، مسندًا مخرجاً ليستفاد » ص ١٨١ .

وفي مسألة براءة الذمة من ١٠٩ يستطرد إلى حديث كفارة الاغتياب بالاستفار فيبين أنه لا يتعين به ، وقواعد الفقه تاباه ، ثم يذكر الآثار في ذلك عن أبي الدنيا في كتاب « الصمت » ، والطبراني في « الأوسط » والأصحابي في « الترغيب » ، ٠٠٠ ، ويذكر عدة أحاديث ، وبين وجه الاحتياج بها ، وفي مسألة قراءة القرآن بالألحان يبين الحكم ثم يستدل على كل شطر فيه بالأحاديث الشريفة ص ٢٥١ .

وفي صفحة ١١ يذكر الحديث المسلسل بالتشبيك (أي تشبيك الأصابع) .

٨ - تقسيم الفتاوى على أبواب الفقه :

رب السيوطي فتاويه الفقهية على أبواب الفقه ، وصرح ذلك في المقدمة ، ويضع عناوين كتب الفقه الرئيسية ، ويدرك بمدها عددًا من الأبواب ، وجاءت كما يلي معي الاختصار :

كتاب الطهارة ص ٥ وفيه أبواب الآنية،أسباب الحدث ، الموضوع ، مسح الغاف ، الفسل ، النجاسة ، التيم ، العيضن ص ٢٥ .

كتاب المصلحة ص ٢٧ ، وتحته أبواب وسائل ، كتاب العنايز ص ٨٣ ، كتاب الزكاة ص ٨٧ ، كتاب الصوم ص ٩١ ، كتاب العج من ٩١ .

كتاب البيع ص ٩١ وتحته سائر أبواب المعاملات .

باب أحياء الموات من ١٢٧ ، باب الوقف ص ١٩٤ ، الفرائض من ١٧٦ ، الوصايا من ١٨٥ .

كتاب النكاح ص ١٨٧ ، كتاب المداق ص ١٨٨ ، باب الخلع ص ١٩٧ ، باب الطلاق
ص ١٩٨ ، باب اللعان ص ٢٢٢ .

كتاب النفقات ص ٢٢٣ ، باب الجهاد ٤٣٢ ، كتاب الصيد والذبائح ص ٢٤٦ ،
باب الأطعمة ص ٢٤٧ ، كتاب الأعيان ص ٢٤٧ ، كتاب الأضاحية ص ٢٤٨ ، باب الدعوى
والبيئات ص ٢٤٩ ، باب الشهادات ص ٢٥١ ، قناعة الترثى بالألحان ص ٢٥١ ، باب جامع
ص ٢٥٣ عن الاشتغال بالمنطق وضرب المثل من القرآن .

وختم السيوطي الفتاوی الفقهیة بأسئلة واردة من التکرور ، وأجاب عنها ووضع لها
عنواناً مستقلاً من ٢٨٤ - ٢٩٤ ، وهذا ينطلق إلى المسائل الخاصة .

٩ - المسائل الخاصة والتاليف المفردة :

أفرد السيوطي بعض المسائل بالبحث والدراسة ، والتحيسن والاستدلال ، ووشحها
بالنصوص الفقهية ، والأحاديث النبوية ، ووضع لها عنواناً مستقلاً ، لكنه وضعها ضمن
أبوابها الفقهية .

وهذه المسائل الخاصة مهمة ، لذلك أفرد لها بالتأليف ، ولذلك يحسن أن نعدد لها
وقد جاوزت الأربعين مسألة ، وهي :

- ١ - تعلفة الاتجاح بمسألة السنجب ص ١١ .
- ٢ - الحظر الواقر من المفتن في استيراك الكافر اذا أسلم من ٢٧ .
- ٣ - ذكر التشنيع في مسألة التسميع ص ٣٥ .
- ٤ - بسط الكف في اتمام الصدف من ٥١ .
- ٥ - اللعنة في تعزير الركرة لادرائك الجمعة من ٦٢ .
- ٦ - ضرب الشمعة في عذر الجمعة من ٦٦ .
- ٧ - الجواب العام عن سؤال الغاثم من ٧٥ .
- ٨ - ثلث الفواد في أحاديث ليس السواد من ٧٦ .
- ٩ - وصول الأمانى بأصول التهانى من ٧٩ .
- ١٠ - الفوائد المتازة في صلاة الجنائز من ٨٣ .
- ١١ - بذل المسجد لسؤال المسجد من ٨٨ .
- ١٢ - قدح الزند في السلام في القنطرة من ٩٤ .
- ١٣ - قطع المجادلة عند تغير المعاملة من ٩٥ .

- ١٤ - بذل الهمة في طلب براءة الذمة ص ١٠٩
- ١٥ - هدم الباني على الباني (لغربة بجوار المسجد) ص ١١٣
- ١٦ - البارع في اقطاع الشارع ص ١٢٧
- ١٧ - الجبر يمنع البروز على شاطئ النهر ص ١٣٣
- ١٨ - الانساف في تعيير الأوقاف ص ١٥٥
- ١٩ - كشف الضبابية في مسألة الاستنابة ص ١٥٨
- ٢٠ - المباحث الزكية في المسالة الدبروكية (الوقت) ص ١٦٣
- ٢١ - القول المشيد في الموقف المؤيد ص ١٦٦
- ٢٢ - البدر الذي انجل في مسألة الولا ص ١٧٧
- ٢٣ - حسن المقصد في عمل المولد ص ١٨٩
- ٢٤ - القول المعنى في الحثث في المعنى ص ٢٠٨
- ٢٥ - فتح المفالق من أنت تالق من ٢١٦
- ٢٦ - المنجل في تطور الولي ص ٢١٧
- ٢٧ - النقول المشرقة في مسألة النفقة ص ٢٢٥
- ٢٨ - تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء ص ٢٢٢
- ٢٩ - حسن التصريف في عدم التعليل ص ٢٤٩
- ٣٠ - القول الشرقي في تحريم الاشتغال بالتعلق ص ٢٥٥
- ٣١ - رفع الماء وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس من ٢٥٦
- ٣٢ - فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المعور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرر ص ٢٩١

هذه هي المسائل والرسائل التي وردت في قسم الفتاوى الفقهية ، وورد عدد آخر في الفتاوى القرآنية والأصولية والحديثية ، نشير إلى بعضها ، اثنان في تتمة الجزء الأول ، والباقي في الجزء الثاني .

- ١ - القذادة في تحقيق محل الاستماعة ص ٢٩٧
- ٢ - القول الفصيح في تبيين الذبح ص ٣١٨
- ٣ - المنعة في السبعة من ٢

- ٤ - حسن التسلیک فی حکم التشبیک ص ٩
- ٥ - شد الأثواب فی سد الأبواب (على المسجد) ص ١٢
- ٦ - رفع الغدر عن قطع السدّر ص ٢٤
- ٧ - المعرف الوردي فی أخبار المهدی ص ٥٧
- ٨ - كشف الريب عن العجيب ص ٩٣، الى غير ذلك من الرسائل

ونلاحظ أهمية هذه الرسائل والمسائل من عناوينها ، وأن السيوطی استعمل فيها السجع في العنوان ، وهي عادة المؤلفین والأدباء والكتاب في تلك النصوص ، مع قدرة السيوطی اللغوية .

١٠ - الإطالة والاختصار في الأقوية :

نلاحظ أن السيوطی رحمة الله تعالى يذكر في هذه الرسائل - بعد السؤال والمعدلة - يذكر الحكم الفقهي ، والجواب الصريح والمختصر للمسألة ، ثم يتسع بذكر الأدلة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، وأشار الصحابة ، وأقوال العلماء ، ونصوص الفقهاء ، مع المناقشة والتعليق ، والترجيح ، وتوجيهه الأقوال والعبارات ، ثم يختتم المسألة غالباً بالذكر بالحكم الرابع الذي بدأ به كلامه .

أما أكثر الفتاوی الأخرى فكانت مختصرة وموجزة ، وجاء بعضها بكلمة كالجواب عن مسألة في باب الفرائض عن ارث البنت مع ابن ابن ، فهو يكون ارثها بالقرض أو بالتعصيب ، فقال السيوطی : « بالقرض » ص ١٧٦ ، وجاء بعض الفتاوی بسطر وسطرين ، وجاء كثير منها في بضعة أسطر ، وقد يسهب في بعضها بمقدار صفحة وأكثر ، وفي هذه الحالة الأخيرة يتلزم منهجه في الرسائل بذكر الحكم موجزاً مختصراً ، ثم يفصل ويوضح ويستدل ، ويذكر النصوص والأقراء والأدلة .

١١ - التاريخ والدعاء :

كان السيوطی يؤرخ بعض الأسئلة ، ويدرك تاريخ الفتوى ، فمن ذلك قوله :

« وكانت هذه الفتوى والتاليف في صفر سنة مت وسبعين وثمانمائة » ص ٥٩ ، ومنها تاريخه للأسئلة الواردة من بلاد التکرور بأفريقيا في شوال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة .»

ص ٢٨٤ ، وجاءت هذه الأسئلة بكتاب اسمه « مطلب الجواب بفضل الخطاب » وفي آخرها اسم السائل محمد بن علي اللمنوني ، مع ابداء محبته لسيوطی وشوقه للقاء ، وطلب الدعاء منه ص ٢٩١ .

وكان السيوطی في المأذى يدعو لنفسه وللسائل في نهاية الفتوى ، فقال في ختم فتاویه عن الأسئلة التکرورية دعاء ، ونصه : « وانی أحبك فی الله ، كما أحببتني ، وترجو

من فضل الله أن يجمعنا في الجنة من غير عذاب سابق ، ولا تننسني من دعائكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، من ٢٩٤ ، وهذا يدل على أنه يمارس الافتاء وهو في أوج مكانته العلمية ، وشيوخ شهرته في الأفاق .

وقال في فتوى منظومة في الفرائض :

« من الرحمن عفوا في المتاب »

وقال في فتوى في الرهن من ١٠٦ :

« قد خط معتمداً أحكاماً مذهبها هذا جواب ابن السيوطي مستطرأ »

وهذا ينقلنا للنقطة الأخيرة في منهجه .

١٢ - النظم والأشعار :

كانت بعض الأسئلة ترد على السيوطي نظماً ، فكان يجيب عليها بالنظم (ص ١٧٦) ، ص ١٠٦ ، ص ٢٥ ، ص ١٠٨ ، ولم تزد على بعض الحالات الأخرى ، وفي مسألة حكم البناء على حافة النهر أجاب عنها مطولاً ، ثم ختم الحكم بقصيدة من ١٤٥ وقال : « وقد ختمت هذا المؤلف بقصيدة نظمت فيها المسألة لأن النظم أيسر للحفظ ، وأيسر على الآلسنة ، وسميتها « النهر من برز على شاطئه النهر » ، وجاءت في ٦٧ بيتاً ، وتكرر مثل ذلك في الفتاوى القرآنية من ٣١٦ ، ٢١٧ ، والفتاوی الحديثة من ٣٧٣ .

كما كان السيوطي ، وهو اللغوي البارع ، والأديب اللامع ، يستشهد في بعض الفتاوی بآيات من الشعر ، وينسبها إلى أصحابها الشعراء (ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) ولكنه أكثر من ذلك في مسألة « رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس » من ٢٥٩ ، ونقل الشواهد الشعرية الكثيرة عن العلماء بجواز ذلك .

□ الغاتمة :

ونلخص من هذا البحث إلى بيان النتائج التالية :

١ - الفتوى والافتاء علم شعري ، وهو فرع من علم الفقه لبيان حكم الله تعالى ، وأن الفتى هو العالم بالشرع وأحكام الدين لبيانها للناس ، ولها أحكام خاصة ، وأداب رفيعة ، وقواعد محددة ، وهي في الأصل ليست منصباً رسمياً ، بل هي وظيفة كل عالم وفقهه في الشرع ، وبرز في التاريخ الاملاقي أعلام في الفتوى ، كما ظهر فيها كتب عديدة ، أصبحت أحد المصادر الفقهية ، ومن أهم المراجع للعلماء طوال التاريخ الإسلامي وحتى يومنا العاضر .

٢ - كان السيوطي من كبار الفقهاء في المذهب الشافعي ، فدرس مبكراً على عدد من العلماء ، ثم قام بتدريسه ، ثم مارس الفتوى والافتاء طوال أربعين سنة من عمره ، وأنه

كان يتلقى الفتاوى من مختلف البلاد ، وقد صنفت الكتب العديدة في الفقه على المذهب الشافعى ، وغايس أمهات كتب الشافعية ، واختصر أعمها ، واعتمد على باقيها في تصانيفه فتاوياه .

٣ - ان فتاوى السيوطى عامة ، والفتاوى الفقهية له خاصة ذات أهمية كبيرة من الناحية الموضوعية والملحنة والفقهية ، وهي مرجع فقهي ممتاز ، ومصدر أصيل ، كما تتحلى نفس الأهمية في عرض المسائل الواقعية في الحياة ، وما يذكر وقوفه من الناس ، وما يشيع في التعامل ، مما تساعد الطالب والفقىء والعالم والفتى في عصرنا الحاضر من الاعتماد عليهما ، والرجوع إليها ، والاستفادة منها ، لغة وأدبًا ، فقهاً وحديثاً ، وحكمة وفوائد متعددة ، وجاءت بأسلوب مشرق ، وعبارة رصينة ، وأدب رفيع ، وتتنوع في الصياغة والأسلوب والعرض بما يشوق القارئ إليها ، ويأنس لقراءتها ، ويستمتع بمعرفة ما جاء فيها ، ويحرص على الاستمرار والدوام في مطالعتها .

٤ - وأخيراً نقدم توصية بأن تطبع فتاوى السيوطى مجلداً ، وتخدم بالفهارس ، ليتم الانتفاع بها ، والاستفادة منها .

رحم الله السيوطى رحمة واسعة ، وجزاه الله خير الجزاء ، ونفعنا الله بعلمه الذي يزيد في حسناته ، ويستمر في صحائفه ، وأكثر الله من أمثاله .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

□ العواشى :

- ١ - هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد والدارمي عن وبصة ، مسنند أحمد ٢٤٦/٢ ، سنن الدارمي ٢٤٦/٢
- ٢ - انظر : القاموس المحيط ٣٧٣/٤ ، مختار الصحاح ص ٤٩١ ، المصباح المنير ٦٣١/٢ ، القاموس الفقهي ص ٢٨١ ، دستور العلماء ١٤/٣
- ٣ - القاموس الفقهي ص ٢٨١ ، دستور العلماء ١٤/٣ ، كشف الظنون ١٦٤/٢ ، عرنوس ص ١٥٧
- ٤ - مفاتيح السعادة ٦٠١/٢
- ٥ - انظر : صفة الفتوى والفتوى المستفتى ، لابن حمدان ص ٤ ، عرف الشام فيمن ولی فتوی دمشق الشام ، للمرادي ص ٤ وما يليها ، مسنن الدارمي ٤٩١ ، ٥٠ وما يليها
- ٦ - المجموع ٦٧/١
- ٧ - اعلام المؤمنين ١١/١ ، وانظر صفات الفتوى في المجموع ٦٩ ، عرف الشام فيمن ولی فتوی دمشق الشام ص ٧
- ٨ - اعلام المؤمنين ١١/١ وما يليها
- ٩ - اعلام المؤمنين ١٢/١
- ١٠ - المجموع ٧٥/١ ، صفة الفتوى ص ٦
- ١١ - هذا حديث صحيح رواه البخاري والإمام أحمد والترمذى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما (صحيح البخاري ١٢٧٥/٢ ، الفتح الكبير ٩/٢)
- ١٢ - رواه الإمام أحمد والترمذى وابن حبان عن ابن مسعود ، وأحمد وابن ماجه عن أنس ، وأحمد وابن ماجه والحاكم عن جبير بن مطعم ، وأبي داود وابن ماجه عن زيد بن ثابت ، بالظاهر متفق عليه (الفتح الكبير ٢٦٢/٣ ، ٢٦٣)

- ١٣- رواه الطبراني عن سمرة بن جنذب (الترغيب والترهيب/١١٩) .
- ١٤- رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وموقوعاً (الترغيب والترهيب/١١٩) .
- ١٥- رواه مسلم عن أبي هريرة (صحيح مسلم بشرح النووي ٨٥/١١) .
- ١٦- رواه أحمد وأبي داود والترمذى وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة (مستند أحمد ٢٦٢/٢ ، سنن ابن أبي داود ٢٨٨/٢ ، جامع الترمذى ٤٠٧/٢ ، سنن ابن ماجة في ٩٧/١ ، المستدرك ١٠١/١) .
- ١٧- انظر : المجموع ٦٩/١ - ٧٥ ، صفة الفتوى ص ١٣ ، شرح الكوكب المنير ٥٥٧/٤ ، عزف البشام من ٧ .
- ١٨- انظر : المجموع ٧٨/١ .
- ١٩- هذا الحديث رواه الدارمي (سنن الدارمي ٥٧/١) .
- ٢٠- انظر : المجموع ٦٧ ، صفة الفتوى ٦ وما يتعلمه ، أعلام المؤمنين ، ٣٤/١ وما يتعلمه ، المواقف للشاطئي ١٦٤/٤ وما يتعلمه .
- ٢١- العاوي للفتاوی ١١٤/١ .
- ٢٢- انظر : المجموع ٧٥/١ وما يتعلمه ، شرح الكوكب المنير ٥١١ وما يتعلمه ، صفة الفتوى من ٢٩ وما يتعلمه .
- ٢٣- أعلام المؤمنين ١٠/١ .
- ٢٤- هو شيخ الإسلام صالح بن عمر بن دسان البكتيني ، القاضي ، من علماء الحديث والفقه الشافعى ، وهو ابن شيخ الإسلام سراج الدين البكتيني المشهور (٥٨٥هـ)، وجمع فتاوى والده ، وتصدر للافتاء والتدرّيس ، وولي قضاء الديار المصرية ، وتوفي وهو على القضاء ، ودرس عليه السيوطي الفقه ، وأجازه بالتدريس ، ثم درس على ولده (الأعلام ١٧١/١ ، حسن المحاضرة ٤٤٤/١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦) .
- ٢٥- انظر حسن المحاضرة للسيوطى ١٣٦/١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦/١ ، وبشكل اسماً كتابه (عملة الأحكام ، في الفروع الفقهية ، وهو للشيخ ابن محمد عبدالله بن أحمد ، مؤلف المذيق بن قادمة العتبلي المقنسى المتوفى سنة ٦١٠هـ ، وهو متصرّ في المبادرات الخمس وسائر أبواب الفقه (كشف النقون ١٣١) وللشيخ عبد القاهر البرجاني «المعدة» (التصريف ، وللشيخ أبي يكر الشاشى الشافعى «والمعدة» في الفقه ، وهذا هو المراد في كلام السيوطى ، لأنّه صرح بالنقل عنه في فتاواه (انظر : العاوي للفتاوی ص ٢٢٩) .
- ٢٦- حسن المحاضرة ١٣٦/١ ، ٣٣٨ .
- ٢٧- حسن المحاضرة ٣٣٨/١ .
- ٢٨- الرجع السابق .
- ٢٩- كشف النقون ١٠٦/١ .
- ٣٠- هذا ما يبيّنه العلماء في كتب علم أصول الفقه الإسلامي ، انظر على سبيل المثال : نهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوى ، والشرح للأسنوي ٥٤٢/٤ .
- ٣١- طبع الكتاب عدة مرات ، منها طبعة دار الكتب العلمية بي بي وستة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م بتقديم وتحقيق الشيخ خليل الميس ، ومنها طبعة مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المatum .
- ٣٢- الرد على من أخلى الأرض ، مقتمة المعقق فؤاد عبد المatum من ١١ .
- ٣٣- الرجع السابق من ٢١ .
- ٣٤- حسن المحاضرة ٣٣٩/١ .
- ٣٥- الرد على من أخلى الأرض ، مقتمة المعقق خليل الميس من ١٥ .
- ٣٦- الرجع السابق من ١٣ .
- ٣٧- حسن المحاضرة ٣٣٨/١ ، الرد على من أخلى الأرض ، مقتمة خليل الميس من ١٣ .
- ٣٨- الرد على من أخلى الأرض من ١١٥/١١٢ ت. ت تحقيق الميس .
- ٣٩- الرد على من أخلى الأرض من ١١٦ ت. الميس ، من ٩٨ ت. عبد المatum .
- ٤٠- شرح الكوكب المنير ٤٣٩/٤ .
- ٤١- حسن المحاضرة ٣٣٨/١ .

- ٤٢- انظر : حسن المعاشرة / ٣٣٧ هـ .
- ٤٣- طبع كتاب «الحاوي للفتاوي» عدة مرات ، احسنها واجودها الطبعة المنقية بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ ، ويتبع الكتاب في مجلدين كبارين ، جاء الاول في ٤٠٠ صفحة ، والثاني في ٣٥٦ صفحة مع الفهارس .
- ٤٤- «الحاوي للفتاوي» من ٥ صفحات .
- ٤٥- الرد على من اخذ الى الارض من ١٤ تحقيق خليل الميس .
- ٤٦- المراجع السابق من ١١٦ .
- ٤٧- المجموع ٧٢-٧٠١ هـ باختصار وتصرف ، وتقل هذا النص السيوطي عن النموي في الاسام المجتهد المطلق في كتابه «الرد على من اخذ الى الارض» من ١١٢ - ١١٤ .
- ٤٨- «الحاوي للفتاوي» من ١٢-١١١ .
- ٤٩- ورد اسم الكتاب خطأ في «الفتاوى» ، لاختصار لما في الاصحاء من الاسرار ، والصواب من كشف الظنون ١٥٣/١ .

□ أهم مصادر البحث :

- ١- الاعلام ، خير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة ، بيروت .
- ٢- اعلام المؤلفين ، ابن قيم الجوزية ٧٥١ هـ - دار الكتب العديدة - القاهرة - ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ٣- الترقيق والتربيب ، الحافظ المنذري ٦٩٦ هـ - مطبني البابي العلبي - القاهرة - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ٤- «الحاوي للفتاوي» ، جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ - ادارة الطباعة المنقية - القاهرة - ١٣٥٢ هـ .
- ٥- حسن المعاشرة ، جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ - دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي العلبي - القاهرة - ١٣٨٧ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٦- دستور العلماء = جامع العلوم ، عبدالنبي عبدالرسول الاحمد تكري - الطبعة الأولى - الهند .
- ٧- الرد على من اخذ الى الارض / جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ - ت. خليل الميس - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م + ت. الدكتور فؤاد عبدالمتنم احمد ، نشر مؤسسة شباب الجامعة - الاستثنائية - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٨- شرح الكوكب المثير ، لابن النجاشي الفتوحى العنبلى ٩٧٢ هـ - نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٩- صحيح البخاري ، محمد بن اسماويل البخاري ٢٥٦ هـ - دار القلم - دمشق - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ١٠- صحيح مسلم بشرح النموي ، مسلم بن الحجاج القشيشي ٣٦١ هـ - المطبعة المصرية - القاهرة .
- ١١- صفة الفتوى والمستفتى ، ابن حمدان العراقي العنبلى ٦٩٥ هـ - المكتب الاسلامي - بيروت ١٣٩٤ هـ .
- ١٢- عرف البشام فيين وهي قنوى دمشق الشام - المرانى ١٢٦٠ هـ - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - مطبعة زيد بن ثابت - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٩ م .
- ١٣- الفتح الكبير في ضم الزيادات الى الجامع الصفعي للسيوطى ، ترتيب البهانى ١٢٥٠ هـ - عيسى البابي العلبي - القاهرة - ١٣٥٠ هـ .
- ١٤- القاموس الفقهي - المستشار سعدي ابو جيب - دار الفكر - دمشق - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ١٥- كشف الظنون ، كاتب جلبي حاجي خليفة ١٠٦٧ هـ - طبعة استنبول - ١٣٥١ هـ .
- ١٦- المجموع شرح المذهب ، للنحوى ٦٧٦ هـ - مطبعة الماسمة - القاهرة - بدون تاريخ .
- ١٧- المستدرک على الصحيحين ، ابو عبد الله العاکم ٤٠٥ هـ - طبع ميدن ایاد - الهند - ١٣٣٥ هـ .
- ١٨- مسند احمد ، الامام احمد بن حنبل ٦٤٦ هـ - تصوير المكتب الاسلامي - بيروت - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- ١٩- المواقفات في اصول الاحکام ، الشاطئي ٧٩٠ هـ - مطبعة المدنى ، نشر مكتبة صحيح - القاهرة - ١٤٧٠ م .
- ٢٠- نهاية السول شرح منهج اصول للبيضاوي ٦٨٥ هـ ، جمال الدين الاستنوي ٧٧٧ هـ - تصوير عالم الكتب - بيروت - ١٤٨٢ م عن المطبعة السليمانية - القاهرة - ١٣٤٥ هـ .

الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم وموقف السيوطي منها

محمد يوسف الشربجي

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعده :

مقدمة :

فإن الكلام عن المغرب في القرآن الكريم من المواضيع المهمة لما له من تأثير على الدراسات العربية ، الدينية واللغوية . وقد تباهت وجهة نظر العلماء في وقوع المغرب في القرآن الكريم قديماً ، وتضاربت حوله الآراء قديماً وحديثاً .

والسيوطى ، ذاك الإمام الموسوعي ، لم يترك فناً من الفنون إلا أخذ منه بقبس وتناوله بطرف ، وقد اتفق في هذا الموضوع أكثر من كتاب منها : المذهب فيما وقع في القرآن من المغرب ، والمتوكلى فيما ورد في القرآن باللغة العشيشية والفارسية والهندية والنبطية والقبطية والسريانية والبرانيه والروميه والبربرية ، بالإضافة إلى ما ذكره في كتابه الاتقان في علوم القرآن ، في النوع الثامن والثلاثين ، فيما وقع فيه بغير لغة العرب ، والذي لخصه من كتاب المذهب . وقد بيّن رأيه في ذلك بصراحة ووضوح .
وتناول في بعضها آراء العلماء من المغرب ، وموقف السيوطى منه . من خلال مؤلفاته السابقة وبيان منهجه فيها .

تعريف المغرب : هو ما استعمله المغرب من الألفاظ الموضعية لمان في غير لنته(١) .

قال الجوهري : تعريف الاسم الأجمي : أن تنتفوه به المغرب على منهاجها تقول : هربته المغرب وأعربته أيضاً(٢) .

والتعريف : هو نقل اللفظ من المعجمة إلى العربية(٣) .

* محقق وباحث في التراث العربي . . . حقق تفسير أبي العباس المهوبي . . . كما حقق / الوصية الموجزة لابن قدامة / .

آراء العلماء ، و موقفهم من المعرّب في القرآن الكريم :

تبينت آراء العلماء في هذه المسألة ، ما بين مانع من ذلك ، و قائل بالواقع ، و متوسط بينهما .

١ - القائلين بالمنع وادتهم :

ذهب الإمام الشافعي و ابن جرير الطبرى وأبو عبيدة والقاضى أبو بكر وابن فارس إلى عدم وقوع المعرّب في القرآن الكريم ، مستندين بذلك إلى قوله تعالى : إِنَّا أَنزَلْنَاكُمْ رُّوْيَاً لِّلْكُمْ تَعْقِلُونَ ، (يوسف : ٢) ، و قوله تعالى : وَلَوْ جَطَنْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ، الأَعْجَمِيُّ وَعَرَبِيُّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هَدِيٌّ وَشَفَاءٌ ٠٠٠ ، (فصلت : ٤) .

و قد فصل الإمام الشافعى القول في المسألة و رد على المخالفين فقال :

وَمِنْ جَمَاعِ عِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ أَنَّ الْعِلْمَ يَأْتِي بِجَمِيعِ كِتَابِ اللَّهِ إِنَّمَا نَزَّلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ٠٠٠ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ مَنْ لَوْ اسْكَنَ مِنْ بَعْضِ مَا يَعْنِيهِ تَكَلُّمَ فِيهِ مِنْهُ لِكَانَ الْأَسْكَنُ أَوْلَى بِهِ وَأَقْرَبُ مِنَ السَّلَامَةِ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ قَائِلُ مِنْهُمْ : إِنَّ فِي الْقُرْآنِ عَرَبِيًّا وَأَعْجَمِيًّا وَالْقُرْآنُ يَدِلُّ عَلَى أَنَّ لَيْسَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا بِلِسَانِ الْعَرَبِ ٠

٠٠٠ ولعل من قال : إن في القرآن غير لسان العرب وقبل ذلك منه : ذهب إلى أن من القرآن خاصاً يجهل بعضه بعض العرب ، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبها ، وأكثرها الناطقة ، ولا نعلم يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه (٤) .

ويحمل الإمام الشافعى (رضي الله عنه) وما نطق به العجم من لسان العرب على التعلم فيقول ، فان قال قائل : فقد نجد من الجم من ينطق بالشيء من لسان العرب ؟ فذلك يتحمل ما وصفت من تعلمهم بهم ، فان لم يكن من تعلمهم فلا يوجد ينطق الا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه ، (٥) . وبهما كان الأمر فهو يحمل على التوافق او التوارد وهذا ما أكده الإمام الشافعى في رسالته حيث يقول ، ولا ننكر اذ كان اللفظ قيل تعلمأ او تعلقاً به موضوعاً ان يوافق لسان العجم او بعضها قليلاً من لسان العرب كما ياتفاق (٦) القليل من السنة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع ثنايى ديارها ، واختلاف لسانها ، وبعد الاوامر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها ، (٧) .

وبعد أن فصل الإمام الشافعى المسألة اتى بالدليل والعبارة على رأيه فقال « فان قال قائل : ما العجبة في أن كتاب الله محض بلسان العرب ، لا يخلطه فيه غيره ؟ فالعجبة فيه كتاب الله قال الله (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) (ابراهيم: ٤) .

فان قال قائل : فان الرسول قبل محمد (ص) كانوا يرسلون الى قومهم خاصة ، وإن محدداً بمثل الى الناس كافة فقد يتحمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ويكون على الناس كافة أن يتلعلموا لسانه وما أطاقوا منه ، ويعتذر أن يكون بعث بالستنتهم : فهو من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة العجم ؟ فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلا بد أن

يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ، ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فلديهم اتباع دينه ، وقد بيّن الله ذلك في غير آية من كتابه :

قال الله تعالى « وإنك لتنتزيل رب العالمين ، نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، على قلبك لتكون من المندرين ، بلسان عربي مبين » (الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥) . وقال « وكذلك أنزلناه حكماً عربياً » (الرعد : ٣٧) .

وقال « وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتتذرر ألم القرى ومن حولها » (الشورى : ٧) .

وقال « حم . والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تتعلمون » (الخروف : ٣-١) .

وقال « قرآناً عربياً غير ذي موج لعلمهم يتقدون » (الزمر : ٢٨) .

قال الإمام الشافعي بعد ذلك^(٨) : فأقام حجته بأن كتابه هربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفي عنه - جل ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب ، في آيتين من كتابه :

فقال الله تبارك وتعالى « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلّمُهُ بشر» ، لسان الذي يلحدون إليه أعمى ، وهذا لسان « عربي مبين » (النحل : ١٠٣) .

وقال « ولو جعلناه قرآناً أعمى لقالوا لولا فصلت آياته ، الأعمى وعربي » (فصلت : ٤٤) .

قال الإمام الشافعي : وعَرَفْنَا نَحْنُ نَحْمَةَ بِمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ مَكَانَةِ فَقَالَ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُتَنِعِنِ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ » (التوبية : ١٢٨) . إلى آخر ما ذكره الإمام الشافعي من أدلة وحجج من عربية القرآن الكريم وخلوه من أي لفظ أعمى : وإذا وقع فيه أي لفظ أعمى فيكون على سبيل التوافق أو التوارد كما فصل القول فيما سبق .

وعلى نفس هذا الطريق سار ابن جرير الطبرى ، وتعرض للرد على المخالفين وإبطال دعواهم بأن في القرآن الفاظاً من أصل غير عربي ، مع توجيه لما روی عن الصحابة والتابعين من نسبة الفاظ من القرآن إلى لغات أعمى بما يخرج به عن صحة الاستدلال ، وهذا ما عقد له فصلاً خاصاً في مقدمة تفسيره ، بعد أن استدل على عربية الفاظ القرآن الكريم ، بما لا يخرج عن استدلال الإمام الشافعي (رضي الله عنه) . وأن ما ذكر أنه بلسان غير العرب فيعمله على التوافق ، ويعتقد لذلك فصلاً يعنون « القول في البيان من الأحرف التي اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم » . فيقول « ولم تستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه الفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ... كما قد وجدنا تاتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة كالدرهم والدينار والدوارة والقلم والقرطاس وغير ذلك ، مما يُتَبَّعُ أحصاؤه ، ويُشَمَّ تعداده »^(٩) .

ويقول في آخر الفصل : « قد دلتنا على صحة القول بما فيه الكفاية ... أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من السنسائر أجناس الأمم وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها »^(١٠) .

وقد شدد أبو عبيدة التكير على من ادعى أن في القرآن من غير العربية فقال : « إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا باللبطية فقد أكبأ القول »^(١) .

وهو يحمل ما ورد في القرآن من الألفاظ أعمجية على التوافق فيقول : « وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه وменامها واحد ، وأحدهما بالعربية والأخر بالفارسية أو غيرها »^(٢) .

وقال ابن فارس : « ليس في كتاب الله - جل ثناؤه - شيء بغير لغة العرب والقول ما قاله أبو عبيدة ، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهمن أن العرب إنما عجزت عن الاتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها وفي ذلك ما فيه »^(٣) .

وفعلًا فإن ما توقعه ابن فارس - رحمه الله - قد وقع فيه المستشرقون واتخذوا من ذلك سلسلة يرتفعون في اعتقاد القرآن الكريم . وقد انتصروا إلى هذا الفريق من العلماء في عصرنا الحاضر الشيخ أحمد شاكر ، محقق كتاب (المرب من الكلام الأعمجي) للجواليقي ، مخالفًا ما ذهب إليه صاحب الكتاب من ترجيح وقوع المرب في القرآن بعد جريانه على لسان العرب ، فيقول : « وهو قول ينبو عنه التعميق ، وإنما ذهب إليه من ذهب إعظاماً لما روي عن بعض الأقدمين في الألفاظ القرآنية أنها معربة ، وعجزًا عن تتحقق صحة الرواية عنهم ، وعن تتحقق صحة هذه المعروفة في كلام العرب ، ثم تقليداً لأولئك القائلين وجعلًا بين القولين زعموا »^(٤) .

وقد حاول الشيخ شاكر أن يكشف الشبهة عن تلك الألفاظ التي يظن أن أصلها غير عربي لعدم معرفة مصدر اشتقاها لأن شبهة كونها من أصل أجمي أقوى من غيرها من الألفاظ ذات الاشتقاء ، التي قيل أنها من غير لغة العرب فيقول : « والعرب أمة من أقدم الأمم ولنقتها من أقدم اللغات وجوداً ، كانت قبل إبراهيم واسماعيل وقبل الكلدانية والمورية والسريانية به الفارسية وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنיהם الأولى قبل التاريخ فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ولا يعرف مصدر اشتقاها لها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده »^(٥) .

وقد ذهب إلى هذا القول أيضًا الدكتور حسن ضياء الدين متر في بعثه (نقاء القرآن من الكلام الأعمجي)^(٦) .

وفي تعليقه على كتاب (فنون الألقان) لابن الجوزي ، فقد ذكر أقوال العلماء في المسألة وأدلةهم ورجع قول الإمام الشافعي وجمهور المحققين من عدم وقوع أي لفظ أجمي في القرآن الكريم فقال : « ونحن نقطع - استناداً إلى الأدلة الآتية ذكرها - بأنه لا يوجد في القرآن أي لفظ أجمي دخيل على العربية ناب عن خصائصها وأوزانها »^(٧) .

هذا ما ذهب إليه الفريق الأول من القول بعدم وقوع المرب في القرآن الكريم .

وذهب الفريق الثاني إلى جواز وقوع المرب في القرآن الكريم ، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام والغوري وابن النقيب والشوكاني وغيرهم ودليلهم ما يأتي :

١ - ما روي عن ابن هباس^(١٨) ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعظام وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة أنها بلغات الجم ، منها قوله تعالى : « ملءَ اليمَنَ الطُورَ والرِبَاطِينَ ، فِيَقَالُ اهْنَا بِالسَّرِيَانِيَةِ ٠ »

والصراط والقسطنطين والفردوس أنها بالرومية ٠

ومشكلاً وكفلين ، يقال أنها بالعربية ٠٠٠ وهذا قول أبي عبيد الذي نسبه إلى أهل العلم من الفقهاء^(١٩) ٠

٢ - ما اتفق عليه النجاة على منسخ صرف كثير من الأسماء الموجودة في القرآن الكريم ، للملمية والمجمحة كأبراهيم مثلاً ، وإذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس^(٢٠) ٠

٣ - ما ذكروه من حكمة وقوع المربّ أن القرآن الكريم قد حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شيء ، فلا بد أن تقع فيه الاشارة إلى أنواع اللغات والألسن ، ليتم احاطته بكل شيء ، فاختير له من كل لغة أعدّها وأخنها وأكثرها استعمالاً للمربّ^(٢١) ٠

٤ - وهذا ما صرّح به ابن النجاشي فقال : « من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم . والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والجيشة شيء كثير »^(٢٢) ٠

وقد انضم إلى هذا الفريق من الماصريين الدكتور رمضان عبد الواب فقال في كتابه (قصوص في فقه المربّية) بعد أن انتقد الشیخ أحمد شاکر فيما ذهب إليه من عدم جواز وقوع المربّ في القرآن الكريم : « وهكذا نرى أنه من البêt إتكار وقوع المربّ في العربية الفصحى والقرآن الكريم »^(٢٣) ٠

ومال إلى هذا الرأي أيضاً محمد السيد علي البلاسي في تعليله على كتاب المذهب^(٢٤) ٠

فقال بعد أن استعرض آقوال العلماء في المسألة : « ونعن نقول : إن علماناً الأفاضل يكادون يتفقون على وقوع الكلمات الاجعيمية - التي عربّها المربّ - في القرآن الكريم فيما عدا الفريق الذي منع هذا ، وعلى آية حال فلا خلاف بين العلماء على جواز استعمال المربّ ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا ضير من وقوع المربّ في القرآن الكريم »^(٢٥) ٠

الفريق الثالث : وهو رأي أبي عبيد القاسم بن سلام ، الذي يقول : « والصواب عندي مذهب فيه القولان جميماً وذلك لأن هذه الأحرف أصولها أجعيمية كما قال الفقهاء ، ولكنها وقعت للمربّ فعرّبتها بالستنها وحوّلتها عن الناطق العجم إلى لفاظها ، فصارت عربية ثم نزل القرآن ، وقد وختلطت بهذه العروض بكلام العرب ، فمن قال أنها عربية فهو مساق ، ومن قال أنها أجعيمية فصادق ».

قال : وإنما فسرنا هذا لثلا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى البهبل ، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله - جل شوافه - بغير ما أراده الله جل وعز ، كانوا أعلم بالتأويل ، وأشد تعظيمياً للقرآن^(٢٦) ٠

وقد انضم الى هذا الفريق الثالث من المعاصرین الدكتور طاهر حمودة فقال بعد ان عرض
أقوال العلماء في ذلك « وشمة رأي حاول صاحبها التوسط بين المنكرين والمبين وهو في العقيقة
اصوب هذه الإزاء وأكثرها ادراكاً للواقع اللغوي وما ينتج عن اختلاط اللغات بعضها ببعض من
وقوع التاثير والتاثير في الألفاظ واستعمال كل لغة بعض الفاظ الأخرى بعد تهذيبها وصقلها وصوفها
بصيغها المألوفة وهو ما يعرف في العربية بالتعريب » (٢٧) .

بعد أن استعرضنا أقوال العلماء في القضية نصل الى رأي السيوطي في التعريب وموقفه منه :

□ اختيار السيوطي :

ذهب السيوطي الى القول بوجود الفاظ أعمجية في القرآن الكريم، وقد دل على رأيه بصرامة
وضوح فقال في كتابه (المهذب) :

« وأقوى ما رأيته – وهو اختياري – ما أخرجه ابن جرير . قال « أئبنا ابن حميد ، أئبنا يعقوب
القسي عن جعفر عن ابن المفرة عن سعيد بن جبير قال : « قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعمجها
وعربى؟ فأنزل الله و قالوا لولا فصلت آياته الأعمجى وعربى » (فصلت : ٤٤) الآية .
وأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان ، فيه « حجارة من سجيل » (٢٨) (هود : ٨٢) .
فارسية .

وقال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، أئبنا إسرائيل عن أبي اسحاق
عن أبي ميسرة ، قال: « في القرآن من كل لسان » .

اقال ابن أبي شيبة في مصنفه : « حدثنا عبد الله عن إسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي ميسرة ،
قال : « أنزل القرآن بكل لسان » .

وقال: حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سلمة بن سبط عن الضحاك قال: « نزل القرآن بكل لسان » .
ونقل الشعابي عن بعضهم قال : « ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن » (٢٩) .

ثم ذكر رأي ابن النقيب الأنف الذكر وأشار الى حكمة وقوع العرب في القرآن الكريم وذلك
لتتم احاطته بكل شيء .

قال : وايضا فالنبي (عليه) مرسل الى كل أمة . وقد قال تعالى: « وما أرسلنا من رسول الا
بلسان قومه » (ابراهيم : ٤) . فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم . وإن كان
أصله بلغة قومه هو » (٣٠) .

ثم نقل من الخوئي فائدة لوجود العرب فقال : « وقد رأيت الخوئي ذكر لوقع العرب في
القرآن فائدة أخرى ، فقال : « إن قيل أن « استبرق » (٣١) ليس بعربي ، وغير العربي من الألفاظ
دون العربي في الفصاحة والبلاغة ، فنقول : « لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه
اللغة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لمجزوا عن ذلك » .

ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه ، لأن الشياب من العرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع في اللغة العربية للديجاج الثخين اسم «وانما عربوا ما سمعوا من العجم واستغثوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلظفهم به» (٣٢) .

وقد أكد السيوطي موقفه هذا بتاليه في هذا الموضوع أكثر من كتاب كما مرّ معنا في بداية البحث (٣٣) .

□ مناقشة هذه الآراء :

لم يسلم الفريق الثاني للفرق الأول فيما ذهب إليه ، وأجابوا من قوله تعالى : «قرأتنا عربياً» (يوسف : ٢) بأن الكلمات اليésire بغير العربية لا تخرج عن كونه عربياً فالقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلقطة فيها عربية .

وأجابوا عن قول تعالى : «الاعجمي وعربي» (فصلت : ٤٤) . «بأن المعنى من السياق أكلام اعجمي ، ومخاطب عربي !» (٣٤) .

ولكن هذا الرد لا يقصد طويلاً أمام صراحة القرآن الكريم بعربية كل ما جاء فيه وما نقله أبو عبيد من أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجمة شيء وإن كله بلسان عربي يتناولون قوله جملة نساؤه : «إنا جعلناه قرأتنا عربياً» (الزخرف : ٤٣) وقوله : «بلسان عربي مبين» (الشعراء : ١٩٥) .

وقد أجاب الفريق الأول والثاني القائلين بوقوع المربّ في القرآن الكريم والتي رویت عن ابن عباس وغيره بأنها من باب توافق اللغات في بعض مفرداتها باللغة والمعنى . والفريق الأول القائل يخلو القرآن من النطْر الأعجمي لا يقبل رأي الفريق الثالث المتوسط بين النفع والاباحة ، فقد انكر ابن فارس كما رأينا على أبي عبيد رأيه فيقول «فإن قال قائل ، فما تأويل قول أبي عبيد فقد أعظم وأكبر؟ قيل له : تأويله أنه أنت يا سر عظيم ، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوجه أن العرب إنما عجزت عن الاتيان بمثله لانه أنت بلغات لا يمرفوتها وفي ذلك ما فيه» (٣٥) .

والظاهر في أدلة الفريق الثاني لا يجدها قوية ، فقولهم : إن القرآن الكريم قد احتوى على الناطق من جميع اللغات ، لأن الرسول (ﷺ) مرسلاً إلى كل أمّة واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» قالوا : فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو ، هذه حجة واهية ، فالقرآن الكريم لا يخاطب كل إنسان بلغته هو ، بل على جميع المؤمنين به أن يتعلموا لغته ، وقد ورد نزول القرآن بلسان عربي مبين .

وأما أنصار الفريق الثالث القائلين بالتوسط ، فهم أقرب ما يكون إلى الواقعية إذ من المعروف أن الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم كان موجوداً في مكانة الكرة من طريق التجارة وغيرها ، مما أدى إلى التأثير والتاثير في اللغة ، فدخلت إلى العربية بعض الفاظهم مع شيء من التحوير في الصيغة والصوت . وتتجدد ذلك في أشعار الجاهليين ولا سيما من أكثر من دخول بلاد فارس والروم من الشعراء .

وهذا ما نبه اليه ابن عطية في تفسيره، وتبعه القرطبي ، وذكره السيوطي فقال : « كان للمرء الماربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في استفارهم ، فعلقت من لغاتهم الفاظاً غيرت بعضها بالنقض من حروفها واستعملتها في أشعارها ومعاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان وعلى هذا العذر نزل بها القرآن » (٣٦) .

وقد خلص ابن عطية الى هذه النتيجة بعد أن ذكر خلاف الملماء وقال : « ان القاعدة والمقيدة هي أن القرآن بلسان عربي مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب ، فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فاما هذه الالفاظ وما جرى معها فقد كان للمرء الماربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارب وبرحلته قريش ، وكسر مسافر بن أبي صredo الى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسر عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد الى ارض العبرة ، وكسر الأعشى الى العيرة ، وصحبة نصاراها مع كونه حججاً في اللنة ، فعلقت العرب بهذا كله الفاظاً أجمية غيرت بعضها بالنقض من حروفها، وجرت الى تخفيض ثقل المجمع ، واستعملتها في أشعارها ومعاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا العذر نزل بها القرآن ، فان جهلها عربي ما ، فكجهله الصريح مما في لفظة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى « فاخر » الى غير ذلك » .

فحقيقة المبارزة عن هذه الالفاظ أنها في الأصل أجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية. بهذا الوجه .

وابن عطية يرد على الطبرى وعلى شبهه من القائلين بتوافق اللغات فيقول : « وما ذهب اليه الطبرى من أن اللقتين اتفقا في لفظة ، فذلك بعيديل احدهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ، لأنها لا تدفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاداً » (٣٧) .

وما ذكره ابن عطية ونقله القرطبي وأكد، كلام عملي واقفي استندوا فيه الى الواقع المشاهد فان الاختلاط الحاصل بين الأمم والشعوب مما لاشك فيه أن يتسرّب بعض كلمات والفاظ الى لغة أخرى ثم تستعملها تلك الأمة بشيء من التعويير والتغيير فتصبح لغة لها وهذا هو التعرّيف .

وهذا ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في توفيق بين التولين عندما قال : « هذه العروض أصولها أجمية ولكنها وقعت للعرب فغيريتها بالستنتها وحولتها من الفاظ الجم الى الفاظها فصارت عربية . ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه العروض بكلام العرب ٠٠٠ » (٣٨) .

ثم ان ما ذكره الفريق الثاني من قول ابن عباس (رضي الله عنه) في أحرف كثيرة في القرآن أنها من غير لسان العرب وهذا القول روى عن أبي عبيده يعارضه ما روى عن ابن عباس نفسه في قوله عز وجل « بلسان عربي مبين » (الشعراء: ١٩٥) قال : بلسان قريش ، ولو كان غير عربي ما فهموه ، وما أنزل الله كتاباً من السماء الا بالعربية ، وكان جبريل (عليه السلام) يترجم لكل

نبي بلسان قومه . وذلك أن الله هنّ وجلّ قال : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » (ابراهيم : ٤) . وليس في السنة الأسم أوسع من لسان العرب . والقرآن ليس فيه لغة الا لغة العرب ، وربما وافقت اللغة اللغات ، وأما الأصل والجنس فعربي لا يغالطه شيء » (٣٩) .

فابن عباس (رضي الله عنه) يذهب هنا إلى القول بتوافق اللغات ، وهذا ما صرخ به محقق كتاب (اللغات في القرآن) آذ يقول « وكتابنا يقول قوله جديداً فهو لم يشر إلى أن الالفاظ كانت أعمبية فعربت بل التمس سبلاً جديداً فقال : وافتلت لغة العرب في هذه اللقطة لغة النبط أو السريان أو القبط ، ويستدل من هذا أن اللفظ وجد في اللغة العربية ووجد في لغة أعمبية ثانية وأن لغة العرب وافتلت اللغة الأعمبية في هذا اللفظ . ذكران اللغة العربية وتلك اللغات تنحدر من أصل واحد . وهذا المذهب هو تأييد لن قال : إن القرآن ليس فيه شيء من غير لسان العرب » (٤٠) .

وهذا ما ذهب إليه الإمام الطبرى في تأويل قوله ابن عباس وان قوله بوقوع العرب لا يصلح دليلاً لأن قوله حدىث كذا بلسان العيشة معناته كذا ، وحدث كذا بلسان العجم معناته كذا ، ليس نصناً ضريراً بأن هذا اللقظ أصله جبئي أو أعمبي بل فيه احتمال كبير بأنهم أرادوا إيماناً ذكروه أنه من قبيل توافق اللغات ويشهد لهذا دخول الكثير من أصحاب اللغات المختلفة في الدين ، فلا مانع أن يكون من الصحابة والتابعين من عرف منهم هذه الالفاظ المتقدمة في اللغات وزيادة منهم في توضيح الالفاظ القرآنية نصوا على معانيها فيما وردت فيه من اللغات الفيروزية » .

واما ما ذكره السيوطي للتدليل على رأيه واختياره من آثار أن في القرآن من كل لسان فقد أشار قدماً إلى هذا الإمام الطبرى الذي نقل عنه السيوطي الأثر وتوجيهه عند الطبرى أن فيه من كل لسان اتفاق فيه لنظر العرب وللنظر غيرها من الأمم التي تتنطق به » (٤١) .

ثم أنها على فرض صحة مند هذه الآثار فلا تعدو أن تكون آراء شخصية ، ليس لها سند يعتمد عليه من كتاب أو سنة ، فلا تصلح لأن تكون دليلاً مسلماً به .

وما ذكروه من اتفاق النحو على منع صرف الأسماء الأعمبية ، وهذا أمر مسلم به لأن أسماء الأعلام لا تتغير بنقلها إلى لغة أخرى ، بل تبقى كما هي في اللغة المنقوله . ومع هذا فلا يستلزم ولا يتربت عليه وقوع غيرها من الالفاظ .

وبعد استعراض آقوال العلماء ومناقشتها أخلص إلى ما يلي :

ان التلاف بين العلماء حول هذه القضية ينحصر في أمرين اثنين :

الأول : أن القرآن العربي نزل بلسان عربي مبين لا دخيل فيه ولا غريب ، من لغة أخرى ، وأن ما ذكر من بعض الالفاظ أنها أعمبية فهي على سبيل التوافق أو التوارد ، بين اللغات ، وهذا أمر معروف في اللغات وهو قليل شاذ .

الثاني : أن القرآن الكريم عربي المبني ، فصيحة المعنى وهذا أمر متفق عليه عند الجميع ولكن الخلاف حول هذه الكلمات التي نقل أنها أعمجية فذهب بعض العلماء إلى القول بأن أصلها أعمجية ولكن باستعمال العرب لها وتفسير بعض حروفها أصبحت مربية فصيحة .
وكورننا نجهل تاريخية اللغات بشكل دقيق فلا يمكننا القول ان هذه الكلمة مشتقة من تلك اللغة أو غيرها .

□ المذهب فيما وقع في القرآن من المربّب :

رأينا فيما سبق موقف السيوطي من المربّب واختياره وقوع الألفاظ أعمجية في القرآن الكريم . وقد دلَّ على رأيه هذا وضعه أكثر من مؤلف في هذا الباب . منها هذا الكتاب الذي مستتناوله الآن بالدراسة ، وكتاب (المتوكل) الذي أشرنا إليه سابقاً . ومتقارن بينه وبين المذهب ، بالإضافة إلى ما لخصه من انذهاب في كتابه الاتقان .

طبع كتاب المذهب في مجلة المورد العراقي في العدد الأول والثاني سنة ١٩٧١، ثم صنفه التهامي الرابي الماشمي وطبع في المقرب تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والامارات ، وأخيراً حققه سمير حسن حلبي ، وطبع في دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٩٨٨ م . ويتناول هذا الكتاب الألفاظ المربّبة التي وقعت في القرآن الكريم . بعد أن تبعهما السيوطي في مصادرها ومنظماها ، فيقول في آخر كتابه « فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المربّبة في القرآن الكريم بعد الفحص الشديد متين ، وسمة النظر والمطالعة » (٤٢) .

والسيوطى شديد الاعتقاد بنفسه ومؤلفاته ، وتلمس هذا في معظم كتبه ، فمثلاً في كتابه هذا يقول ، بعد ذكر الكلمات المربّبة في القرآن الكريم « ولم يجتمع قبل في كتاب قبل هذا » (٤٣) .

استهل السيوطي كتاب المذهب بمقيدة طويلة استعرض فيها موقف الآئمة من وقوع المربّب في القرآن الكريم ، ثم ذكر رأيه المختار مستنداً في دعم رأيه إلى ما ورد من آثار في هذا الموضوع ، متمنياً مع مقلتيه النقلية ومنهجي المديشي في المقال (٤٤) .

وقد أيان عن منهجه هذا يقوله « هذا الكتاب تبعثر فيه الألفاظ المربّبة التي وقعت في القرآن ، مستوعباً ما وقفت عليه من ذلك ، مقررتا بالمزو والبيان » (٤٥) .

ثم بدأ بسرد الألفاظ الواردة في القرآن مرتبة على حروف المعجم ، وبجملة ما أورده في كتابه من الألفاظ المربّبة (١٢٥) لفظة . بدأ بحرف المهمزة وانتهى بحرف الياء ، دون أن يذكر في حرف [الاثاء والغاء والذاء والضاء والظاء] .

والسيوطى لم يرتب الكلمات المربّبة حسب المواد بل على أوائل حروفها كما وردت بعمركم جمعيتها ولعل في ذلك تيسيراً على الباحثين .

وسيقوم بترتيب هذه الألفاظ ضمن جدول ، ذكر فيه الألفاظ والسورة التي وردت فيها تلك الألفاظ ورقم الآية ثم اللغة التي اشتقت منها مع بيان معناها ، كما ذكره السيوطي في المذهب والاتقان ، موضحاً ذلك بما ورد في المعاجم اللغوية (٤٦) :

اللفاظ والمعنى	السورة ورقم الآية	الإفاظ
فارمية ومعناها طريق الماء ، او صب الماء على مينة . الأب ، العيشش بلغة أهل المغرب بالعشيشية (ازدردية)(٤٧) وقيل : اشربي بلغة الهند . بالعبرية : ركن(٤٨) . السر بالعشيشية .	الواقعة : ١٨ عبس : ٢١ هود : ٤٤ الأعراف : ١٧٦ الكهف : ٣١ الأنعام : ٧٤	١ - آباريق ٢ - آبا ٣ - ابلعي ٤ - أخلد ٥ - الإرائك ٦ - آزر
يعد في المغرب على قول من قال: انه ليس اسمًا لأبيه ابراهيم ، فقيل : معناه أحوج ، وقيل : معناه يلقتهم يا مقطوع ، وقيل : معناه شيخ بالفارسية(٤٩) . الأساطيل بلغتهم كالقبائل بلغة العرب . الديباج : الغليظ بلغة العم(٥٠) . هي الكتب بالسريانية ، وقيل : بالنبطية . مهدي ، بالنبطية .	البقرة : ١٣٦ الكهف : ٣١ الجنة : ٥ آل عمران : ٨١ الزخرف : ٧١ التوبه : ٨ - ١٠	٧ - الأساطيل ٨ - استبرق ٩ - استارا ١٠ - إصري ١١ - أكواب ١٢ - إل (إلا)
حکی ابن الجوزی أنها الأکواز بالنبطية(٥١) ، ومن الصحاک أنها بالنبطية جرار ليست لها هری . قال ابن جنی : ذکروا انه اسم الله تعالى بالنبطية(٥٢) . قال ابن الجوزی : انه المرجع بالزنجبية(٥٣) ، وقيل : بالسريانية . تضجه بلسان أهل المغرب ، وقيل: بلغة البربر . هو الذي انتهى حره بلغة البربر . أي حرارة ، بلغة البربر . الأواه : الموقن بلسان العبشة ، وقيل : الرحيم . وقيل : الدعاء بالعبرية .	البقرة : ١٠ الأحزاب : ٥٣ الرحمن : ٤٤ الفاطحة : ٥ التوبه : ١١٤	١٣ - إيس ١٤ - إناء ١٥ - حمیم آن ١٦ - من هن آنية ١٧ - آواه

اللفة والمعنى	السورة ورقم الآية	الألفاظ
الأواب : المسيح يلسان العبادة ومثله (أوابي) . الجائحة الأولى بالقطبية ، والقطط يسمون الآخرة الأولى(٥٤) . أي ظواهرها بالقطبية ، وحكاية الزركشي(٥٥) . معنى حمار ، والبعير كل ما يعمل عليه بالعربية . البيعة والكنيسة فارسية(٥٦) . ذكر الشاعبي أنه فارسي(٥٧) معرّب . بالقطبية(٥٨) . أي بطنها بالقطبية . اسم الشيطان بالعبادية ، وقيل : الساحر يلسان العبادة . مثل أعمى ، وقيل فارسية وعبرانية أصلها كهفان(٦٠) . وجب بالعبادية . خطب بالزنجية . أي قولوا صواباً ، قال السيوطي وينبغي أن يكون معرّباً ثم رأيته مصريحاً به . هذه اللقطة من الناظر أهل الكتاب لا يعرف معناها في اللغة العربية(٦٢) . الفالسالون بالقطبية وأصله حواري . ائماً يفة العبادة . في الاتقان ، دارست ، معناه قارات بلنة اليهود . المضيء بالعبادية . فارسي (٦٣) . سب بليسان اليهود(٦٤) .	ص : ١٧ ص : ٧ الرحمن : ٥٤ يوسف : ٦٥ الحج : ٤٠ هود : ٤٠ الاسراء : ٧ مریم : ٢٤ النساء : ٥١ البقرة : ٢٠٦ الأنبياء : ٩٥ الأنبياء : ٩٨ البقرة : ٥٨ آل عمران : ٥٢ النساء : ٢ الأنعام : ١٠٥ النور : ٣٥ آل عمران : ٧٥ البقرة : ١٠٤	١٨ ١٩ - الملة الأخيرة ٢٠ - بطائفها ٢١ - بمير ٢٢ - بيع ٢٣ - تصور ٢٤ - تشيرا ٢٥ - من تحتها ٢٦ - الجبت ٢٧ - جهنم ٢٨ - حرام(٦١) ٢٩ - حصب ٣٠ - حلطة ٣١ - حواريون ٣٢ - حوبا ٣٣ - درست ٣٤ - دري ٣٥ - دينار ٣٦ - رامنا

اللفة والمعنى	السورة ورقم الآية	الألفاظ
عبرانية أو سريانية .	المائدة : ٤٤ ، ٦٣	٣٧ - ريانيد
سريانية وهي بمعنى ريانيون (١٥) .	آل عمران : ١٤٦	٣٨ - ريون
عبراني وأصله بالغام المعجمة (٦٦) .	الفاتحة ومواضع كثيرة	٣٩ - الرحمن
اسم أعمجي ومعناه البشـ .	الفرقان : ٢٨	٤٠ - الرسـ
اللوح بالرومية وقيل الكتاب .	الكهف : ٩	٤١ - القيـم
هو تحرير الشفتين بالعبرية .	آل عمران : ٤١	٤٢ - رمـزا
أي سهلاً دشاً بلغة النبط وقال الواسطي أي ساكنـا بالسريانية .	الدخان : ٢٤	٤٣ - رهـوا
أعمجي : اسم لهذا الجيل من الناس .	الروم : ٢	٤٤ - الروـم
فارسي (٦٧) .	الانسان : ١٧	٤٥ - زنجـيل
بلغة العبشـة : الرجل . وقيل : الكتاب ، فارسي مـعـبـ (٦٨) .	الانبياء : ١٠٤	٤٦ - السـجـل
بالفارسـية ، أولها حـجـارة وأخرها طـين .	هود : ٨٢	٤٧ - سـجـيل
غير عـربـيـ (٦٩) .	المطففين : ٧	٤٨ - سـجـين
فارسي مـعـبـ وأصله بالفارسـية « سـراـدار » .	الكـهـفـ : ٢٩	٤٩ - سـرـادـار
وهو الدـهـليـزـ .	مـرـيمـ : ٢٤	٥٠ - سـريـ
نهر بالسريانية وقيل بالنبـطـية وحـكـيـ بالـيونـانـيةـ .	عـيسـىـ : ١٥	٥١ - سـفـرةـ
بالـنبـطـيةـ : القرـاءـ .	القـمـ : ٤٨	٥٢ - سـفـرـ
ذـكـرـ الجـوـالـيـقـيـ آنـهـ أـعـجـمـيـ (٧٠) .	الأـهـرـافـ : ١٦١	٥٣ - سـجـدـاـ
مـقـنـعـيـ الرـؤـوسـ ، بالـسـرـيـانـيـةـ .	التـحـلـ : ٦٧	٥٤ - سـكـراـ
السـكـرـ بـلـسـانـ العـبـشـةـ : الغـلـ .	الـانـسـانـ : ١٨	٥٥ - سـلـسـبـيلـاـ
قـيلـ : هو اـسـمـ أـعـجـمـيـ (٧١) .	النـورـ : ٤٣	٥٦ - سـنـاـ
قالـ السـيـوطـيـ : عـدـهـ الـحـافـظـ اـبـ حـجـرـ فيـ نـظـمـهـ .		
وـلـمـ أـقـتـ عـلـيـهـ لـغـيـهـ (٧٢) .		

اللفة والمعنى	السورة ورقم الآية	الالقاط
ذكر الشعالي في فقه اللغة أنه فارسي (٧٣) وقال الجواليني : هو رقيق الدبياج بالفارسية وقيل هو بالهندية .	الكهف : ٢١	٥٧ - سندس
أي زوجها بلسان القبط .	يوسف : ٢٥	٥٨ - سيدها
الحسن : بلسان العبشة .	الثين : ٢	٥٩ - سينين
بالتبطية : الحسن .	المؤمنون : ٢٠	٦٠ - سينام
تلقاء : بلسان العبشة .	البقرة : ١٤٤	٦١ - شطر
سريانية (٧٤) .	البقرة : ١٨٥	٦٢ - شهر
الطريق : بلغة الروم .	الفاتحة : ٦	٦٣ - الصراط
نبطية : بمعنى شققهن ، وقيل بالرومية بمعنى قطعن .	البقرة : ٢٦٠	٦٤ - فصرمن
بالعبرانية : كنائس اليهود ، وأصلها (صلوتا) .	الحج : ٤٠	٦٥ - صلوات
هو كقولك (يا محمد) بلسان العبشة ، وقيل : بالتبطية معناها يا رجل ، وقيل بلسان العبشة ايضاً .	طه : ١	٦٦ - طه
هو الكاهن بالعشبية .	البقرة : ٢٥٦	٦٧ - الطاغوت
معناه قصداً بالرومية .	الأعراف : ٢٢	٦٨ - طفنا
اسم الجنة بالعشبية وقيل بالهندية .	الرعد : ٢٩	٦٩ - طوبى
هو الجبل بالسريانية وقيل بالتبطية .	المؤمنون : ٢٠	٧٠ - طور
معرّب معناه ليلاً ، وقيل : هو رجل بالعبرانية .	طه : ١٢	٧١ - طوى
معناه قتلت بلغة النبط .	الشعراء : ٢٢	٧٢ - عبادت
جنت مدن هي : جنات الكروم والأعناب بالسريانية وقيل : بالرومية .	التوبه : ٧٢	٧٣ - عدن
بالعشبية وهي المسنة التي يجمع فيها الماء ثم ينشقق (٧٥) .	سبأ : ١٦	٧٤ - العرم

اللفة والمعنى	السورة ورقم الآية	الإفاظ
نقش ، بلغة العيشة . هو البارد المتنق بلسان الترك ، وقيل : بالطخارية (٧٦) .	هود : ٤٤ جن : ٥٧	٧٥ - غيفن ٧٦ - غسّان
البستان ، بالرومية (٧٧) ، وقيل الجنة ، وقيل : الكرم بالنبطية وأصله (فرداًساً) وقيل : بالسريانية ، وقال الجوالبي : الفردوس بالسريانية ، وقيل : بالرومية .	الكهف : ١٠٢	٧٧ - فردوس
الخنطة بالعبرية . قال الجوالبي : يقال : إن العطاس أصله غير عربي (٧٨) .	البقرة : ٦١ الأنعام : ٩١	٧٨ - فوم (فومها) ٧٩ - قراطيس
المدل : بالرومية . بلغة الروم : المزان (٧٩) .	آل عمران : ١٨ الإسراء : ٣٥	٨٠ - قسط ٨١ - القسطلans
الأسد : بالعبيدية . معناه كتابنا : بالنبطية .	المدثر : ٥١ ص : ١٦	٨٢ - قصورة ٨٣ - قطانا
فارسي معرب (٨٠) . هو الدبّا بلسان العبرية والسريانية .	محمد : ٢٤ الأعراف : ١٣٣	٨٤ - قفل (أفالها) ٨٥ - قمئ (والتعل)
ذكر الشلبي في فقه اللغة (٨١) ، أنه بالرومية اثنا عشر ألف اوية . وقال التخليل : زعموا أنه بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً أو فضة . وقال بعضهم : أنه بلغة ببرير الت مثقال ، وقال ابن قيمة ، قيل : أنه ثمانية آلاف مثقال ، بلسان أهل افريقيا	آل عمران : ٧٥	٨٦ - قنطر
هو الذي لا ينسى بالسريانية . قيل : انه فارسي معرب ، ذكره الشاعبي (٨٢)	البقرة : ٢٥٥ الدمر : ٥	٨٧ - العيّوم ٨٨ - كافورا
معناه : امعنا بالنبطية وقيل بالعبرانية حما عنهم .	محمد : ٢	٨٩ - كفتر

اللفة والمعنى	السورة ورقم الآية	الإفاظ
ضمفين بالعربية .	الجديد : ٢٨	ـ٩٠ كثلين
ذكر الجواليفي أنه فارسي معرّب(٨٣) .	الكهف : ٨٢	ـ٩١ كنز
غورت بالفارسية .	التكوين : ١	ـ٩٢ كورت
هي النخلة ، قال الكلبي : لا اعلمها الا بلسان يهود يشرب .	العاشر : ٥	ـ٩٣ لينة
بلسان الع بشي يسمون الترنج متكا . وقال الواسطي : هو الآخرنج بلقة القبط(٨٤) .	يوسف : ٢١	ـ٩٤ متكا
ذكر الجواليفي أنه أعمجي(٨٥) .	الحج : ١٧	ـ٩٥ الموس
قيل : انه أعمجي(٨٦) .	الرحمن : ٥٨، ٢٢	ـ٩٦ مرجان(والمرجان)
ذكر الشاعلي في فقه اللغة انه أعمجي(٨٧) .	المطففين : ٢٦	ـ٩٧ مسك
الكوة ، بلقة العيشة .	النور : ٣٥	ـ٩٨ المشكاة
مفاتيح بالفارسية .	الزمر : ٦٣	ـ٩٩ مقاليد
مكتوب : بلسان العبرية .	المطففين : ٩	ـ١٠٠ مرقوم
قليله ، بلسان المجم ، وقيل : بلسان القبط .	يوسف : ٨٨	ـ١٠١ مزاجة
هو الملك ، بلسان النبيط ، وقيل : اسم أعمجي .	الأనعام : ٧٥	ـ١٠٢ ملکوت
معناه : فرار بالنبطية .	ص : ٣	ـ١٠٣ مناص
العصا بلسان العيشة .	سباء : ١٤	ـ١٠٤ منشأة (منشأته)
قيل : هو عكر الزيت بلسان أهل المغرب ،	الكهف : ٢٩	ـ١٠٥ مهل
وقيل : بلقة البربرين .		
ستائة بلسان العيشة .	المزمول : ١٨	ـ١٠٦ منظر
قيام الليل بالعشية .	المزمول : ٦	ـ١٠٧ ناشطة الليل
فارسي اصله آتون ، ومعناه : اصنع ما شئت .	ن : ١	ـ١٠٨ ن
معناه تبنا بالعبرانية .	الأعراف : ١٥٦	ـ١٠٩ مدننا
الهود : اليهود ، أعمجي .	البقرة : ١١١	ـ١١٠ هود

اللفة والمعنى	السورة ورقم الآية	الاقصاظ
حكماء بالسريانية ، وقيل بالعبرانية حلما . علم لك بالنبطية ، وقيل : بالسريانية ، ومن عكرمة هي بالعورانية ، وقيل : بالعبرانية ، وأصله (هينلخ) أي تعاله . معناه أمام النبطية .	الفرقان : ٦٣ يوسف : ٢٣	١١١ - هَوْنَ (هَوْنَا) ١١٢ - هَيْتَ لَكَ
ذكر الجوالبي أناها غير عربية(٨٨) . هو العيل والملجا بالنبطية .	الكهف : ٧٩ الرحمن : ٣٧	١١٣ - وَرَاءَ (وَرَاءُهُمْ) ١١٤ - وَرَدَةَ
ذكر الجوالبي والشمالي واخرون انه فارسي(٨٩) . بللة العيشة : يرجع . يا انسان بالعشبية ، وقيل : يا رجل . يضجّون ، بالعشبية .	القيامة : ١١ الرحمن : ٥٨	١١٥ - وَزَرَ ١١٦ - يَاقُوتَ (الياقوت)
بنجع ، يلسان أهل المغرب . البعر بالسريانية ، وقيل بالعبرانية ، وقيل بالقبطية .	الانشقاق : ١٤ يس : ١ الزخرف : ٥٧	١١٧ - يَحُورَ ١١٨ - يَسَ ١١٩ - يَصُدُورَ
قال الجوالبي : أميغي معرّب ، منسوبيون الى يهودا ابن يعقوب ، قعرّب باهمال الدال .	الحج : ٢٠ طه : ٢٩	١٢٠ - يَصَهُرَ ١٢١ - الْيَسَمَ
	البقرة : ١١٣	١٢٢ - الْيَهُودَ

وذكر السيوطي في آخر كتابه منظومة للقاضي تاج الدين السبكي تضمنت سبعة وعشرين لفظة فتال في مطلعها :

السلسييل' وطَهَ كُنُورَتَ بِيَسَعَ . . . روم' وطوبى وسجَّيل' وكافسور' . . .
 والتنجبيل' ومِشكَاه' سرادق' صلوات' سندس' طُور' . . .
 الخ هذه المنظومة ، وقد ذيل عليها الحافظ ابن حجر بآيات فيها أربعة وعشرون لفظاً قال فيها :
 وزدت حزم ومنهل والسجل كذلك
 السري والأب' ثم العينت' مذكور'
 دارسته يصهر' منه فهو مصهور'
 ولطنا وإنباء ثم متكتأ'

ثم ذيل السيوطي عليها بباقي الألفاظ فتمت أكثر من مائة لفظة .
قال السيوطي :

وَذَدِيتِ يَسْ وَالرَّحْمَنْ مَعْ مَلْكُوْ
ثُمَّ سِينِينْ شَطَرَ الْبَيْتِ مَشْطُورُ
ثُمَّ الصَّرَاطُ وَدَرَيْ^٣ يَحُورُ وَمَرْ
جَانْ وَنَمْ مَعَ الْقِنْطَارِ مَذْكُورُ^(١٠)

□ منهج السيوطي في المذهب :

ويتمثل منهج السيوطي في كتابه (المذهب) بذكر الكلمة ثم بشرح معناها ذاكراً اللغة التي جامـتـها ، مستنداً القول إلى صاحبه ، والى الكتاب الذي نقل عنه .

فمثلاً كلمة (اسفارا) / الجمعة : ٥ / يقول : « قال الواسطي في (الارشاد) هي الكتب بالسريانية، وقال الكرمانى في (غرائب التفسير) مسي نبطى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عبدالمعزيز بن منيب ، حدثنا أبو عبيدة من الفحـاكـ في قوله تعالى « يحمل أسفاراً ۖ ۖ ۖ » قال : كتابـوـ الكتابـ : بالتنبـطـية يسمـى سـفـراً^(١١) .

ومنـدـ لـفـظـةـ « سـرـادـ » (الـكـهـفـ : ٢٩) . يقول : قالـ الجـوـالـيـقيـ : فـارـسـيـ مـرـأـبـ ، وـأـصـلهـ بالـفـارـسـيـةـ « سـرـادـ » وـهـوـ الدـهـلـيـ .

وقالـ خـيـرـهـ : الصـوابـ أـنـهـ بـالـفـارـسـيـةـ « سـرـابـرـدـ » أـيـ سـتـرـ الدـارـ .

وقـالـ الـرـاهـبـ : « سـرـادـقـ فـارـسـيـ مـرـأـبـ » ، وـلـيـسـ فـيـ كـلـامـهـ اـسـمـ مـفـرـدـ ثـالـثـةـ اـلـفـ وـبـمـدـهـ حـرـفـانـ^(١٢) .

وـأـيـاـنـ يـنـسـبـ السـيـوـطـيـ الـكـلـمـةـ الـواـحـدـةـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ لـفـةـ ، فـنـيـ كـلـمـةـ « سـنـدـسـ » (الـكـهـفـ : ٤١) .
هـوـ يـنـقـلـ مـنـ الـأـنـثـاءـ أـنـهـ بـالـسـرـيـانـيـةـ وـالـهـنـدـيـةـ فـيـقـوـلـ : ذـكـرـ الـتـالـيـلـيـ فـيـ قـصـةـ اـلـفـةـ اـنـهـ فـارـسـيـ ،
وـكـذـلـكـ قـالـ الجـوـالـيـقيـ ، هـوـ رـقـيقـ الـدـيـبـاجـ بـالـفـارـسـيـةـ . وـقـالـ الـلـيـلـ : لـمـ يـخـتـلـفـ أـمـلـ الـلـفـةـ
وـالـمـفـسـرـونـ فـيـ أـنـهـ مـرـأـبـ . وـقـالـ شـيـذـلـةـ : هـوـ بـالـهـنـدـيـةـ^(١٣) .

وـكـذـلـكـ الـأـمـرـ بـالـسـبـبـ لـكـلـسـةـ « سـرـيـ » ، فـقـدـكـرـ أـنـهـ بـالـسـرـيـانـيـةـ وـالـنـيـطـيـةـ وـالـيـونـانـيـةـ فـقـالـ :
« قـالـ اـبـنـ جـرـيرـ : حدـثـنـاـ العـارـثـ بـنـ الـعـسـنـ ، حدـثـنـاـ رـقـامـ عـنـ أـبـيـ نـجـيمـ مـنـ مـجـاهـدـ سـرـيـاـ » (مرـيمـ : ٢٤) .
قـالـ : نـهـرـاـ بـالـسـرـيـانـيـةـ ، وـعـنـ سـعـيدـ بـنـ جـبـيرـ : بـالـنـيـطـيـةـ ، وـحـكـيـ شـيـذـلـةـ : أـنـهـ بـالـيـونـانـيـةـ^(١٤) .

وـأـمـاـ مـاـ يـؤـخـدـ عـلـىـ كـتـابـ السـيـوـطـيـ المـهـدـبـ فـهـوـ حـشـدـهـ هـذـاـ الـكـمـ الـكـبـيرـ مـنـ الـأـلـفـاظـ وـنـسـبـتـهـاـ إـلـىـ
غـيرـ الـمـرـبـيـةـ مـتـبـيـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـهـجـهـ فـيـ النـقـلـ وـالـسـتـيـمـ وـالـجـعـ فـتـسـامـحـ فـيـ نـسـيـةـ عـدـدـ غـيرـ قـلـيلـ مـنـ الـأـلـفـاظـ
إـلـىـ غـيرـ الـمـرـبـيـةـ مـعـ أـنـهـ مـاـ يـقـطـعـ إـلـىـ عـرـبـيـةـ فـصـيـحـةـ .

فـكـلـمـةـ (شـطـرـ) الـتـيـ نـقـلـ أـنـهـ حـبـشـيـةـ وـمـعـنـاـهـ تـلـقـاءـ^(١٥) هـيـ مـرـبـيـةـ فـصـيـحـةـ ، وـقـدـ أـكـدـ الـأـمـامـ
الـشـافـعـيـ الـذـيـ كـلـاـهـ لـفـةـ يـتـعـجـ بـهـ^(١٦) . عـلـىـ عـرـبـيـتـهـاـ فـقـالـ فـيـ رـسـالـتـهـ : « وـشـطـرـ » جـهـتـهـ فـيـ كـلـامـ

العرب ، اذا قلت : أقصد شطر كذا معروف أنك تقول : أقصد قصد مين كذا ، يعني : قصد لكي كذا وكذلك « تلقاءه » ، أي : مستقبل تلقاء وجهه ، وان كلها معنى واحد ، وان كانت بالفاظ مختلفة » (١٧) .

ثم يأتي بالشواهد على ذلك من كلام العرب: فيقول : وقال خفاف بن ندية :

الا من مبلغ عمرنا رسولـا وما تفني الرسالة شطر عمرـو

وقال ساعدة بن جويـة :

اقـول لـم زـنـبـاع الـيـمـيـي صـلـورـعـيـسـشـطـرـبـنـيـتـبـيـسـ

وغير ذلك من الشواهد . ثم يقول الامام الشافعي: « وهذا كلـه - مع غيره من اشعارهم يـبيـنـ انـ دـشـطـرـ الشـيـءـ قـصـدـ مـينـ الشـيـءـ » (١٨) .

وكلـ ما تقدم يـبيـنـ انـ الـكـلـمـةـ عـرـبـيـةـ أـصـيـلـةـ وـلـيـسـ مـنـ الـمـرـبـ الـذـيـ دـخـلـ إـلـىـ الـلـغـةـ ،ـ فـنـسـبـةـ مـثـلـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ إـلـىـ الـعـجـمـةـ غـيرـ صـحـيـحـ .ـ

وكذلك الشأن بالنسبة لكلمة (ابلي) في قوله تعالى : « يا ارض ابلبي مامك » (موه : ٤٤) .
فقد نقل السيوطي أنها بالبشية ومنهاها ازدرية ونسبها ثابتة الى الهندية ومعناها اثربى (١٩) .

وهذا اللقطه هرمي أصل شان مائر الانفاظ العربية وتركيبه المركب هرمي
أصل، نسبة هذه اللقطة الى البشية او الهندية تعكم بغير دليل مقبول . فقد ذكر ائمه اللغة
كالمورسي وابن منظور هذه الكلمة في معاجمها فقال في لسان العرب : « بلغ الشيء بلما وابتله
وبتلعه وسرطه سرطا : جرمه ، والبلعة من الشراب : كالجرعة ، وبلغ الطعام وابتله : لم يمضه وابتله
غيره ... » (٢٠) وهذا ما يؤكـدـ نسبةـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ إـلـىـ الـلـغـةـ الـمـرـبـيـةـ ،ـ وـاـنـهـ فـصـيـحـ بـيـنـهـ .ـ

وكذلك كلمة « يحور » من قوله تعالى : « إنه ظن النّي يحور » (الإنشقاق : ١٤) . فقد
نقل السيوطي عن ابن الجوزي الحور : الرجوع بلغة العبرة (٢١) . وأكد ذلك بما روى عن نافع
ابن الأزرق أنه سأله ابن عباس من قوله تعالى : « إنه ظن النّي يحور » قال : النّي يرجع بلغة
العبرة (٢٢) . ثم أتى ياذلة أخرى من الأئمة بعييناً لذلك . ونونن لا ننكر هذا المعنى أو وقوعه
في البشية، ولكننا ننكر نسبة اللقطة الى البشية، لأن هذه اللقطة مستعملة في العربية منذ القدم ،
فقد جاء في لسان العرب قوله « الحور » الرجوع عن الشيء والى الشيء ، صار الى الشيء وعنه
حوراً ومحارة ومحراراً : رجع عنه واليه وكل شيء تغير من حال الى حال فقد صار يحور
حوراً ، قال لييد :

ومـاـ الـمـاءـ إـلـاـ كـالـشـهـابـ وـحـنـونـهـ يـحـورـ رـمـادـاـ بـعـدـ إـذـ هوـ سـاطـعـ (٢٣)

وقد استشهد بهذا البيت ابن عباس (رضي الله عنه) عندما سأله ابن الأزرق : وهل تعرف
المرء ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول الشاعر وذكر البيت (٢٤) .

فالكلمة اذا مستعملة بهذا المعنى في العامية، ووجودها في العبيشية بنفس المعنى امر جلي لكونها لغة سامية كالعربية وهذا مصدق ما ذكره أصحاب الرأي الأول من القول بتوافق اللغات، اذ لا يعني ذلك ان احدى اللغتين قد نقلت الكلمة عن الأخرى ٠

وما يؤخذ على السيوطي ايضاً نسبة بعض الكلمات الى المعجم بدون تحديد ماهية هذه اللغة مكتفياً بنقله من الآئمة ، فمثلاً نقل عن الجواهري قوله « سلسيلاً » انه اسم اعجمي (١٠٥) ٠ وكذا الأمر في كلمة « سقر » فقد نقل عن الجواهري ايضاً أنها اعجمية بدون أن يحدد اللغة التي وردت فيها (١٠٦) ٠ وأحياناً يصرح بأن هذا اللفظ النسوب الى المعجم لم يقت عليه عند غير من نسبة اليه (١٠٧) ٠

ولكن الذي يدفع للسيوطى في ذكره ذلك انسياقه وراغمه منه في الجمع والاستيعاب مع دقة المزو وأمانة النقل ، فهو ينسب كل قول لقائله بأمانة ويدرك أن بركة العلم نسبة الى قائله ، وقد اعتمد السيوطي في كتابه هنا على عدد من المصادر منها الارشاد للواسطى ، والبحر المحيط لأبي حيان ، والبرهان لشيدلة ، والزينة لأبي حاتم اللغوى ، والمجائب لكرمانى ، وفقه اللغة للشعابى ، وفتون الأفنان لأبن الجوزى ، ولغات القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والمحتسب لأبن جنوى ، والمصنف لأبن أبي شيبة ، والمترقب للجوهري ، والمرفات للراconte الأصفهانى ٠

★ ★ ★

وقبل أن ننهى البحث لا بد من الاشارة الى أن للسيوطى كتاباً آخر في الموضوع نفسه سماه « المتوكلى فيما ورد في القرآن باللغة العبيشية والفارسية والهندية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية » ٠

وقد طبع الكتاب عدة طبعات في دمشق والقاهرة والباكستان وأخيراً صدر بتحقيق الدكتور عبدالكريم الزبيدي وطبع في دار البلاغة بيروت سنة ١٩٨٨ م . ويبعد أن هذا الكتاب قد اثراه السيوطي بعد تاليفه كتاب (المذهب فيما وقع في القرآن من المعرف) لأنه لم يرد ذكره في فهرس مؤلفاته أو في حسن المحاضرة او في كتابه الاتقان الذي ذكر فيها « المذهب » ٠

ويبدو أيضاً أن الخليفة المتوكلى على الله عبد العزيز المتوفى سنة ٩٠٣ هـ صديقه اطلع على كتاب المذهب المرتقب على حروف المجم فلم يعجبه، فأصدر أمره الى السيوطي بأن يؤلف له مؤلفاً فيه الألصاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر الصحابة والتاتبعون أنها بلغة العبيشة أو الفرس أو غيرهم ، فبادر إلى امثال أمره وأتى به هذا الكتاب الذي رتب فيه الالصاظ على أسامي اللغات، فبدأ بذكر ما ورد في القرآن بلغة العبيشة ، ثم ما ورد في القرآن بلغة الفرس ثم ذكر ما ورد في القرآن بالرومية ، ثم ذكر ما ورد في القرآن بالهندية ثم بالسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية . وختم الكتاب بذكر ما ورد في القرآن بالبربرية . وسماء بالمتوكلى نسبة إلى الخليفة المتوكلى على الله ، وقد اقتدى السيوطي في ذلك بآبي يكر الشاشي الذي أتى كتاباً في الفقه باسم الغليفة المستظاهر بالله وسماء (المستظاهري) ، وبامام العرمين حيث أتى كتاباً في الفقه باسم الوزير غياث الدين نظام الملك وسماء (الغياثي) وغيرهم من فعل ذلك . يقول السيوطي « فركبت جوادهم ، وسلكت جوادهم » (١٠٨) ٠

وقد ذكر السيوطي أنه اختصره من كتابه المبسوط المسالك الذي هو الدر المنشور في التفسير المأثور «١٠٩».

وقد استهل السيوطي كتابه هذا بمقيدة قصيرة ذكر فيها سبب تأليف الكتاب وتسبيبته كما ذكرنا سابقاً، ثم ذكر أدلة الفائزين بوقوع المرء في القرآن الكريم - والسيوطى واحد منهم - فقط دون ذكر آراء الخالفين . ثم بدأ بذكر ما ورد في القرآن بلغة العبيشة الخ . . . وقد سلك في كتابه هذا نفس السبيل التي سلّكها في كتابه المهدى ، مكتفياً بسرد هذه الألفاظ مورداً النقول التي تعرّوها إلى لغة من اللغات دون تدخل أو ترجيح أو تعليق متبعاً في ذلك منهجه التقلي وعقليته العدائية ، وقد حدد في مقدمته ذلك بأن يذكر من الألفاظ « ما ذكر الصحابة والتابعون أنها بلغة العبيشة أو الفرس أو غيرهم مما سوى العرب » (١١٠) .

وقد جمع السيوطي في كتابه هذا حوالي (١٢٤) لفظة عدا المكررات . موزعة بين اللغات التي ذكرها : فنسب للعبيشة (٢٨) لفظاً ، وللفارسية (٢٩) لفظاً ، وللرومية (٤٩) الفاظ ، وللهندية (٣) الفاظ ، وللسريانية (١٩) لفظاً ، وللعبرانية (٢٠) لفظاً ، وللنبطية (٢٢) لفظاً ، وللتقطيطية (٧) لفظاً ، وللتراكية (١) لفظة واحدة ، وللزنجبية (٣) لفظاً ، وللبربرية (٧) لفظاً . وبعض هذه الألفاظ قد تكرر أكثر من مرة وفي أكثر من لغة ، وذلك استناداً إلى اختلاف الروايات الواردة فيها اللفظة ولم يعلق السيوطي على ذلك بشيء ، فهو يصدق الحديث عن السريانية يورد لفظة (الفردوس) وذلك باسناد عن ابن عباس من كتب الأحاديـر ، ثم لا يثبت أن يوردهما بين ما ورد بالنبطية ويعزو ذلك إلى السري ، وقد أوردهما من قبل بين الكلمات التي جاءت بالرومية ، ونقل ذلك عن مجاهد .

وكذلك كرر لفظة (ابلمي) مرتين ، أحدهما فيما ورد في القرآن الكريم بالعبيشة والأخر فيما ورد في القرآن بالهندية ، وكرر لفظة (اسفار) فيما ورد في السريانية والنبطية . و (قتطار) ذكرها في ثلاثة لغات فيما ورد في القرآن بالرومية والسريانية والبربرية و (الييم) ذكرها فيما ورد في القرآن بالسريانية والعبرانية والنبطية . إلى غير ذلك من الفاظ كررت في أكثر من لغة متمنداً في ذلك على الروايات التي نقلتها .

وهناك الفاظ ذكرها السيوطي في المهدى ولم يذكرها في الموكلي منها (ستا) و (سلسيبل) و (سيتدنا) وهذه الكلمات لم ينسها في المهدى إلى أي لغة بل نقل أنها أعمبية أو أنها لا تعرف في لغة العرب ، ومنها (تون) فقد أورد في المهدى عن الكرمانى أنها فارسية (١١١) .

وقد اعتمد السيوطي في تأليفه الموكلي على مجموعة من كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن ، والحديث والمرء ولغات القرآن والله وفهمها ذكرتها في مصادره في كتاب المهدى .

وما نأخذه على السيوطي في كتابه هذا هو ما أخذناه على كتابه السابق المهدى من انسياقه وراء مذهبة في الجمع والاستيعاب ونسبة كثير من الألفاظ إلى لغات غير عربية مجرد وجودها في تلك اللغات ، إذ ليست تلك اللغات باولى من اللغة العربية في تسبتها إليها ، وليس مجرد التشابه في الصيغ والأصوات في اللغات التي ترجع إلى أصل واحد دليلاً على نقل أحدهما عن الآخر .

وأخيراً :

جزى الله تعالى خيراً الإمام السيوطي في تبييه لهذه الألتفاظ الموجودة في تلك اللئات واستيعابها وترتيبها وتنظيمها وتاليتها في هذين المؤلفين ، اللذين لم يجتمع قبلهما في كتاب .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

« محمد يوسف الشريجي »
كلية الشرفية - جامعة دمشق

* * *

□ العواشي :

- ١- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وانواعها ، تحقيق محمد حماد حماد المولى وأخزان (ط عيسى الباجي العلبي ، مصر) ٢٦٦/١ . وانظر القوتوسي ، البلقة في أصول اللغة ، تحقيق نذير متكي (ط دار البشائر الإسلامية ، بيروت : ١٩٨٨) م) ص ١٧٥ .
- ٢- الجوهرى ، المصباح ، تحقيق احمد عبدالفغور عمار (ط ٣ دار العلم للملائين) ، بيروت : ١٩٨٤ م) ١٧٨/١ (عرب)
- ٣- الشهاب الغجاجى ، شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل ، تحقيق عبدالمنعم خفاجي (ط المطبعة المنورية ، القاهرة : ١٩٥٢) م) ص ٢٣ .
- ٤- الإمام الشافعى ، الرسالة ، تحقيق احمد محمد شاكر، ص ٤٠-٤٢ . (بتصرف يسمى) .
- ٥- الرسالة : ٤٤ .
- ٦- هكذا ابتهأ الشیعی احمد شاکر محقق الكتاب استناداً الى لغة الإمام الشافعی العجازیة .
- ٧- الرسالة : ٤٥ .
- ٨- الرسالة : ٤٧ .
- ٩- الطبری ، جامع البيان عن تاویل آی القرآن ، تحقيق احمد ومحمد شاکر (ط دار المعارف ، مصر) ١٥/١ .
- ١٠- جامع البيان : ٧١/١ .
- ١١- ابو عبيدة ، مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد سجزین(ط مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨١) ١٧/١ ، ونقله منه ابن هارس في الصاحبی في لغة اللغة ، تحقيق مصطفی الشویعی (نشر المكتبة المنقوية العربية ، بيروت ١٩٦٣ م) ص ٤٤ والحوالیقی ، في المغرب من الكلام الاصمعی ، تحقيق محمد شاکر (ط ٢ ، دار الكتب المصرية : ١٩٦٩) م) ص ٥٧ ، والسيوطی في المهلب فيما وقع في القرآن من المغرب ، تحقيق التهامی الراجحی الهاشمي ، ط المقربی) ص: ٥٨ .
- ١٢- مجاز القرآن : ١٧/١ .
- ١٣- الصاحبی : ٦٢ ، وانظر المهلب : ٥٨ .

- ١٤- مقدمة الشيخ شاكر على المغرب للجواليقي ص ١١
- ١٥- المصدر السابق : ١٣
- ١٦- نشر هذا البحث في مجلة كلية الشريعة بجامعة المكرمة ، العدد الثاني
- ١٧- ابن الجوزي، فنون الأفان، بتعليق د. حسن ضياء الدين هتر (ط ١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت : ١٩٨٧ م) ص ٣٤٢ - ٣٣٤
- ١٨- الزركشي، البرهان في علوم القرآن . تحقيق د. يوسف المرعشلي وأخوان (ط دار المعرفة ، بيروت: ١٩٩٠) ٣٨٣/١
- ١٩- ابن فارس: الصاحبي ٦٠ ، والجواليقي ، المغرب من الكلام الأعجمي ، بتعليق الدكتور ف. عبد الرحيم (ط دار القلم ، دمشق : ١٩٩٠ م) ص ٩٧ . وانظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن : ٣٨٧/١ ، والمزهر : ٣٦٨/١
- ٢٠- السيوطي، المهدب : ٦٠ وانظر د. عبدالجليل عبدالرحيم، لغة القرآن الكريم (ط مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان : ١٩٨١ م) ص ٢٠٥ . والقنوجي البنتنة في أصول اللغة، تحقيق تذير محمد مكتبي (ط دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٩٨٨) ص ٧٨ . وقال الشوكاتي : ومثل هذا لا يقع فيه خلاف ، والعجب من نقاء (أي وقوع المغرب في القرآن) انظر ارشاد الفحول (ط دار المعرفة، بيروت : ١٩٧٤ م) ص ٣٢
- ٢١- المهدب : ٦٢-٦١ ، وانظر الاقنان : ١/ ٤٢٩-٤٢٩ .
- ٢٢- المسلمين السابقين .
- ٢٣- د. رمضان عبد القواوب ، فضول في فقه العربية (نشرمكتبة الفاتحجي، القاهرة . ودار الرفاهي ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٣ م) ص ٣٦٣
- ٢٤- (أخبار العالم الإسلامي) ص ٢ - ٣ (يتصرف بضم)
- ٢٥- نشر في مجلة أخبار العالم الإسلامي التابعة لرابطة العالم الإسلامي السعودية ، العدد ١١٦٢ ، ٢٢ شعبان ١٤١٠ هـ
- ٢٦- المصاوي: ٦٠ ، والمغرب : ٥٣ ، وانظره في فنون الأفان : ٣٤٦-٣٤٣ . والبرهان : ٣٨٧/١ ، والمهدب : ٦٥ ، والاقنان : ١/ ٤٣٠-٤٣٠
- ٢٧- د. طاهر سليمان حمودة ، جلال الدين السيوطي ، عصره وحياته وآثاره ، وجهوده في الترس التفسيري (ط المكتب الإسلامي ، بيروت : ١٩٨٩ م) ص ١٩١
- ٢٨- وردت هذه الآية في سورة العجر أيضا آية ٧٤ . وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، وفي سورة الفيل آية ٤ « ترميمهم بحجارة من سجيل » .
- ٢٩- المهدب فيما وقع في القرآن من المغرب : ٦١-٦٠ وانظر الاقنان : ٤٢٨/١ والسيوطى ، المتوكلى فيما ورد في القرآن من اللغة العbeschية الخ ٠٠٠ تعيق د. عبدالكريم الزبيدي (ط دار البلاغة ، بيروت ١٩٨٨ م) ص ٣٦
- ٣٠- المهدب : ٦٢ . وانظر الاقنان : ١/ ٤٢٩-٤٢٩ .
- ٣١- وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم أربع مرات في / الكهف : ٣١/ و / السخان : ٥٣/ و / الرحمن : ٥٤/ و / الإنسان : ٢١/
- ٣٢- المهدب : ٦٤ ، وانظر الاقنان : ١/ ٤٣٠-٤٣٠ .
- ٣٣- انظر القنوجي ، أبيد العلوم ، أعداد: عبد الجبار زكار (ط وزارة الشفاعة بدمشق ١٩٨٨ م) ٢٠٧/٢
- ٣٤- السيوطى ، المهدب : ٦٠ ، والاقنان : ٤٢٨/١ ، وقد أكد السيوطى موقفه ورد على مخالفيه في كتابه الإكليل في استنباط التأثير (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : د.ت.) ص ١٩٠ ، حيث قال في مؤلفه (اعجمي وعربي) استند به من من وقوع المغرب في القرآن ، وهو استدلال مردود ، لأن المعنى من السياق : كلام اعجمي ومخاطب هربي ، وقد فسره كذلك ابن عباس وعمرو وسعيد بن جعفر وغيرهم لكن قالوا (ونبي هربي) .

- ٣٥- الصاحبي : ٢٩ - ٣٠
- ٣٦- الاقناء : ٤٢٨-٤٢٧ / ١
- ٣٧- ابن علية ، المفرد الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق احمد صادق الملاج (ط القاهرة: ١٩٧٤) / ١ (م) ٦٩-٧٠
- ٣٨- والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ط دار احياء التراث العربي ، بيروت : ٦٩/١ ، وانظر البرهان : ٣٨٦-٣٨٧ / ١)
- ٣٩- المقرب : ٥٣
- ٤٠- ابن عباس ، رواية ابي حتون ، المؤلفات في القرآن ، تحقيق د. صلاح الدين المتبد (ط ٢ دار الكتاب الجديد ، بيروت : ١٩٧٧) (م) ص : ١٦
- ٤١- المصدر السابق : (القديمة) ص : ٩
- ٤٢- الطبرى ، جامع البيان : ١٧ ، المقدمة (ط شاكر)
- ٤٣- المذهب ، بتحقيق التهامي الرايجي ، ص ١٦٨
- ٤٤- المرجع السابق : ١٦٨
- ٤٥- تلمس عقلية الامام السيوطي العدبية في التأليف في كثير من كتبه ، فهو ينسب كل قول الى قائله والكتابياني نقل عنه من ذلك على سبيل المثال كتابة الاشباء والنظائر النعوية والزهر وكتابها هذا
- ٤٦- المذهب : بتحقيق التهامي ص : ٥٧
- ٤٧- حتى ذلك الشهابي في فقه اللغة (ط الدار العربية للكتاب ، ليبيا وتونس : ٩٨١) (م) ص: ٢١٦ ضمن فصل سماء في سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب ، فاضطررت العرب الى تعربيها او تركها كما هي
- ٤٨- في الصبح (زور) زوره المقدمة بالكسر يزوردها زورا ، اي يلغوها ، والازدراد : الابتلاء ، وشائخ الى هذا الكتاب فيما بعد يعرف (ص) لاختصار (ط دار العلم للملايين) ٠
- ٤٩- في القاموس المعجم (خلد) اخلد اليه ماء وسعشه الى هذا الكتاب يعرف (ق) ٠
- ٥٠- في لسان العرب (ازر) : ازد اسم اعمي وهو اسم ابي ابراهيم ، وقيل: هو ذم في لقائهم كانه قال: واذ قال ابراهيم لايه الغاطي ، (لسان العرب : ط دار المارق، مصر) وساميء الى هذا الكتاب فيما بعد يعرف (ل) لاختصار ٠
- ٥١- في (من) الاستبرق : الديباج الغليظ ، فارسي معرب وتصفيه ، ابيق ، وانظر (ل) (برق) ٢٦٣/١
- ٥٢- فنون الالفان - ص: ٣٥٠
- ٥٣- ل : (الل) ١١٢ قال ابن منظور : والآن : المهدوالخلف ، ورد على من قال انه من اسماء الله من وجل بقوله وهذا ليس بالوجه لأن اسماء الله تعالى معروفة كما جاءت في القرآن وتثبت في الاخبار قال : ولم تسمع الداعي يقول في المعاء يا إل كما تقول : يا اش اخ ٠ وهذا منقول عن الفراء ٠
- ٥٤- فنون الالفان - ص: ٣٥١
- ٥٥- ذكره الزركشي في البرهان : ١٣٨٥ (ط دار المعرفة ، بيروت) ويسمون الاولى الاخرة ٠
- ٥٦- المصدر السابق
- ٥٧- ل : البيعة بالكسر : كنيسة النصارى (بيع) ٤٠٧/١
- ٥٨- فقه اللغة : ٣١٦

- ٥٨- من : (تبر) التبار : الهلاك وتبره تتبيرا ، اي كسره وأهلكه ٦٠٠/٢ وانظر ق : (تبر) ايضا .
 ٥٩- وقد تكررت هذه اللقطة في القرآن سبعة وسبعين مرة .
- ٦٠- ل : (جهنم) ٧١٥/١ قال ابن منظور : بئر جهنم وجهنمان يكسر الجيم والهاء بعيدة القراءة وبه سميت جهنم بعد قرارها ،
 وقال الجوهري : جهنم من اسماء النار التي يطلب الله بها عباده ، ويقال : هو فارسي مغرب . (جهنم) ١٨٩٢/٥
- ٦١- في الانقاذ « حرم » وهي قراءة شاذة .
- ٦٢- ل : (حطط) العط : الوضع ، وفي (ص) خط الرجل والرح : اي نزل .
- ٦٣- حكاية الشاعري في فقه اللغة : من ٣٣٦ وقال ابن منظور : الدليل فارسي مغرب واصله دنار بالتشديد بدليل قوله
 دنانير ، وهو مما تكلمت به العرب فصار عربيا . ل (دنر) ١٤٣٢/٢
- ٦٤- من (رعن) الرعونه : الحق والاسترخاء . ٢١٤٢/٥
- ٦٥- ل (رب) الربانيون : العلماء بالخلال والغرام والأدر والنبي قال أبو عبيد : واحسب الكلمة ليست بعربية إنما
 هي غيرانية او سريانية وذلك ان ابا عبيدة ذمم ان العرب لا تعرف الربانيين ، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم ،
 ١٥٤٣/٣
- ٦٦- ل : (رحم) الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وهو اسم من اسماء الله عز وجل مذكور في الكتاب الأول ١٩٦٢/٢
- ٦٧- ل (زنبيل) الزنجيل : مما ينتفي في بلاد العرب بارض عنstan وهو عروق تسمى في الأرض ، وبناته شبيهة ببنات
 الراسين ، والعرب تصنف الزنجيل بالطيب ١٨٧٠/٣
- ٦٨- من (سجل) السجل : الصك ١٧٢٥/٥٠
- ٦٩- ل (سبعين) قال : وسبعين وسبعين يعني واحد والعشرين أنها حجارة مما كتب الله تعالى أنه يعدهم بها ١٩٤٦/٥
- ٧٠- من : (قرق) : اسم من اسماء النار : ٦٨٧٧/٧
- ٧١- ل : (سلسليبل) السلسليبل : السهل المدخل في الحلق . قال ابن الأعرابي : لم اسمع سلسليبل الا في القرآن :
 ٢٠٦٤/٣
- ٧٢- ل : (ستنا) قال : ستنا البرق ضوء : ٢١٢٩/٣ وانظر فقه اللغة : ٣١٦
- ٧٣- الشاعري ، فقه اللغة : ٣١٧
- ٧٤- ل : (شهر) قال : الشهر القرم ، سمي بذلك لشهرته وظهوره وهو العدد المعروف من الأيام ٤ ٢٣٥١/٤
- ٧٥- من : (عزم) العزم : المستثنا ، لا واحد لها من لفظها . ١٩٨٣/٥
- ٧٦- نسبة الى طخارستان . ولالية من توادي خراسان . مجمع البلدان : ٢٣/٤
- ٧٧- ذكره الشاعري في فقه اللغة : ٣١٨ فيما نسب الى الرومية وقال معناها : البستان .
- ٧٨- ل : (قرطس) قال ابن منظور : ٣٥٩٤/٥ القرطس : معروف يتخذ من بريدي يكون ينصر ، والقرطاس : الصعفحة
 الثابتة التي يكتب فيها ، وقد حق هذه الكلمة الدكتور التهامي الهاشمي وبين أن أصلها أفريقي .
- ٧٩- فقه اللغة للشاعري : ٢١٨
- ٨٠- قال في (ص) (فقل) : ١٨٠٣/٥ الفقل معروف . والقل الباب مثل اغلق . وقال ابن منظور : (فقل) ٢٧٠٧/٥
 والقل : ما يغلق به الباب مما ليس بكثيف ونحوه .
- ٨١- من : ٣١٨
- ٨٢- فقه اللغة : ٣١٨ ، وفي (ل) (كفر) ٣٩٠١/٥ والكافور : اخلاط تجمع من الطيب .
- ٨٣- ذكره الشاعري في فقه اللغة في ذكر اسماء قائمة في لغة العرب والفترس على لفظ واحد : من ٣١٦ ، وفي (ل)
 ٣٩٣٧/٥ (كنز) والكتنز : اسم للمال اذى احرز في وفاء لما يعزز فيه ، او المال المدحون .
- ٨٤- ل (وكا) ٤٩٠٦/٦ ، اول للطعام متى كان القوم اذا قطعوا على الطعام اتكزوا ، وقال الزجاج : ما ينكوا عليه
 لطعام او شراب او حديث .
- ٨٥- المجوسي : نحلة ، والمجوسي : منسوب اليها ، وهم عبنة النار . (ل) مجلس : ٤١٤٠/٦

- ٤٦- ص (مرج) ٣٤١/١ ، المرجان : ضد المؤلّف وانتظر (ل) مرج ٤١٩/٦
- ٤٧- ص (مسك) ٤/١٦٠٨ والمسك ضرب من الطيب ، فارسي مغرب . وانتظر ل مسك : ٤٢٣/٦
- ٤٨- ص (وردة) ٥٥٠/٢ الورد بالفتح : الذي يشم ، الواحدة وردة وانتظر ل ورد : ٤٨١٠/٦
- ٤٩- ص (يقت) ٢٧١/٢ ، الياقوت ، يقال : فارسي مغرب ، وهو قاعول ، الواحدة ياقوطة ، والجمع : اليواليت . وانتظر ل (يقت) ٤٦٩٤/١ وفته الملة : ٣٢٧
- ٥٠- هذه المنظومات مذكورة في آخر المهدب : ص ١٧٨-١٦٩ ، والاتقان ١/٤٤٦-٤٤٣ .
- ٥١- المهدب : ٧٧ ، وانتظر الاتقان : ٤٣٢-٤٣١/١ .
- ٥٢- المهدب : ٩٩-٩٨ .
- ٥٣- المراجع السابقات : ١٠٢ .
- ٥٤- المراجع السابقات : ٩٩ ، وانتظر الاتقان : ٤٣٦ .
- ٥٥- المهدب : ١٠٤ .
- ٥٦- الشافعى ، الرسالة : ١٤ (المقدمة) .
- ٥٧- المصدر السابقات : ٣٤ .
- ٥٨- الرسالة : ٣٨ وكذا عند الطبرى في جامع البيان : ٢٠/٢ وانتظر ، القراء ، معانى القرآن .
- ٥٩- المهدب : ٦٧ .
- ٦٠- ابن منظور ، لسان العرب : (ط دار المعارف ، مصر) ١/٣٤٥ (بلج) . وانتظر الجوهري الصحاح (ط دار العلم للمليين) ٣٨٨/٣ (بلج) .
- ٦١- ابن الجوزى ، فنون الافتان : ٣٥١ ، وابندهب : ١٦١ .
- ٦٢- المهدب : ١٦٢ وانتظر الاتقان : ١/٣٩٢ .
- ٦٣- لسان العرب : ٢/١٠٤٢ (عون) وانتظر الصحاح : (حور) .
- ٦٤- الاتقان : ٣٩٢/١ .
- ٦٥- المهدب : ١٠١ .
- ٦٦- المهدب : ١٠٠ .
- ٦٧- قال في لفظ « سنا » منه العافظ ابن حجر في تنظم ولم اقف عليه لغيره . انتظر المهدب : ١٠١ . وانتظر (يقت) ص ١٦٨ فقد تقل عن الجواحيق ان (وردة) في قوله « لفات وردة كالدھان » / الرحمن : ٣٧ . الورد المشهوم في الربيع ، يقال انه ليس بعربي .
- ٦٨- السيوطي ، التوكلى فيما ورد في القرآن من المفات الخ ، تحقيق د. عبدالكريم الزبيدي ، (ط دار البلاطة ، بيروت ١٩٨٨م) ص ٣٤ .
- ٦٩- لم يذكر السيوطي اسم هذا الكتاب صراحة ولكن بالقارنة بينه وبين البر المثور يمكننا استنباط ذلك وافق علم . انتظر التوكلى : ٣٢ .
- ٧٠- التوكلى : ٣٢ .
- ٧١- المهدب : ١٥٣ .

من كتب التراث :

مشتھي العقول في منتھي النقول

تحقيق: بدیع السیداللّحام

تألیف: الامام جلال الدین السیوطی

تصدیر :

هذه رسالة طريفة ونادرة تتجلى من خلالها شخصية الامام السیوطی العالى الموسوعي .

المعروف ان المکتبة العربية قد حفلت بعدد من المصنفات التي استقلت برصد الأولیات ، وقد بدأ التأليف فيها مبكراً في تاريخ المکتبة العربية ، ففي أواخر القرن الهجري الثاني وضع هشام بن الكلبی (ت : ٢٠٤ هـ - ٨١٩ م) كتاب الأولائل . ثم تلاه المدائني (ت : ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ م) ، ومن بعدهما ألف ابو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م) أشهر كتب «الأوائل » .

ولم ينقطع التصنيف في هذا الباب بعده ذلك ، فاسماعيل الموصلي (ت : ٦٣١ هـ - ١٢٢٣ م) له مصنف ، وبلزال الدین الشبلي (ت : ٧٦٩ هـ - ١٣٦٧ م) له مصنف وغيرهم . وأخراً لا آخرأ وضع السیوطی (ت - ٩١١ هـ - ١٥٣٣ م) مصنفاً حافلاً ، جاماً ومستوعباً لكل ما كتب قبله ، مع زيادات جمة وسماه : « الوسائل الى معرفة الأولائل ». وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات .

لقد قمت بالبحث والتفتيش ، في فهارس المکتبات وخرائط المخطوطات ، لعلني أ عشر على مصنف واحد ، رصد لنا « منتهيات الأشياء وغایات الأمور » كما رُصدت من قبل « أولائلها » . فلم أجد سوى الامام السیوطی في ر Malone هذه ، والتي نقدمها اليوم لقراء العربية ، بمناسبة هذا المدد الخاص من مجلة التراث العربي ، وأرجو أن يجد القارئ في هذه الرسالة من الطرافه والمعنة ما وجده عندما ظفرت بها ، وطالعتها المرأة تلو المرأة .

★ باحث ومحقق في التراث . . . سیصدر له كتاب / جهود علماء دمشق في علم الحديث خلال القرن الرابع عشر للهجرة / .

جمع السيوطي في هذه الرسالة بعض منتهيات العوادث وغaiات الأمور ، انتقاماً لها عن من تقدمه ، كما يوحى بذلك عنوانها «منتهي النقول» . ولكنه وعلى خلاف الملهود عنه في منهجه في التأليف لم يستند لنا هذه النقول إلى أصبابها ، أو يعزوهما إلى قائلها أو الكتاب الذي نقلت منه ، وهو القائل : «قد علم الله والناس من عادتي في التأليف أني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقررتنا بعزوه إلى قائله ، ونسبته إلى ناقله»^(١) ولكننا لا نلمح لهذه المادة أثراً في هذا المؤلف الذي بين أيدينا ، والله أعلم بالسبب .

لم يكتف السيوطي بعدم عزو النقول إلى أصحابها ، فهو لم يتم أيضاً بتمحيص تلك النقول - لبيان صريحها من سقيمها - ومنها نقول أشبه ما تكون بالخيال ، إن لم نقل أنها من وحي الخيال فعلاً ، مما نجده مسطراً في كتب التاريخ القديم ، التي كانت ميداناً واسعاً وخصوصاً كالأخبار الاسرائيلية الموضعية ، والأثار المكتوبة ، وخاصة عند ذكر بدء الخليقة ، والأمم البائدة ، والنبويات التي لا تستند إلى دليل نصي قطعي الثبوت والدلالة .

ليست كل نقول السيوطي من هذا النمط فهناك نقول أخرى أوردها في رسالته ، تستند إلى الغير الصريح والنص الصريح ، مما لا جدال فيها ولا مماراة ، وخاصة تلك النقول المتعلقة بـ (منتهي النعيم ، ومنتهى العذاب ، ومنتهى الليالي ، ومنتهى فتن الدنيا) ... وغيرها ، وهناك نقول أخرى تتعلق ببعض الشخصيات الإسلامية ، مما تجده مسطراً في الفقرات من (٤٠ - ٢٢) .

قدّم السيوطي لرسالته هذه بمقديمة وجيزة جداً ، بيّن فيها أن ما يحويه هذا المجموع ما هو إلا ثمار منوعة ، اقتطعت من كتب متعددة ، وجمعت دون عناءة بترتيب وتبويب وتزويق . فلا تلمس نظاماً معيناً في ترتيبها ، فهي أشبه بكشكوك أو مخلة صغيرة ، جمعت نقولاً لا رابط بينها ، سوى كون كل منها صدر بقولنا : «منتهى » .

توثيق الكتاب والنسخ المتممّلة في التصحّح :

لم يذكر السيوطي هذا الكتاب من بين مؤلفاته ، عندما عددها لنا في كتابه «حسن المحاضرة» ، ولا في كتابه «التعذّث بنعمته الله» ، أو فهرست مؤلفاته الذي وضعه ستة (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م) ، أي قبل وفاته بسبعين سنة . ولكن عدم ذكر السيوطي لهذا الكتاب فيما لا يعني أنه ليس من مؤلفاته . فهناك عدد كبير من المصنفات التي وضّعها السيوطي ، بعد الاحصاءات التي مرت لكتبه ، وهذه المصنفات ، أعني التي لم يذكرها السيوطي ، قد تسبّبها له من جاء بعده .

ومن نسب هذا الكتاب إلى السيوطي : صاحب هدية المارفين ، وصاحب عقود الجوهر ، وصاحب مكتبة الجلال السيوطي ، وصاحب دليل مخطوطات السيوطي . يضاف إلى ذلك أن جميع مخطوطات هذا الكتاب مطر على صفحة عنوانها اسم الجلال السيوطي ، وبذلك لا يبقى مجال للشك في صحة نسبة هذا الكتاب مؤلفه الإمام السيوطي ، وهو من أواخر ما صنفه من الكتب .

لقد قام كثير من الباحثين بتحقيق بعض كتب الامام السيوطي في هذه الأيام . وبالرغم من وجود عدد من النسخ المخطوطة لكتاب : « مشتهي العقول في نتهي النقول » ، فإن هذا الكتاب لم يسبق له أن طُبع ، اللهم إلا طبعة حجرية قديمة ، طُبعت في مصر عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩ م . وهذه المطبوعة أصبحت أندر من مخطوطات الكتاب الأصلي ، لذلك قمت بالبحث عن نسخة من الكتاب المطبوع ، في عدد من المكتبات العامة والخاصة ، والتي تعودي الكتب القديمة ، فلم أثر لها على أثر ، لهذا وجدت الرغبة الصادقة في إخراج هذا الكتاب ، بعد أن حصلت على ثلاثة نسخ مخطوطة منه ، محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد الوطنية) واليak بيان هذه النسخ :

- النسخة (١) : ضمن مجموع رقمه (٥٨) عدد أوارقه (١٥٠) منها (٨) ورقات (٩٧ - ١٠٤) لكتاب السيوطي الخط نسخه ممتاز ، المسطرة (١٩) سطراً ، وتنتمي كبقية النسخ ، ولكن دون ذكر الخاتمة . بل يتصل الكلام بأبيات شعرية عن مدينة دمشق ، والنسخة غير معروفة الكاتب ، وهي من خطوط القرن الثاني عشر الهجري ، وهي برغم ما فيها من أخطاء أصح النسخ الثلاث .

- النسخة (٢) : ضمن مجموع (رقمه ٧٧٠٢) ق (١ - ١/٥) (٤) ، مكتوبة بخط نسخي ممتاز أيضاً ، مسطرتها (٢٧) سطراً ، مجدولة بالحمرة في بداية الفقرات ، حالة المخطوطة جيدة ، لكنها غير معروفة الناشر ولا تاريخ النسخ ، وهي تلي النسخة (١) بدرجة الجودة . وقد جاء عنوان الكتاب على ظهر النسخة معرّفًا : « مشتهي العقول ومنتهاي النقول » ، ولكنه جاء على الصواب في الداخل .

- النسخة (٣) : ضمن مجموع (رقمه ٤٩٩٩) ، ق (١٠٠ - ١/١٠١) الخط عادي ، والمسطرة (٤٢) . كتبها المرتجمي رحمة ربه الفغور ، زاهد ابن الشيخ أحمد الزيزى (كذا) ، غفر الله له وللن دعى له وللن أمئن على دعائنه . وذلك في يوم الخميس المبارك ، خلا اثنان وعشرون يوماً من شهر محرم العرام ، من شهور ستة ألف ومائتين وأربعة وستين (١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م) . وجاء عنوان الكتاب فيها « مشتهي العقول ومنتهاي النقول » وهذه النسخة مليئة بالأخطاء والتصحيحات ، وفيها زيادات واضحة بقلم الناشر .

وبما أن النسخة الثلاث الممتدة اشتراك بوجود بعض الأخطاء ، وفي كل منها من المُستقطَط ما ليس في الأخرى ، لذا فقد لجئت إلى إخراج نص الكتاب من النسخة الثلاث ، ولم أوفر جهداً في تصحيف النص بقدر الإمكان ، وذكرت في التعليقات فروقات النسخ ، ولم أشأ أن أنقل الحواشى بالتعليقات ، فاقتصرت على عزو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على قلتها ، وهذا فيما أرى يتناسب مع طبيعة نشر أمثل هذه النصوص في المجلة .

أرجو أن أكون قد وفّقت إلى اضافة ما يُفيد من خلال هذا النص المحقق ، وما توفيقك إلا بالله .

بديع السيد اللعام

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد :

هذا مجموع لطيف من كتاب شريف ، أعني كتاب : (مسنتهي المقصول في منتهی^(٤) النقول) . وهو في جزء^(٥) وفيه الأجزاء ، وهذه أشار من أشجار ، وأقطار من بحار^(٦) ، من تبوب ولا ترتيب .

١ - مسنتهي الأجسام « العرش » : انتهت قوائمه إلى ثلاثة وستين قائمة . ما بين كل قائمتين^(٧) من قوائمه ثمانون ألف عام ، وهو سقف الجنة ، ويُظلل سبعين يوم القيمة ، من السبعين^(٨) السبعة التي في البخاري ، الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه^(٩) .

وبعض ملائكة العرش عرض شحمة أذنه مسيرة خمسة وثلاثين عام .

وطار ملَكَ اسمه « حزقيايل » بثلاثة عشر ألف^(١٠) جناح (كل جناح^(١١)) قدر الأرض إلى عنق العرش عشرين ألف سنة ، ثم ضاعف الله له أجنحة وقوه فطار ثلاثة وسبعين ألف سنة^(١٢) ثم قال : « يا رب إلى مسنتهي العرش؟ فلأوحى الله إليه : « لو طرت^(١٣) إلى أن ينفع في الصور لن تبلغ (ساق العرش)^(١٤) » . فقال « سبحان ربى الأعلى » [فأنزل الله^(١٥) : (سبع اسم ربك الأعلى)^(١٦)] .

قلت : يعني يا محمد سبع اسم ربك الأعلى^(١٧) الذي أسرى بك ليلاً من المسجد العرام إلى المسجد الأقصى ، الذي ياركتنا حوله إلى (سدرة المنتهي إلى)^(١٨) ما لا يصل حزقيايل ولا جبرائيل^(١٩) .

٢ - مسنتهي الليالي « ليلة القدر » قال الله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها ، ياذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر)^(٢٠) .

٣ - مسنتهي كل دار « الجنة » أو « النار » :

فالجنة : عرضها كعرض السموات^(٢١) والأرض ، طولها يمتد إلى الأبد ، وشجرة طوبي يسيرراك السريع^(٢٢) في ظلها مئة عام ما يقطعنها^(٢٣) وأشجارها أصولها في النبيب وفروعها^(٢٤) إلى الأرض ، تطرح الملائكة والعلل^(٢٥) .

٤ - مسنتهي النعيم « النظر إلى الله تعالى بلا كيف ولا وصف » ، ولا يحيطون به علمًا . (لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار)^(٢٦) ، ولعديث : « إنكم سترون ربكم « (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)^(٢٧) .

وقوله تعالى : (لن تراني)^(٢٩) ، أي في غير(٣٠) الجنة .

- ٥ - منتهي العقاب^(٢١) « حجاب الخلق عن الحق » : قال الله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لم يحبوه)^(٢٢) ، (ومفهوم الفند : غير المعجوبين)^(٢٣) يرون ربهم من المؤمنين فينسون التيم^(٢٤) اذا رأوه ، فيخسران^(٢٥) أهل الاعتزال .
- ٦ - منتهي الملائكة ملك اسمه « الروح » : قدر أهل العشر^(٢٦) وحده ، وفي العشر^(٢٧) بعض الملائكة^(٢٨) خطوة الواحد منهم^(٢٩) أربعة آلاف سنة .
- ٧ - منتهي السعادة^(٣٠) لنبينا « محمد صلى الله عليه وسلم » وخصن بزيادة على أربعين خصيصة ، وخلق الحق الخلق لأجله ليخاطبه بالقرآن^(٣١) ، ولو لاه لم تخرج الدنيا من العدم .
- ٨ - منتهي الشقاوة لـ : « إبليس » : عَبَدَ اللَّهُ تَسْعِينَ الْفَ سَنَةَ ، ثُمَّ اتَّقَلَ شَقِيقًا سَرْمَدًا^(٤١) إِلَى أَبِي الْأَبِدِينِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ عَلَيْكَ الْلَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)^(٤٢) .
- ٩ - منتهي العلوم في^(٣٢) القرآن : عجز عنه الثقلان ، قال الله تعالى : (قل لَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْأَنْسَ والْجَنُّ عَلَى أَنْ يَاتُوا بِمِثْلِهِنَا فَقَرَأُنَّا لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِنَا)^(٤٣) .
- و فيه علوم عديدة^(٤٤) الأنبياء - مئة ألف نبي وأربعة وعشرين ألفنبي ، وقيل : مئتي ألف وأربعة^(٤٥) وعشرون ألف - (قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربِّي لنفيد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربِّي ولو جئنا بمثله مداداً)^(٤٦) .
- ١٠ - منتهي الملك لـ : « سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام » : سلطاته كل يوم : (الْجَنُّ ، وَارْبِعُونَ الْفَانِ منَ الْفَنِ ، وَأَرْبَعَةَ أَلْفَانِ الْبَقَرِ ، فِي قَبُورِ رَاسِيَاتِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ . وَبِسُلطَاتِ مَسِيرَةِ مِائَةِ الْفَ فَرْسَنَخ^(٤٧) ، عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْقَبَّةِ ، وَمِائَةٌ^(٤٨) الْفَ كَرْسِيٍّ مِنْ مَلُوكِ الْأَنْسَ والْجَنِّ ، وَمِنْ جَنْدِهِ « بَلْقِيسٌ » لَهَا اثْنَا عَشَرَ الْفَ نَائِبٍ ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ نَائِبٍ مِائَةُ الْفَ مِنَ الْجِنِّ ، وَمَلِكُوكُها يَعْرُشُهَا فِي مَلْكَ « سَلِيمَانَ عَيْهِ السَّلَامُ » جَزْءٌ مِنْ مِائَةِ الْفَ جُزْءٍ ، وَكَفَى قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَوَرَثَ سَلِيمَانَ دَاؤِدَ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَمْنَا مِنْطَقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)^(٤٩) ، وَالآيَاتُ وَالْأَثَارُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، وَيَكْفِي قَوْلَهُ تَعَالَى : (رَبُّ اغْفِرْلِي وَهَبْلِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لَأَحَدٍ مِنْ يَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)^(٥٠) .
- ١١ - منتهي المداشين « بغداد » : حماماتها (ستون الفا)^(٥١) ، ومساجدها (ثلاثة الف) ، ومتغدوها بالأسواق (أربعة وعشرون ألفاً) ودورها (ثلاثة أيام) ، ومدتها (خمسة سنة وشيء) ، وبها : الأديان الأربع ، والثلاثة والسبعين فرقة ، ودار الخلافة بها : (أحد عشر ألف طواشى ، وسبعة آلاف عبد خواص من البربر والروم) ونوبة كل فراش أربعة آلاف .
- ١٢ - منتهي كرم الوزراء « البراهمة »: كاد لا يوجد أحد من العلماء والحكماء والنبلاء والمعلماء إلا وللبراهمة عليه كرم نما كماء السماء .

وتكرم « جعفر » (٥٣) بخمسين ألف دينار من الذهب ، وتكرر ذلك منه كثيراً (٥٤) في ولايته كلها من غير من ، ولا أذى ولا انفصال ولا تخصيص ولا لغرض ولا عرض حتى صار يضرب بهم المثل الأكمل بقولهم (٥٥) : تبرمك فلان .

ومن كرم « جعفر » تكرم في يوم على ألف شاعر ببابه أعطى كل شاعر ألف درهم - والدرهم : ثلاثة أنصاف - .

ومن كرمته انه تكرم على (٥٦) من مجاه بخمسة آلاف درهم ، وعفى عن تاديبه وتعذيبه .

١٣ - منتهاء جند « الأموية » : ستمائة [ألف] ، وعمروا الجامع الأموي بدمشق صرفوا عليه مقدار ألف كيس [] ، زيادة (٥٧) على عشر مرات ، وكان فيه اثنى عشر ألف مرخص ، وأثنى عشر ألف نجار .

١٤ - منتهاء نساء الغلفاء « زبيلة » : جدها وزوجها وابنها خلفاء ، جدّها « المنصور » الذي بنى بغداد ، وزوجها « هارون الرشيد » ، (وابنها « محمد الألين ») (٥٨) .

١٥ - منتهاء الفتن الإسلامية « فتنة التتار » ببغداد : قتلوا ألف (٥٩) ألف وستمائة ألف ، وسدوا الدجلة بالكتب ، وعلقوا الصليبان على المتسابقين وعلى دار الغلافة ، وعلقوا المصاحف الشريفة في أعناق الكلاب ، وزادوا في الفساد على « شداد بن عاد » و « فرعون ذي الأوتاد » وتنزعوا الخلافة من الإسلام (٦٠) ، وبشر وحذّر وأنذر بهذه الفتنة الرسول ﷺ (٦١) ، وكانت في سنة (٦٥٦ م) .

١٦ - منتهاء فتن الدنيا « فتنة الرجال » : لقوله عليه الصلاة والسلام : « ما بين آدم وال الساعة أمر أكبير من الرجال » (٦٢) لا يسلم منه أحد من هذه الأمة إلا اثنتا عشر ألفا ، وستمائة الثالثة لا تنتهي (٦٣) الأرض ذرّة ولا تrometer (٦٤) السماء قطرة .

١٧ - منتهاء الأمم هذه « الأمة المحمدية » : علماؤها كأنبياء بنى إسرائيل (٦٥) ، وكفوا منهم : الغلفاء الأربعية - وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - ، وعمر بن عبد العزيز ، والأئمة الأربعية (٦٦) ، والذين اخترعوا العلوم - كاختراع على رضي الله عنه علم « النحو » ، والخليل « المروض » ، والآباء الشافعي ، أصول الفقه (٦٧) ، والآباء الجرجاني ، النهاني والبيان .

١٨ - منتهاء الحفظ ل ابن جرير الطبرى « : فريد في علم التفسير ، وكان يحفظ حمل ثمانين بيتاً .

- وحفظ « ابن الأنباري » في كل جمعة ألف كراس ، وحفظ ثلاثة ألف بيت من الشعر استشهاداً من الشعر للنحو .

- وكان « الشافعي » رضي الله عنه يحفظ من مرة - أو نظره - .

- و « ابن سينا العكيم » حفظ القرآن في ليلة واحدة .
- و « أبو زرعة » كان يحفظ ألف الف حديث .
- والكل من بعض محفوظ امام السنة (٦٨) « أحمد بن حنبل » .

١٩ - مُنْتَهِي التصانِيفِ فِي الْكُثُرَةِ (٦٩) لـ « ابن شاهين » : صُنْفٌ ثلَاثَةٌ وَثَلَاثَينِ مُصْنَفًا مِنْهَا ، التَّفْسِيرُ أَلْفُ جُزْءٍ ، وَالْمَسْنَدُ أَلْفُ وَخَمْسَةٍ جُزْءٍ ، وَالتَّارِيخُ مِنْتَهِي وَخَمْسَوْنَ مجلداً ، وَمَدَادُ هَذِهِ التَّصانِيفِ وَغَيْرُهَا سِبْعَةٌ وَعَشْرُونَ قَنْطَاراً (٧٠) .

قلت : هذا من كنامة طلي الزمان كالمكان من وراثة الأسرار (٧١) وليلة القدر .

٢٠ - مُنْتَهِي الْعَشْرَاتِ عَقْرَبُ اسْمُهَا « كَرُورٌ » وَتَسْمَى « الْجَرَارَةُ » : اِذَا لَدَغَتْ ثُعَبَانًا قَدْرَ النَّخْلَةِ الْبَامَةِ (٧٢) يَذُوبُ جَسْمَهَا مِنْ لَدَغَتِهَا (٧٣) – تَمُوتُ الْأَفَاعِيَ مِنْ سَوْمِ الْعَقَارِبِ – وَقَدِيرُ جَسْمِهِ هَذِهِ الْعَقَرِبِ ثَلَاثَ أَرْزَاتٍ مُوزَّنَاتٍ فِي مِيزَانِ الدَّهْبِ ، وَلَدَغَتْ هَذِهِ الْعَقَرِبِ طَسْتَ نَحَاسٍ (٧٤) ، فَفَسَلَ بِالْمَلِينِ مَرَاتٍ ، فَسَقَطَتْ يَدُ الَّذِي غَسَلَهُ (٧٥) لَأَنَّهُ كَانَ لَا يُفْسَدُ إِلَّا أَنْ يُوضَعُ فِي النَّسَارِ عَلَى كُورِ الْحَدَادِ وَالنَّحَاسِ حَتَّى يَذْهَبَ أَثْرُهُ بِزَوْالِ جَسْمِهِ مِنَ النَّحَاسِ .

– وَهَذِهِ الْعَقَارِبُ بِالكُثُرِ فِي بَلَادِ عَسْكَرِ مَكْنَةٍ (٧٦) .

وَلَدَغَتْ اِنْسَانًا بِهِ الْفَالِجُ (فُوْفِي وَخَلْصُ مِنَ الْفَالِجِ) (٧٧) – وَرَبِّمَا صَعَّتِ الْأَبْدَانَ بِالْعَلَلِ – .

٢١ - مُنْتَهِي الْحِيَوانِ « السَّبْعُ » : وَأَكْثَرُهُ وَأَكْبَرُهُ بِالْمُفَرِّبِ قَدْ عَجَلَ الْجَامِوسَ . اِذَا صَرَخَ كَانَهُ التَّيَامَةَ اِذَا قَامَتْ ، تَدَهُلُ كُلُّ مَرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ هُنَّا ، وَتَرَى النَّاسُ (سَكَارِي [وَمَا هُمْ بِسَكَارِي]) (٧٨) لَمْ يَغْلِقْ أَشْفَقِ قَلْبِ السَّبْعِ هَيَّةً أَحَدُ مِنَ الْحَلْقِ ، كَانُوهُمْ عِنْدَهُ كَالْكَلَابِ وَالنَّذَابِ – اِذَا غَضَبَ أَوْ نَزَعَ أَوْ غُولَبَ (٧٩) لَا يَنْهَزِمُ أَبَدًا ، وَلَهُ كَرْمٌ وَهَمٌ وَشَيْمٌ ، وَشَمٌ وَثَبَتٌ قَدْمٌ ، وَلَوْ كَانَ يُقْتَلُ مَا زَالَ وَلَا تَحُولُ ، فَهُوَ سُلْطَانُ الْوَحْشَينَ وَخَاقَانُ أَوْطَانِ النَّفَرُوسِ (٨٠) .

٢٢ - مُنْتَهِي السَّيُولِ الْمَكِيَّةِ : مَدَّسَتْ هَذِهِ السَّيِيلُ عَامَ اَحَدِي وَسِبْعِينَ وَسِبْعِينَ زِيَادَةً عَلَى الْفَ بَيْتِ ، وَقَتَلَتْ نَحْوَ الْفَ نَفْسٍ ، وَقَافَلَةً بِارْبِعِينَ جَمْلاً ، وَأَكْثَرُ حِيَوانِ الْجَلِ (٨١) مِنَ الْفَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالْجَمَالِ . وَنَقْلَ السَّيِيلِ حِجْرًا مِنَ الْوَعْسَاءِ إِلَى « تَكِيَّةِ الْخَاصِكَةِ » ، مَا حُمِّلَ الْعِبَرُ إِلَّا بِارْبِعَةِ وَعِشْرِينَ عَتَّالًا ، وَهَدَئُ أَحْجَارًا مِنَ الْجَيَالِ ، وَسَدَ « عَيْنَ عَرْفَةَ » .

– وَمَا عَرَفَ أَحَدٌ هَذِهِ السَّيِيلِ مِنَ الْمَنْجِينِ وَلَا الْمَكَاشِفِينِ وَلَا غَيْرِهِمْ .

– وَعَلَوَهُ إِلَى قَفْلِ بَابِ الْكَبْتَةِ ، وَطَوَلَهُ وَعَرَضَهُ مِنْ مَكَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى زَبِيدَ الْحَسْرَمَوْتِ ، وَمَدَّتْهُ مِنَ الْعَشَاءِ إِلَى الظَّهَرِ ، وَرَعَدَهُ كَانَمَا رَجَتِ الْأَرْضِ رَجًا ، وَبِرْقَهُ كَالشَّمْسِ الصَّاحِيَّةِ ، وَبَرَّادَهُ أَكْبَرُهُ كَالْبَطِيخِ الصَّفِيرِ ، وَأَسْفَرَهُ كَبِيْسُ الْعَامِ ، [وَلَوْ

انفتح سد خشکلدي(٨٢) ، او أنه استمر ، كانت المياه لا تبقي ولا تذر من البشر والجعر ، ولكن الله دفعه كما دفع أصحاب الفيل [٨٣] (وشر التمر ، واذا بلى دبر) (٨٤) .

- ٢٣ - منتهي الفضل في هذه الأمة « لأبي بكر » رضي الله عنه .
- ٢٤ - ومنتهى الأمر بالمعروف لـ « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه .
- ٢٥ - ومنتهى علم القضاء لـ « علي بن أبي طالب كرم الله وجهه » (٨٥) .
- ٢٦ - ومنتهى كتابة جمع القرآن لـ « عثمان بن عفان » رضي الله عنه .
- ٢٧ - ومنتهى علم الفرائض لـ « زيد بن ثابت » رضي الله عنه .
- ٢٨ - ومنتهى علم الفقه لـ « معاذ بن جبل » رضي الله عنه .
- ٢٩ - ومنتهى علم التفسير لـ « ابن عباس » رضي الله عنهم .
- ٣٠ - ومنتهى إظهار علم القراءة لـ « نافع » رحمة الله .
- ٣١ - ومنتهى علم السنة لـ « مالك » رحمة الله .
- ٣٢ - ومنتهى علم القياس لـ « أبي حنيفة » رحمة الله .
- ٣٣ - ومنتهى علم فقه السنة للإمام الشافعي رحمة الله .
- ٣٤ - ومنتهى حفظ السنة لـ : « أحمد بن حنبل » رحمة الله .
- ٣٥ - ومنتهى الزهد لـ « ابراهيم بن أدهم » رحمة الله .
- ٣٦ - ومنتهى العبادة للصوفية (الفضيل بن عياض) رحمة الله .
- ٣٧ - ومنتهى علم التصوف لـ « الجنيد » رحمة الله (٨٦) .
- ٣٨ - ومنتهى السهر لـ « السري السقطي » رحمة الله، نحو ثلاثة عشر سنة (٨٧) لم يضع جنبه إلى الأرض إلا في علة الموت (٨٨) .
- ٣٩ - ومنتهى الكتب الصحيحة لـ « البخاري » رحمة الله .
- ٤٠ - ومنتهى علم الأثر لـ « ابن جرير » رحمة الله .
- ٤١ - ومنتهى الشعر لـ « المنبي » رحمة الله (٨٩) .
- ٤٢ - ومنتهى الكرم للوزراء « البرامكة » .
- ٤٣ - ومنتهى الحكماء المسلمين كاليونانيين « الفارابي وابن سينا » .
- ٤٤ - ومنتهى علم الأسماء لـ « آنم » عليه السلام (٩٠) .

- ٤٥ - متنهى التكليم لـ «موسى» عليه السلام .
- ٤٦ - متنهى الغلة لـ «ابراهيم» عليه السلام .
- ٤٧ - متنهى الروحية لـ «يسوع عليه السلام» (١) .
- ٤٨ - متنهى الفضل لنبينا «محمد» عليه الصلاة والسلام ، وهم كلهم نيابة عنه صلى الله عليه وسلم (في الفضل) (٢) .
- ٤٩ - متنهى العلم اللدني للحضر عليه السلام .
- ٥٠ - متنهى العمال لـ «يوسف» عليه السلام ، وهو شطر جمال «المصلubi» (٣) .
- ٥١ - متنهى الماء الأرضي «الطفوان» فانه علوه على الأرض فرمى ونصف وأربعون ذراعاً ، ودائرة ما بين المشرق والمغارب .
- ٥٢ - متنهى الصبر لـ «أيوب» عليه الصلاة والسلام ، سبعة عشر سنة وجسمه بيت الدود (٤) .
- ٥٣ - متنهى الصبر على الفراعنة لـ «أولي المزم» في الآية في قوله : (واد أخذنا من النبيين مثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مریم) (٥) .
- ٥٤ - متنهى من ليث في قومه [«نوح» عليه السلام ، ليث فيهم] ألف سنة لا خمسين عاماً (٦) .
- ٥٥ - متنهى نسب الأنبياء «يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم» عليهم الصلاة والسلام .
- ٥٦ - متنهى البخل لقارون ، بخل بالزكاة تعمداً (٧) ، [فعله عليه مثل قوله : (ألم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً) [(٨)] .
- قال تعالى : (وأتيناه من الكنوز ما ان مفاتها لننوه بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه : لا تفرح ان الله لا يحب الفرجين) (٩) .
- ٥٧ - متنهى الاجتماع في الدنيا بين يدي موسى عليه السلام (١٠) على «العصما» لقوله تعالى :
- (قال : موعدكم يوم الزينة وأن يعش الناس ضحى) (١٠٠) .
- فساكس فرعون في ذلك اليوم : سبعون كرمة ، كل كرمة مئة ألف من الجند .
- وغلمانه المطوقون بالذهب الشبّاب - ولا لاط (١١) باجماع أهل الأديان - وقوم موسى عليه السلام : ستمائة ألف وسبعون ألفاً .

وَجَنْدُ هَامَانَ ابْنَ عَمٍ (١٠٢) فَرَعُونَ وَوَزِيرُهُ : أَلْفُ أَلْفٍ عَلَى يَمِينِهِ ، وَسَمِئَةُ أَلْفٍ عَلَى
يَسَارِهِ (١٠٣) .

وَمَا تَرَى مِنْ أَثْرَى مِنْ أَلْفَيْنِ مَا يَأْكُلُونَ ، وَكَانَتْ دَائِرَةُ الْحَلْقَةِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ كَبِيدَادٍ .

٥٨ - مُنْتَهِيَّ أَعْمَالِ الْحَكَمَاءِ الْبَاقِيَّةِ «البرابي» : فِي بَرَابِي الصَّمِيدِ ، أَعْجَبَ مِنْ
الْهَرَمِينَ وَأَغْرَبَ عَلَيْهَا وَعَمَلاً ، وَمِنْ عَجَابِ بَرَابِي الصَّمِيدِ قَوْلُ ابْنِ رَافِعٍ فِي طَائِيْتِهِ فِي
دِيْوَانِهِ :

هَذَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي وَضَعُوا لَهُ بِرَابِي إِخْمِيمٍ وَخَصَّوْا بِهِ فَقْطًا
وَبِالْبَرَابِيِّ : قَوْصُورٌ شَامِخٌ كَالْجَبَالِ فِيهَا الْمَالِمُ صَوْرَ وَمَنْقُوشٌ وَمَكْتُوبٌ .
فَالْمَصْوَرُ : الْأَنْسُ وَالْجَنُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ وَالْحَيَّانُ .
وَالْمَنْقُوشُ : كَالْنَبَاتُ وَالْمَمَادُ .
وَالْمَكْتُوبُ : كَالْعِلْمُ وَالْأَعْمَالِ .

وَقَبْلَهُ : إِنْ تَعْبِرَ تَقْرِيبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ بَرَبِّي مَدِينَةِ «دَنْدَرَةَ» (١٠٤) بِقَرْبِ
قَنَا وَقَوْصُورِهِ : «صَرَفَنَا عَلَى مَطْبِخِ الْعَقَلَاءِ ثَلَاثَيْنَ قَنْطَارًا فَلَفَلًا» .
وَغَلِيلَقَنْ كلَ عَامَودٍ أَرْبَعَةَ أَبْوَاعَ .

[أَنْوَاعٌ مَا فِيهَا مِنْ اخْتِرَاعِ الصَّنَائِعِ يَعْجَزُ عَنْ حَصْرِهِ أَهْلُ الْأَطْلَاعِ .
وَمِنْ عَجَابِ الْبَرَابِيِّ أَنَّكَ تَرَى الْحَجَرَ الْوَاحِدَ قَطْعَةً وَاحِدَةً قَدِيرًا مَنَارَةُ السُّلْطَانِ حَسَنِ
فَمَا دُونَ ذَلِكَ مَصْوَرَةً مَنْقُوشَةً مَكْتُوبَةً .

قَبْلَهُ : وَقَالُوا فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّعْرِيفِ : «لَا أَنْ دَلَّتْ عِلْمُنَا السَّماوِيَّةُ عَلَى فَسَادِ الْعَالَمِ
الْأَرْضِيِّ خَشِينَا عَلَيْهِ فَنَقَشَنَا عَلَى هَذِهِ الْبَرَابِيِّ مَا يَعْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَالَمُ مِنْ عِلْمِ الصَّنَائِعِ وَالْبَصَائِعِ
إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ» .

وَقَبْلَهُ : إِنْ دَنْدَرَ بْنَ قَفْطَ بْنِ إِخْمِيمِ بْنِ مَصْرُونَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، صَاحِبُ
الْبَرَبِّيِّ الْمُشْهُورَةِ بِ«بَرَبِّي دَنْدَر» ، اتَّخَذَ تَنَورًا مِنْ نَحْسَنِ بَرِّيِّ فِيهِ مَا يَعْدُثُ كُلَّ يَوْمٍ ،
فَمَا رَأَى وَقَوْفَ النَّيلِ سَبْعَ سَنِينَ فِي زَمْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَبَشَّرَ الْحَكِيمُ قَوْمَهُ وَأَنْدَرَهُمْ
مِنْ قَبْلِ فَعْرَفَ فِي الْأَرْضِ مَا يَعْتَاجُ إِلَيْهِ قَمْعًا بِلَا زِيَادَةِ نَيلٍ ، وَخَزَّنَهُ وَانْفَرَدَ بِهَذَا فِي
زَمَانِهِ ، وَلَمْ يَمْتَلِئْ لَهُ مِنَ الْجَوْعِ أَحَدٌ . وَانْفَرَدَ بِهَذَا الْبَرَبِّيَّ كَانَهَا عَرَوْسَ مَنْقُوشَةَ مَعَ
أَنْهَا كَجِيلٍ عَظِيمٍ ، وَهِيَ مُحَرَّرَةٌ مَسْطَرَّةٌ مُبَتَّكِرَةٌ [١٠٥] .

قَالَ بَعْضُ الْقَضَائِمَ نَبِيَّ السُّلْطَانِيَّةِ : لَوْ اجْتَمَعَ الْأَنْ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَصَرَفُوا
جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ عَلَى عِمَالِهِمْ لَنْ يَسْتَطِعُوهُمْ أَنْ يَصْصُورُوا مِثْلَ هَذَا مِنْ خَشْبٍ وَلَا مَلِينٍ ، فَكَيْفَ
وَهَذِهِ مِنْ حَجَرٍ كَبِيرٍ مَنْقُوشٍ وَمَفْرُوشٍ وَمَكْتُوبٍ وَمَصْوَرٍ؟

قال بعضهم : والذى أقوله - والله أعلم - : إن هذه البرابي تصدق تعبير قصص موسى عليه السلام ، لقوله تعالى : (وجاؤوا بسحر عظيم) (١٦١) وهذا من نهاية دوام تصدق الاعجاز ، وكيف موسى غلب على هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وما كان هنا الا يأمر رب العالمين رب موسى وهارون ، وان الذين يتعجبون من مد النجدة يكتب بغداد لو رأوا بربابي الصعيد والعلوم المكتوبة فيها كيف يكون تعجبهم ؟ وليس الغريب كالعيان ، وانني متعجب من قول أصحاب العجائب : « ان أجيالها الهرمن » مع ان أقل بربابي الصعيد - ياجماع من شاهدها من أهل الكونين ، أجل وأكمل من عجائب الهرمن ! ٠ مع أن باني الهرمن قبل انه من أصحاب البرابي ، ولكن « هنا على قدر ما اطلعوا » (١٦٧) ٠ ما شهدنا الا بما علمنا ، وفوق كل ذي علم عليم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والى رب المنشئ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

تمت الرسالة المباركة ٠



□ العواشي والتعليقات :

- ١- في ١ : العرش . قلت : وهو يشير الى ما اخرجه البخاري [رقم : ٣٢٩] ومسلم [رقم : ١٤٣] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : « سبعة يظلّهم الله في ظلمه يوم لا ظل الا ظله : الإمام العادل ، وشاف ثنا في عبادة الله ، ورجل للبيه معلق في المساجد ، ورجلان تعابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امراة ذات منصب وجمال ف قال : اني اخاف الله . ورجل تصدق بصدقه اخفي حتى لا تعلم شمامه ما تتفق يمعنه ، ورجل ذكر الله خاليا فلما قضاست ميئاه ٠ »
- ٢- في ٢ : بثمانية عشر ألف ، وفي ٣ : له ثمانية الاف ٠
- ٣- ما بين القوسين سالفط من : ٢
- ٤- في ٣ : وطار ألف سنة ٠
- ٥- في ٤ : ومنتهى ٠
- ٦- في ٥ : أجزاء وبقية النسخ جزء ٠
- ٧- في ٦ : انها ٠
- ٨- في ٧ : قائلة ٠
- ٩- سالفط من : ١ و ٢ ٠
- ١٠- في ١ : السيوطي ، الكواوي في تاريخ السحاوي : ٩٤٩/٢ (طبعو شمن شرح مقامات السيوطي بتعظيم الدكتور سمعن الدروبي ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨ م) ٠
- ١١- هدية العارفين : ٥٤٧/١ ، وأحمد الشرقاوي البال ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣١٩ (ط دار المقرب الرباط ، ١٩٧٧ م) ٠
- ١٢- عبد الله النبهان ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة (ط ضمن مجلة عالم الكتب السعودية ، مع ١٤١٢ درج ١٤١١ هـ) ص : ٥٠ ٠
- ١٣- الفهرس العام لمخطوطات الظاهري (ط / مجمع اللغة العربية ببغداد ١٩٨٧ م) ٠

- ١٩- أكثر ما أورده المصنف هنا من العرش هو مما لا يصح من الاسرائيليات وتجده مدوناً عند السيوطى في الهيئة السننية : آية (ط : بيروت) . وقد حكم السيوطى على بعضها بالوضع في الملاهى وذهبوا كما في تزئيف الشريعة المرلومة للكتانى : ٢١١/١ .
- ٢٠- سورة القدر آيات : ٥-٣ .
- ٢١- في ٢ : النساء .
- ٢٢- في ٢ : الرابع .
- ٢٣- في ٢ : لا يقطنها .
- ٢٤- ساقطة من : ١ .
- ٢٥- أخرج فربنا من هذا في وصف شجرة طوبى ابن جرير عن فره بن اياس ، وابن مردوية عن ابن عمر وابن عباس . كما في كنز العمال : ٤٥٠/٤٦-٤٥١ .
- ٢٦- سورة الانعام آية : ١٠٣ .
- ٢٧- أخرج البخاري [رقم : ٥٧٩] ومسلم [رقم : ٦٧٦] وغيرهما عن جرير بن عبدة (رضي الله عنه) قال : كنا عند النبي ﷺ فنظر الى القر利لة - يعني البدر - فقال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم ان لا تقلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا . ثم قرأ : « وسيب يحمد ربكم قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » . [سورة طه آية : ١٣٠] .
- ٢٨- سورة العنكبوت آية : ٢٢ .
- ٢٩- سورة الأعراف آية : ١٤٣ .
- ٣٠- ساقطة من : ٣ .
- ٣١- في ٣ : العذاب .
- ٣٢- سورة المطففين آية : ١٥ .
- ٣٣- ما بين القوسين ساقط من : ٣ .
- ٣٤- في ٣ : فيلسون العذاب النعيم .
- ٣٥- في ٣ : فيها خسارة .
- ٣٦- في ٣ : العشر (في المؤمنين) .
- ٣٧- في ٣ : ملاكته .
- ٣٨- في ٣ : اصحابهم .
- ٣٩- في ٢ : الشرف .
- ٤٠- في ٢ : ليغاظبه به - اي القرآن .
- ٤١- في ١ - سرمديا .
- ٤٢- سورة العبر آية : ٣٥ .
- ٤٣- ساقطة من : ١ و ٣ .
- ٤٤- سورة الاسراء آية : ٨٨ .
- ٤٥- ساقطة من : ٢ .
- ٤٦- ساقطة من : ١ .
- ٤٧- سورة الكهف آية : ١٠٩ . قلت : وقد ورد في حديث اخرجه العاكم واحد وابن حبان وغيرهم ان عدد الانبياء منه الف واربع وعشرون الفا . انظر كنز العمال : رقم ٣٢٧٧٦ .
- ٤٨- ساقطة من : ٢ .
- ٤٩- في ٢ : مثني .
- ٥٠- سورة النحل آية : ١٦ .
- ٥١- سورة ص آية : ٢٥ . قلت : اورد السيوطى في التبر المنشور ٥/٣١٤] آثاراً اسرائيلية موقوفة على وهب بن منبه وغيره في وصف سماعط سليمان ، ووصف يساطه .
- ٥٢- ساقطة من : ٣ .
- ٥٣- جعفر بن يعيين البرمكي ووزير هارون الرشيد العباسي ولد ونشأ في بغداد (١٥٠ هـ) قليله الرشيد الوزارة وفوهه في شؤون البلاد الى ان غضب على البرامكة جملة فقتله في مقتهم سنة (١٨٧ هـ) وهو موضوع بالقصاصه وكرم اليد والنفس . الأعلام [١٣٠/٢] .
- ٥٤- في ٣ : مراراً .
- ٥٥- ساقطة من : ٢ .
- ٥٦- في ٢ : هن .
- ٥٧- ما بين المطفين ساقط من : ٣ ، وكلمة « زيادة » ليست في : ١ و ٢ .

- ٦٨- ما بين القوسين ساقط من : ٣ ، قلت : الامر منها في ذلك « فاطمة بنت عبد الملك » جدتها : مروان بن الحكم وابوها عبد الملك ، وانوثتها : سليمان ووليد وهشام ويزيد ، وأولاد اخوتها : الوليد بن يزيد ، ويزيد وابراهيم ابنا الوليد ، وزوجها عمر بن عبد العزيز كلهم استلموا الغلابة .
- ٦٩- في ٢ : القسا .
- ٧٠- زبادة من : ٣ .
- ٧١- في ١ : رواية الاسراء ، وفي ٢ : رواية ٠٠٠
- ٧٢- في ١ : التعل الباسقات .
- ٧٣- قال صاحب حياة الحيوان : « وهي جرارات تلسع فقتل .. وربما تثار لحم من لسنته او عفن لعنه او استرخي حتى انه لا يدتو منه احد الا وهو يمسك بالفم مخافة اعدائه ، ومن لطيف امرها انها مع صغرها تقتل القيل والبعير يلسعنها . التعميسي ٤٥/٢ .
- ٧٤- ساقطة من : ١ .
- ٧٥- في ١ : غسله .
- ٧٦- بلد مشهور من نواحي خوزستان . (معجم البلدان : ١٢٣/٤)
- ٧٧- ساقطة من : ٢ .
- ٧٨- ما بين القوسين ساقط من : ٣ ، وما بين المقوفين ساقط من : ٢ .
- ٧٩- في ١ : قلب .
- ٨٠- بعض هذه الاوصاف تنطبق على « النمر » من السياع . (حياة الحيوان : ٣٣٤/٢)
- ٨١- في ١ : الجبال .
- ٨٢- كذا في النسخ الثلاث ولعله اسم موضع .
- ٨٣- ما بين المقوفين ساقط من : ٣ .
- ٨٤- ما بين القوسين ساقط من : ١ و ٣ .
- ٨٥- القرفة (٢٥) ساقطة من : ٣ .
- ٨٦- القرقفات (٣٦ و ٣٧) ساقطتان من : ١ .
- ٨٧- في ٣ : ملة ليلة .
- ٨٨- ساقطة من : ١ و ٣ .
- ٨٩- القرقفات (٤٠ و ٤١) ساقطتان من : ٣ .
- ٩٠- القرفة (٤٤) ساقطة من : ٣ .
- ٩١- القرقفات (٤٦ و ٤٧) ساقطتان من : ١ .
- ٩٢- ما بين القوسين ساقط من : ١ .
- ٦١- لعله يشير الى ما اخرجه الخطيب يستند ضعيف عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : يكون مدينة بين الفرات ووجلة يكون فيها ملك ابن عباس وهي الزوراء يكون فيها حرب مقطعة تسمى فيها النساء ويبدع فيها الرجال كما تدبغ القنم . قال الخطيب : استاده ضعيف جدا ، قال السيوطي : وقت هذه الغروب ... وذلك مما يقوى ورود الحديث انظر كنز الصال ٣١٤٥٥/١١ .
- ٦٢- الحديث ساقط من : ١ و ٢ . قلت : وقد اخرجه مسلم (رقم : ٢٩٤٦)
- ٦٣- في ٣ : لا تطر .
- ٦٤- في ٤ : لا تطر .
- ٦٥- اشتهر على الاسندة « علماء امتى كانوا يبايعون اسرائيل . قال العافظ ابن حجر ، والزركشي ، والسيوطى : لا اصل له . كشف النقاء : ٨٣/٢ .
- ٦٦- لهم : ابو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد .
- ٦٧- زاد ناسخ ٣ هنا : رضي الله عنه وارضاه وجمل الجن مقطلبه وموته ونفعنا به وببركة علومه في الدنيا والآخرة أمين يا رب العالمين .
- ٦٨- زاد ناسخ ٣ هنا : امام السنة الذي قال في حقه شيخ البغاري : اغاث الله الاسلام برجلين لا ثالث لهما ابو بكر الصديق يوم الربدة ، والامام احمد بن حنبل (رضي الله عنهما) يوم المعنفة .
- ٦٩- ساقطة من : ٣ .
- ٧٠- في ٣ : « الف قنطر ومتنة قنطر ، قلت : وسبعة وعشرين ... » .

- ٩٣- الفرة (٥٧) ساقطة من : ٣ . قلت : وما ذكره من
أيوب (عليه السلام) هنا لا يصح وهو من الاسرائيليات
ومنافٍ لقصة الأنبياء (عليهم السلام) .
- ٩٤- سورة ٠
- ٩٥- ما بين المعقدين ساقط من : ٢ ، ولن ٣ : لبث في قومه
٥٠٠ خمسين ألف سنة
- ٩٦- في ١ و ٢ : بغل بالزكاة بينما كان فقيها .
- ٩٧- سورة النساء آية : ٥٣ ، وهي ساقطة من : ٢ .
- ٩٨- سورة القصص : ٧٦ .
- ٩٩- في ٢ زيادة : وهارون .
- ١٠٠- سورة طه آية : ٥٩ .
- ١٠١- في ١ زيادة : أبداً .
- ١٠٢- « حم » ساقطة من : ١ .
- ١٠٣- في ٣ : الف على يمينه وستمته على يساره .
- ١٠٤- دندرة : بليد على فربى النيل من نواحي الصعيد
و فيها بربى كثيرة منها بربى هبها منه وشانون كوة
تدخل الشمس كل يوم من كوة . [معجم البلدان :
٤٦٧٧/٢]
- ١٠٥- في ٢ : مبكرة ، وما بين المعقدين ساقط من : ٣ .
- ١٠٦- سورة الأعراف آية : ١١٦ .
- ١٠٧- البرابي : جمع بربى كلمة البطية يعني موضع العبادة
أو البناء الحكم أو موضع السحر . قال يالوت بعد
أن أورد بعض ما في هنا من أوصاف البرابي: «القصة
المذكورة قل أن يقلو منها كتاب في أخبار مصر فلذلك
ذكرت ، وإن كانت بالغرابة أشبه » [معجم البلدان] .
اما ابن بطوطه فيقول : « وعند الناس في هذه الصور
أكاذيب لا يرجع عليها » [رحلة ابن بطوطة : ١/ ٦٧ ،
ط/الرسالة] .

★ ★ ★

مؤلفات جلال الدين السيوطي

المخطوطة والمطبوعة

عنوان الكتاب

<ul style="list-style-type: none"> - الأحاديـج التـحـويـة أـنـظـر مـقـامـات السـيـوطـي .. - أحـادـيـث التـسـبـيـح الـوارـدـة فـي الـعـدـيـدـة الصـحـيـحـة .. - الـاحـادـيـث الـحسـان فـي فـضـلـ الـطـيلـيـان - أحـادـيـث الشـتـاء - أحـادـيـث شـرـيـفـة فـي فـضـائـل قـزوـين وـالـاسـكـنـدـرـيـة .. - الـاحـادـيـث الـمـتـيـفـة فـي فـضـلـ الـسـلـطـةـ الـشـرـيـفـة .. - أحـادـيـث وـارـدـة فـي التـشـهـدـ وـالـجـنـائـزـ وـالـزـكـاـة .. - الـصـومـ وـالـعـجـ وـغـيرـ ذـلـك - الـاحـادـيـث الـوارـدـة فـي الطـاعـونـ وـالـدـعـاءـ بـدـفعـ الـوبـاء - أحـادـيـث مـسـلـسـلـات - أحـادـيـث مـنـ الجـامـعـ الصـغـير - أحـاسـنـ الـاقـتـنـاسـ فـي حـامـسـ الـاقـتـبـاسـ أوـ أحـاسـنـ الـائـتـنـاس - الـاحـتـفـالـ بـالـأـطـفـال - أحـوـالـ الـبـيـث 	<ul style="list-style-type: none"> - آدـابـ الـمـلـوك - أـكـامـ الـقـيـانـ فـي حـاكـمـ الـعـصـيـان - الـآـيـةـ الـكـبـرـىـ فـي شـرـحـ قـصـةـ الـأـمـارـام - الـابـهـاجـ بـنـظمـ الـمـنهـاج - أـبـوابـ الـسـعـادـةـ فـي أـسـبـابـ الـشـهـادـة - الـإـتقـانـ فـي عـلـومـ الـقـرـآن - اـتـعـافـ الـاخـاصـ فـي فـضـائـلـ الـمـسـجـدـ الـأـقصـى - اـتـعـافـ الـفـرـقـةـ بـرـفـوـ الـخـرقـة - اـتـعـافـ الـنـبـلـاـمـ بـأـخـبـارـ الـتـلـامـ - اـتـعـافـ الـوـقـدـ بـنـبـاـ سـورـتـيـ الـخـلـعـ وـالـحـفـد - اـتـامـ الـدـرـيـاـ لـقـرـاءـ الـنـقـاـيـة - اـتـامـ الـنـسـمـةـ فـي اـخـتـصـاصـ الـاسـلـامـ بـهـذـهـ الـأـمـة - الـأـجـرـ الـجـزـلـ فـي النـزـل - الـأـجـوـبـةـ الـزـكـيـةـ عـنـ الـأـلـفـارـ الـسـبـيـكـة
---	--

(*) اعتمدنا في نقل مؤلفات السيوطي المخطوطة والمطبوعة على دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها .. الذي قام بإعداده : السيد أحمد الغازندي - والسيد محمد ابراهيم الشيباني .

عنوان الكتاب

- أزهار الفضة في حواشي الروضة
- الأزمار الفائمة على القاتعة
- الأزمار في ما عقده الشمراء من الآثار
- الأزمار المتناثرة في الأخبار المتواترة
- الأساس في مناقببني الباس
- أسباب الاختلاف في الفروع
- أسباب الحديث
- أسباب النزول
- إبسال الكسام على النساء
- استفتار أبي مدين وتخيسه
- الاستنصرار بالواحد القهار
- اسجال الامتدام ببطال الامتدام
- أمرار التنزيل أو قطف الأزهار في كشف الأمرار
- اسماع المطلاب بترتيب المشاهاب
- اسماع المطبا برجال المطا
- الأسفار عن قلم الأظفار
- اسماء المدنسين من الرواة
- الأسئلة المعاية التي رفعت الاسماء العالم
- وأجوبيتها تشرأ
- الأسئلة الوزيرية أو نفع الطيب من اسئلة العطيب
- الأشباء والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية
- الأشباء والناظائر في التصور
- الاصطفاف في ايمان أبي المصطفى
- الأصول المهمة في علوم جمة
- أطراف الاشراف بالاشراف على الاطراف
- الاعتراض والتولى من لا يحسن ويفصل
- الاعتماد والاتوكيل على ذي التكفل
- أعنذب المناهل في حديث من قال أنا عالم فهو جامل
- إعراب حديث (ولا يعن من عاديت) وهو معروض بدعام القنوت
- اعلام الأربيب بحدث بمعنة المغاريب
- إحياء البيت بفضائل أهل البيت
- الأخبار المأثورة في الأطلاط بالثورة
- الأخبار المرؤية في سبب وضع البريبة أو دقائق
- الأخبار المرؤية في سبب وضع البريبة
- الأخبار المستفاده في مين ولئي مكة المكرمة من آل قتادة
- أخبار الملائكة
- أخبار النبلاء (انظر اتحاف النبلاء باخبار الثقلاء)
- الاختلاف في سؤال الأطفال
- اختلاف الناس في الصلاة الوسطى
- أدب الفتيا أو أداب الفتوى
- أدب القاضي على مذهب الشافعى
- الأدب المفرد في الحديث
- أذكار الأذكار (انظر مختصر الأذكار)
- أربعون حديثاً في دفع اليدين في الدعاء
- أربعون حديثاً في فضل الجهاد
- أربعون حديثاً في قوامات الأحكام الشرعية
- وسائل الأعمال
- أربعون حديثاً في ورقة
- أربعون حديثاً من روایة مالک عن نافع من ابن عمر
- أربعون حديثاً من الصحاح والحسان
- أربعون حديثاً ويليه سائل في أمور مختلفة
- الأربعون الشباينية
- الأربع في الفرج
- أرجوزة في فتنة المقبور
- ارشاد المهتمين الى أسماء المجددين
- ارشاد المهتمين الى نصرة المجتهدین
- الأركان في ليس في الامكان ابدع مما كان
- ازاله الونم عن مسألة الونم
- أزهار الأحكام في أخبار الأحكام
- أزهار المرؤش في أخبار العبوش

- الامالي المطلقة
- الأمر بالاتباع في النهي من الابتداع
- الانفاف في رتبة الغلافة
- أيام الأذكياء لحياة الآباء
- انبعاث الوعد المنافق من طبقات ابن سعد
- انساب العرب
- انساب الكتب في انساب الكتب
- الانصاف في تبييز الأوقاف
- انسوجة الليبب في خصائص العبيب
- أنوار الحكم في مكان رؤية النبي والملك
- الانوار السننية في تاريخ الخلفاء والمملوكين
- الصعنة بصر
- آنيس الجليس
- الاوچ في خبر عوج
- الايضاح في أسرار النكاح
- الآیک في معرفة الجامع
- ب -
- الباحة في السباحة او (في سباحة الرسول)
- البارع في اقطاع الشارع
- بارق في قطع يد السارى
- بانت سعاد
- الباامر في حكم النبي عليه الصلاة والسلام في الباطن والظاهر
- البحر الذي زخر في شرح الفية الآخر
- بداعش الزهور في وقائع الدھور
- البدر الذي اتجلى في مسألة الولا
- البدور السافرة من أمور الآخرة
- البديعية وشرحها او (النظم البديعي في مدفع الشفيع)
- بندل المسجد لمسؤول المسجد
- بندل المجهود لزيارة محمد
- بندل الهمة في طلب زيارة النّـة
- الاعلام بحكم عيسى عليه السلام
- اعلام العسنى بمعانى الأسماء العسنى
- اعلام النصر في اعلام سلطان مصر في مسألة البروز على النهر
- أعمال الفكر في فضيلة الذكر
- اعيان الأعيان وابناء الزمان (او نظم العقيان في اعيان الأعيان)
- اغاثة المستغيث في حل بعض اشكالات الحديث
- الاغضان عن حديث دماء الاضاء
- افاده الخبر بنصه في زيادة المعر ونقشه
- الافتراض في رد الاعتراض
- افراد حديث الوطا
- الافصاح على تلخيص المفتاح
- الافصاح في أسماء النكاح
- الافصاح في زوايد القاموس على المصاح
- الاقتراب في أصول التحو وجدله
- الاقتصاد في شرح الكوكب الوقاد
- الاقتراض في مسألة الشعاص
- أقوال العلماء في الاسم الأعظم
- الأقوال التنبية في مناقب الأنمة الأربعمة
- الأقوال والبحث في أحوال البعث
- الاكيليل في استنباط آيات التنزيل
- الأنفاس المعرفية
- النّـة السيوطي في مصطلح الحديث ، ونظم الدرر في علم الآخر
- الأنفية في القراءات العشر
- الأنفية في التحو والتصريف والخط وتنسى الفريدة
- القام العجر لن ذكي ساب أبي بكر وعمر
- الاماع في الاتباع لحسن بنن في اللغة
- الوبية النصر في خصوصي بالقصرين
- الامالي على الدزة الشاكرة
- الامالي على القرآن الكريم

عنوان الكتاب

- برد الأكباد في الصبر على فقد الأولاد
- برد الظلال في تكرار السؤال
- البرزخ
- البرق الوامض في شرح ثانية ابن المبارك
- البرهان في علامات مهدي آخر الزمان
- بزوج المهلل في الخصال الموجبة للظلال
- بسط الكث في اقسام الصنف
- بشري المابس في حكم البيع الدبور والكتائب
- بشري الكثيب بلقاء الحبيب أو (تلخيص كتاب
أحوال البرزخ)
- بفتحة الرائد في التذليل على مجمع الروايد
- بفتحة الوعاء في طبقات الملوين والنعاج
- بفتحة الوهاظ في طبقات العفاظ
- بليل الروضة
- بلقة المحتاج في مناسك العاج
- بلوغ الأمينة في الخانقة الركنية
- بلوغ المأرب في أخبار المقارب
- بلوغ المأرب في قفن الشارب
- بلوغ المتأول في خدمة الرسول
- البهجة السننية في شرح أسامي النبي (عليه
الصلوة والسلام)
- البهجة المرضية في شرح الفقيه ابن مالك
- بهجة الناظر وتنزمه الخاطر
- بيان التشبيه في اللهم صلي على محمد
- البيان في رياضة الصبيان
- بيان قول النبي من عرف نفسه فقد عرف ربه
للنساء
- تحفة الحبيب بنحاة مفتني الليبي
- تحفة ذوي الأدب في مشكل الأسماء والنسب
- تحفة السننية في قواعد العربية
- تحفة الظرفام باسماء الخلفاء
- تحفة الطريقة في السيرة الشرفية
- تحفة العجلان في فضل عثمان
- الناج في اعراب مشكل المنهاج
- تأخير الظلامة الى يوم القيمة
- تاريخ أسيوط أو (المضبوط في أخبار السيوط)
- تاريخ الغلظاء
- تاريخ الزهور في وقائع الدعور

— ت —

عنوان الكتاب

- تشنيف السمع بتمذيد السمع ..
- التصريح لصلة التسبيح ..
- تصديق الموكل ..
- التعليل في معنى التقريع ..
- التطريف في التصحيف ..
- تعريف الأعجم بجروف المجم ..
- التعريف بأداب التاليف ..
- تعريب الفتية باجوية الأسئلة المائة ..
- التعظيم والمنتهي في أن أبوى النبي (عليه) في المائة ..
- التعقبات على الموضوعات ..
- ب تعليق الشخص في حل اللعن ..
- ـ التعليقة المبنية على مسند أبي حنيفة ..
- ـ التفلل والاطفاء لنار لا طغنا ..
- ـ فتح الطريق في أسئلة الغطيب ..
- ـ تفسير آية (إيفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ..
- ـ تفسير البلالين ..
- ـ الصير السندي ..
- ـ تفسير الفاتحة ..
- ـ تقريب القريب في الحديث ..
- ـ تقرير الاستناد في تفسير الإتجاه ..
- ـ التقسيم في مشروعية التسبيح ..
- ـ تكملة أرجوزة ابن دانيال في قضاة مصر ..
- ـ تكملة العقود الدرية في الأماء المصرية ..
- ـ تلخيص الأربعين في التبيان لابن حجر ..
- ـ تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان ..
- ـ تمهيد الفرش في الخصال الموجبة للمرش ..
- ـ تناسق الدرر في تناسب السور ..
- ـ التنبيه بمن يبعثه الله على رأس كل مائة ..
- ـ التنبيه على الحسن الجلي والغхи في القرآن والألفاظ المستكرفة ..
- ـ تنبيه الغبي في تنزيه (تبرئة) ابن هربى ..
- ـ تنبيه الواقع على شرط الواقع ..
- تحفة الغريب في الكلام على مفتي الليب ..
- تحفة الكرام بأخبار الهرام ..
- تحفة المجتهدين باسماء المجددين ..
- تحفة المذاكر في المتقد في تاريخ ابن عساكر ..
- تحفة المكية والنفعة المسكونية ..
- تحفة النايم في تلخيص المتشابه ..
- تحفة الناسك بذك المنامك ..
- تحفة النجبا في قوله هذا بسرا أليب منه رطبا ..
- تغريب آيات التلخيص ..
- تغريب أحاديث شرح السعد ..
- تغريب أحاديث شرح المقائد السنفية ..
- تغريب أحاديث شرح المواقف في الكلام ..
- تغريب أحاديث الصحاح ..
- تغريب أحاديث الوطا ..
- التخصيص في شواهد التلخيص ..
- تدريب الراوي في شرح تقريب التواوي ..
- التذكرة في العربية ..
- تذكرة من ضعي من ملاة ضعي ..
- تذكرة المؤتسي بمن حديث ونسى ..
- التذبذب في الزوائد على التقريب ..
- التذليل والتذنب على نهاية الغريب ..
- التربية العليا في أدب الفتيا ..
- ترجمان القرآن في تفسير المسند ..
- ترجمة التووي والبلقعني ..
- الترشيح على الجامع الصujeيج ..
- الترميس حاشية على شرح التصريف ..
- تزيين الآراء في ارسال نبينا الى الملائكة ..
- تزيين المبارزة لتحسين الاشارة ..
- تزيين الملائكة بمناقب الامام مالك ..
- التسميط الفانيد في حلاوة الاسانيد ..
- تسمية الأشياء ..
- تشديد الأركان في ليس في الامكان أبدع مما كان ..
- تشذيف الأسماء بمسائل الاجماع ..

عنوان الكتاب

- تنمية الفكر في الجمهور بالذكر
- تنزيه الاعتقاد عن العلل والاتحاد
- تنزيه الانبياء عن تسفية الاغبياء
- التقنيق في مسألة التصريح
- التقنيق في مشروعية التسبيح
- التقنيق في الاعتدار عن ترك الافتاء والتدريس
- تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك ..
- تنوير العوالك على موطن الامام مالك
- تهديب الامساد
- التهديب في اسماء الذين
- التهديب في الزواائد على التقرير
- التوجيه للرب بدعوات الكرب
- توجيه الفرم الى اختصاص الاسم بالجنس
وال فعل بالجمل
- التوضيح على التوصيم (شرح الالقية)
- التوضيح على مشكلات الجامع الصريح
- توضيح المدرك في تصريح المستدرك
- التيسير لشرح الجامع الصغير
- ث -
- ثبوت الغير بنصه في زيادة العمر ونقصه
- الثبوت في ضبط الناظر القنوت
- الشفاعة الباسطة في مناقب السيدة فاطمة
- ثلاثة ارجاوز في رموز الجامع الصغير
- ثلث المزاد في احاديث ليس السواد
- ثلث الفرداد في فقد الاولاد
- لم الاطراف وضم الاتراف
- ج -
- الجامع الصغير من حديث البشير النذير
- الجامع في الفرائض
- الجامع الكبير
- جامع المسانيد
- جامع الجواب في النحو (المربية)

عنوان الكتاب

- حسن التصريف في عدم التعليل
- حسن التتمم في أحاديث التسمية في التشهد
- حسن التلخيص (التخلص) لتألي التلخيص
- حسن المست في الصمت
- حسن السير فيما في القرن من أسماء الطير
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
- حسن المقصد في عمل الولد
- حسن النية في خانقاه البربرية
- العصر والاشاعة لاشراط الساعة
- حصول الرفق بأصول الرزق
- حصول التوال في أحاديث السؤال
- الحظ الوافر في المتنم في استدرار الكافر اذا أسلم
- حفظ السيادة بأذكار السعادة
- حقية السنة والبدعة
- الحكم المشهورة من عدد الحديث من الواحد إلى الشرة
- الحكم الواردة على الأعداد الواحدة
- حل عقود الجان
- حلية الاولياء في طبقاتهم
- الخامسة (رسالة في تفسير الالاظف المداولة)
- العواشي الصفرى
- الحياة السنية في الحياة السنية

- ح -

- حاشية على تفسير البيضاوي
- حاشية على شرح الشذور
- العاشية على القطمة للأستنوي
- حاشية على المختصر
- حاشية على المتنى
- حاطب ليل وجارف سيل
- العاوي للقتاوي
- البائرك في أخبار الملائكة
- الجبل الوثيق في نمرة الصديق
- العج في الإجابة إلى الصلح
- المجمع المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة
- حدة الibern البارق في قطع السارق
- حديث السلام من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على أمته
- حدائق الأديب وطريقة الأربيب (جمع فيه أشعاره)
- العرز المنبع في أحكام الصلاة على العبيب
- حسن التسليك في حكم التشبيك

- خ -

- خادم النعمل الشريف
- الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد
- والنجاء والأيدال
- الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتاخرة
- الخصائص الشريفة النبوية
- الخصائص الصفرى في انموذج الليب
- الخصائص الكبرى والمجازات النبوية
- الخصائص والمجازات النبوية

عنوان الكتاب

- الدرر الحسان في البیث ونیم البیان خصائص يوم الجمعة ، نور الجمعة في خصائص الجمعة
- الدرر الحسان في رفع شأن العرشان الخضراء السبعة
- الدرر في فضائل عمر خلاصة الاشیاء
- درر الكلم وغدر الحكم خلاصة طبقات النعمة
- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة الخلاصة في تظم الروضة في الفتن
- دعاء القنوت خلق الإنسان أو غایة الاحسان
- دفع الآسى في تلخيص أسباب الكسام خمائل الزهر في فضائل السور أو جمال الزهر
- دفع التشنيع في مسألة التسميع في فضائل السور
- دفع التسفس من اخوة يوسف - ٥ -
- دقائق الأخبار المروية في سبب وضع العربية
- الدوران الفلكي على ابن الكركي
- الدوبيك في الديك
- الدبياج على صحيحة مسلم بن العجاج
- ديوان البيوان (وهو مختصر كتاب حياة الحياة للسييري)
- ديوان الخطب (الخطبة)
- ديوان السيوطي
- داعي الفلاح في أذكار المساء والسباح
- در الناج في اعراب مشكل المنهج
- الدر الشين في أسماء المصنفين
- الدر الثالث في المجرات والمعنائين
- در السباحة فيما دخل مصر من الصحابة
- الدر المنثور في التفسير المأثور
- الدر المنثور فيما يتعلّق بالموئلي وزيارة القبور
- الدر المنظم في الاسم الاعظم
- الدر المنظوم في بيان حصر المعلوم
- الدر النثر في تلخيص نهاية ابن الأثير
- الدر النثر في قراءة ابن كثير
- الدراري في أولاد (ابناء) السرايري - أو النجوم الدراري في أبناء السرايري
- الدراري المرسلة في الاستعاذه والبسالة
- الدرالية في تغريیح أحاديث الهدایة
- الدرة الناجية على الآسئلة الناجية
- الدرة الفاخرة في تحقيق أقوال المتكلمين والصوفية في وجوب الواجب لذاته
- الدرة الفاخرة في علوم الدنيا والآخرة
- درج المالي في نصرة الفزالي عن المنكر المتعالي
- الدرج المبنية في الآباء الشرفية
- دور البحار في الأحاديث القصار
- ٣ -
- ذكر الامراء والمعراج الشريف
- ذم زيارة الامراء
- ذم زيارة القبور
- ذم القضاء
- ذم المكس
- ذو الوشاحين
- ذيل الأباء عن قبائل الرواة
- ذيل العيون
- ذيل زياتات الجامع الصغير
- ذيل طبقات العقاظ
- ذيل على القبول المسد
- ذيل على المتن في الفسقاء
- ذيل على موضوعات ابن التوزي
- ذيل الالئي المصنوعة في الأحاديث الموضومة

عنوان الكتاب

- أو الزيادات على الموضوعات
- - ذيل لب اللباب في تعرير الأنساب
- - الذيل المهدى على القوں المسدد أو القول
المسدد في الندب من مستند أحمد
- - -
- - الرتب المنيفة في فضل السلطنة الشريفة
- - رجال الوطن
- - الرحمة الفيومية والمكية والدمياطية
- - الرحمة في الطب والحكمة
- - الرد على من أخلد الى الأرض وجهل أن
الاجتهد في كل عصر فرض
- - رسالة الى ملك التكرور
- - رسالة ملك التكرور
- - الرسالة الببيرمية
- - رسالة تتعلق بالاشراف وعدم جواز الصدقة عليهم
- - رسالة الجهر بالذكر والاسرار به
- - رسالة خلق الاصحاء
- - رسالة السلالة الرينبية
- - الرسالة السلطانية
- - رسالة السيوطي
- - رسالة الشميسية في ذكر الأنوار القدسية
- - رسالة على اعراب البيضاوي قوله تعالى
(يغترجم من الظلمات الى النور)
- - رسالة في الاجتهاد
- - رسالة في أحكام القهوة
- - رسالة في اختلاف الأئمة
- - رسالة في أسماء المدرسین
- - رسالة في أصول الكلمات
- - رسالة في اعراب دعام القنوت
- - رسالة في أغلاط العوام
- - رسالة في اقسام القرآن ومرسوم خطه وكتابه
- - رسالة في علم الخط
- - رسالة في علم الزبيج
- - رسالة في أمر الساعة

عنوان الكتاب

- رفع منار الدين ونيل بناء المنسدين
- رفع العيدين في الدعاء
- الرفق يواصل الرزق
- الروض الاريض في ظهر المحيض
- الروض الانيق في مسند الصديق
- الروض في احاديث الحوض
- الروض المدخل والورد المدخل
- الرياض الابية في شرح اسماء خير الخلقة
- رياض الصابرين في شرح الاستفادة والبسملة
- الرياض النصرة في احاديث الماء والريض والغضرة
- ريح الترسين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين

- ف -

- زاد المسير في فهرس الصغير
- زاد المداد بقوت الاولاد
- زبدة اللبق (فيه فوائد لغوية وحديثية وطيبة)
- الزبرجردة
- الزجر بالهجر
- الزند الوروي في الجواب عن السؤال الاسكتندرى
- الزنجبيل القاطع في وظائف البراقع
- الزهر الباسم فيما يزوج فيه الحكم
- زهر الخائل على الشمائل
- زهر الربى على الجبئي
- زواند الرجال على تهذيب الكمال
- زواند شعب الایمان للبيهقي على الكتب الستة
- زواند على الكمال في معرفة الرجال
- زواند اللسان على الميزان
- زواند المذهب على العراقي
- زواند نوادر الأصول للحكيم الترمذى
- زيادات على الموضوعات أو ذيل الالى
- رسالة في الخالية
- رساله في فتنه الموتى في قبورهم سبعة أيام
- رسالة في الفقه
- رسالة في الكلام على قول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (طوبين لمن رأني وأمن بي)
- رسالة في كيفية تخلق الولد ونشاته (منسوب للسيوطى)
- رسالة في ليلة البرأة
- رسالة في مسألة استعمال الفاسط القرآن في المعاورات
- رسالة في معرفة الحلى والكتنى والأنساج والألقاب
- رسالة في الموعظة من الحديث
- رسالة في ولادي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
- رسالة مختصرة من كتاب (مرقدة المصود الى سنن أبي داود)
- رسالة مشتملة على قصة جرت بين السيوطى وبعض أهل الاحاد
- رسالة في مناظرة الورد مع الترجم
- الرسالة الناصرية
- الرسائل الى معرفة الاوائل
- رشف الزلال من السعر الحال
- رصف اللآل في وصف الهلال
- رفع الاسى عن النساء (وهو تلخيص كتاب اسبال الكسا)
- رفع الپاس عن بنى العباس
- رفع التعسف عن اخوة التعسف
- رفع الشدر (انعدار) عن قطع السدر
- رفع الخصامة في شرح الغلامية
- رفع السنة في نصب الرينة
- رفع شأن العبشان
- رفع الصوت بذبح المولت
- رفع الپاس وكشف الالتباس عن ضرب المثل من القرآن والاقتباس

عنوان الكتاب

- زيادة على كتاب المحاضرات
 - الجامع الصغير (ذيل الجامع الصغير) من حديث
البشر النذير
 - س -
- ماجمة العرم
 - صاحب سيف على صاحب حيف
 - ساقن الظلمان
 - سبب وضع علم العربية أو الأخبار المروية في
 وضع العربية
 - السبيل الجليلة في الأيام العلية
 - سبل السلام شرح بلوغ الرام
 - سبل النجاة (في نجاة أبوى الرسول)
 - سبل الهدى (في السير)
 - سدرة (شذى) المعرف في إثبات المتن للعرف
 - سر الزبور على شرح الشذور
 - السلال في التفضيل بين الصلاة والطواف
 - السلالة في تحقيق المقرر والامتحان
 - السلسلة المنشورة في العلوم العربية
 - السلطنة الشريفة في الأحاديث الميبة
 - سلوة الفؤاد في موت الأولاد
 - السماح في أخبار الرماح
 - السندي الصغير أو زاد المسير في التهرس الصغير
 - سهام الاصابة في الدعوات المستجابة
 - السهم المصيب في تعر الخطيب
 - سؤال أهل السنة
 - سؤال وجواب في الوباء
 - السيد البثار في الفرق بين الثبوت والانكار
 - السيد الصقلي في حواشي ابن عقيل
 - سيف النظائر في الفرق بين الثبوت والانكار
 على مسند الشافعي أو السيد البثار
 - ش -
- الشافي على مسند الشافعي
 - شرح الأئمّة في سد الأئمّة في المسجد النبوي
 - شد الرجال في ضبط الرجال
 - شد الطبيه بين غياث وعطيه
 - شرح ابن ماجه
 - شرح ابيات لتغليم المفتاح
 - شرح الاستفادة والبسملة في رياض الطالبين
 - شرح الاضافة في منصب الخلافة
 - شرح الفنية العراقي في الحديث
 - شرح انموذج الليبيب في خصائص العبيب
 - شرح التبصرة والتذكرة في شرح الفنية العراقي
 - شرح التدريب للبلقيني
 - شرح تصريف الغزي
 - شرح التنبیه
 - شرح الحديث الأربعين
 - شرح العديدة بشرح العروة الوثقیة
 - شرح العوقة والعجمة
 - شرح رفع التخصاصة
 - شرح الروضة للنودي في الفروع
 - شرح السیوطی على الفنية ابن مالک (أنظر :
 البهجة المرضية في شرح الانفیة)
 - شرح الشاطئیة (حرز الأمانی)
 - شرح الشافیه
 - شرح شوامد المتن (مفتی الليبيب)
 - شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور
 - شرح ضروري التصریف بحال الدین ابن مالک
 النعسوی
 - شرح عقد الجان في علم المانی والبيان او حل
 عقد الجان
 - شرح عقیدة السیوطی
 - شرح التراصف الرحیبة
 - شرح قصيدة بانت معاد
 - شرح قصيدة الكافیة (کافیة ابن مالک)
 - شرح الكوكب السالم في نظم جمع الجواب ..

عنوان الكتاب

- شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد او الاقتصاد
في حرب النجود الوقاد
- شرح لمع الاتقاء في الاشتقاء
- شرح مختصر على صحيحة البخاري
- شرح المقدمة المؤلفة الاحمام
- شرح ملحة الاعراب
- شرح التقافية (انظر: اقام الدرامية لقراء التقافية)
- ط -
- الطبع النبوى
- طبقات الاصوليين
- طبقات أهل الخط المنسوب او طبقات الخطاطفين
- طبقات الاوليات او حلية الاوليات
- طبقات البیانیین
- طبقات التابعین
- طبقات العفاظ
- طبقات الخطاطفين او طبقات أهل الخط المنسوب
- طبقات شعراء العرب
- طبقات الفرضین
- طبقات الكتاب
- طبقات اللغويین والنحاة او (بغية الوعاة في
طبقات اللغويین والنحاة)
- طبقات المفسرین (لم يتم)
- طبقات النحاة الکبری
- الطراز في الالغاز
- الطراز الازوردي في حواشی الجاریدی
- الطریثوت في فوائد البرغوث
- طرح السقط في نظم اللقط (وهو من خصائص
النبي)
- طرز المسامة في التفرقة بين المقامۃ والقماۃ
- الطلعة الشمسیة في تبیین الجنیسیة (العسینیة)
من شرط الیبریمیة
- طلوع الشیریا با ظهار ما كان خنیا
- طوق الحامة
- طی اللسان عن ذم الطیلسان
- ضرب الأسل في جواز أن يضرب في الماء
والخطب من الكتاب والستة مثل
- ص -

- ص -

- الصارم الهندکی في عنق ابن الكرکی
- الصباۃ في مسألة الاستئناف
- صفة اولی الایصار والألیاب واضدادهم
الحادین عن الصواب
- صلاة الضحی
- الصلمة في وصف الرزلة
- الصواعق على الواقع
- صون المطلق والكلام عن فن المنطق والكلام ..
- ضرب الأسل في جواز أن يضرب في الماء
والخطب من الكتاب والستة مثل
- ض -

عنوان الكتاب

- غور الانساب في الرمي بالنشاب أو غرس الانشاب في الرمي بالنشاب.....
 - الغرور في المنتح أو الدرر في فضائل عمر.....
 - غرس الانشواب في الرمي بالنشاب أو (غور الانساب في الرمي بالنشاب)
 - غلطات العام أو رسالة في اختلاط العام.....
 - الفماز على اللماز.....
 - الفتنيه (وهو اختصار لروضة التوردي في الفروع)
 - الفيث المهاع في شرح جمع البواعم.....
- ف -
- الفارق بين المصنف والسارق
 - الفاشوش في أحكام وحكايات قراقوش (منسوب للسيوطى)
 - القانيد في حلاوة الأسنانيد
 - فائدة سورة الأنعام
 - فaidah في كيفية الملائم
 - فتح الأكباد في فقد الأولاد
 - فتاوى السيوطى
 - الفتاش على القعاش
 - الفتواوى القرآنية
 - الفتواوى التعورية
 - فتاوى النذارة في أهل الاشارة
 - فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى : (الله ولـي الذين آمنوا يخربهم من الظلمات إلى النور)
 - فتح العي القيوم بشرح روضة المفهم
 - فتح الرحمن فيما يحل ويحرم على الانسان
 - الفتح التریب على مفہی اللیبیب
 - الفتح الكبير في ضم الزيادات الى الجامع الصغير
 - فتح المطلب المبور وبرد الكبد المعور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التکرور
 - فتح المقالق من أنت طلاق

- ظ -
- الظرف بقلم الظرف

- ع -
- المجاجة الترنمية في السلالة الزينية

- المجالسة المسنی في شرح الأئمـاء المسنـی

- المجائب في تفضيل المشارق على المشارق

- مدة أحاديث في فضائل فعل المعرف وقضاء حاجات الخلق

- المذنب المسلسل في تصحيح الغلاف المرسل

في الروضة

- العرف الوردي في أخبار المهدى

- المشاريات

- عقود اجحان في المعانى والبيان

- عقود الزبرجد على مستند الامام أحمد

- عقيدة الكتاني محمد بن علي بن عراق

- علم التوحيد

- عمدة الفروع والآداب في معرفة أحكام الطعام

والشراب

- عمل اليوم والليلة

- العناية بتخریج أحادیث الكفایة

- العناية في معرفة أحادیث الہدایۃ

- العنبر (اختصار كتاب الروضة في الفروع)

- عنوان الديوان في اسماء الحيوان

- عین الاصابۃ في مختصر اسد الثابة

- عین الاصابۃ في معرفة الصحابة

- عین الاصابۃ فيما استدركه عائشة على الصحابة

- عین النبع في مختصر طرد السبع

- غ -
- غایة الاحسان في خلق الانسان

- غایة المرام في احوال الانام

عنوان الكتاب

- التقطيم والمثلثة في أن أبوى النبي في الجنة
ـ الغواند المتكاثرة في الأخبار المتواترة
ـ الغواند المتازة في صلة الجنازة
ـ الغزو العظيم بقائد الكريم
ـ في السراويل
ـ الفيض الجاري في طرق الحديث المشاري
ـ فتنة الأطفال في قبورهم
ـ فتوى في ماء زيزم
ـ فجر التند في أمراب اكمل الحد
ـ فجر الدياجي في الأجاجي
ـ الفرائد الجديدة
ـ الصانص الرحيبة
ـ المرج التقرب (من من مقامه دروه في مهرس مؤلفات)
ـ فريدة انتبيان ونزعه الحفاظ والاخوان
ـ الفريدة في النحو او الالفي في النحو والتصريف والخط
ـ فريدة دل عقد درة في جبهة المختصرات غرة
ـ فصل الخطاب في قتل الكلاب
ـ فصل في وجود الاقطاب والاوتد والنجباء والايصال
ـ فصل الدlam في حكم السلام
ـ فصل الدlam في ذم الكلام
ـ فض الوعام في احاديث رفع اليهدي للدعاع
ـ فضائل الشام
ـ فضائل يوم الجمعة
ـ فضل الجلد عند فقد الولد
ـ فضل الشتاء (انظر : احاديث الشتاء)
ـ الفضل العميم في اقطاع تيم
ـ فضل القيام بالسلطنة
ـ فضل موت الأولاد
ـ سفلان اللسد في أسماء الأسد
ـ فلق الصباح (الاصباح) في تحرير احاديث الصباح
ـ الفلك الدوار في تفضيل الليل على النهار
ـ الفلك المشحون في أنواع الفنون
ـ قلائد العقيان
ـ قلائد الغواند وشرائد الفرائد
ـ القلب المحرور في الجواب عن أسئلة التكorum
ـ الغواند البارزة والكامنة في التم الظاهر
ـ قمع المعارض في نصرة ابن الفراض
ـ القماز على المماز
ـ الغواند الكافية في ايمان السيدة آمنة او

- ق -

عنوان الكتاب

- الكشف عن مجازة هذه الامة بالات
- دعف الفمه عن جميع الامه
- دعف الفمه عن اضمته (لعلها ضمة القبر)
- دعف الفمى في فضل الحى
- كشف اللبس في حديث رد الشمس
- كشف المقطى في شرح الموطا
- كشف النقاب عن الالقاب
- الكشف والتدقير لشرح غاية التعميق في منع التلقيد
- كفاية الطالب للبيب في خصائص العجيب او كتاب المجزات النبوية
- كفاية المحتاج في معرفة الاختلاج
- كلام المسدما على ارواح الشهداء
- الكلام على اول سورة الفت
- الكلام على حديث ابن عباس : (احفظ الله يحفظك)
- الكلم الطيب والقول المختار في المأثور من الدعوات والأذكار
- الكنز المدفون والفالك المشحون (منسوب للسيوطى)
- كنز المقال في متن الأقوال والأفعال
- كنه المراد في شرح بانت سعاد
- الكواكب السيارة في المشاريات
- كوكب الروضة في تاريخ جزيرة الروضة
- الكوكب الساطع في نظم جميع الجواب
- الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير
- ل -
- قوت المفتدي على جمجمة الترمذى
- المuros الاتقه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربها
- القول الجلي في أحاديث الولي او القول المتجلبي في تطور الولي
- القول الجلي في فضائل علي
- القول الحسن في الذب من السنن
- القول الفحيح في تعين الندب
- القول في احكام تغريب العشة
- القول الجمل في الرد على المهل
- القول المختار في المأثور من الدعوات والأذكار
- القول المسدد في الذب عن مستند أحمد او الذيل المهدى على القول المسدد
- القول المشرق في تحرير الاشتغال بالمنطق
- القول المقيد في وقف المؤيد
- القول المفنى في الحث في المعنى
- القول المنجبي في تطور الولي
- ك -
- الكافي في زوائد المذهب على الوافي
- الذاوى في تاريخ السخاوي (من مقاماته)
- كتاب البعث
- كتاب في فضل الأنفواث الذين استؤمنوا على العريم
- كتاب الخصائص والمجازات النبوية
- كتب الأقران في كتب القرآن
- كحل العيون النجل عن مسألة الكحل
- الكراء على عبد البر
- كشف التلبيس عن قلب اهل التدليس
- كشف الريب من العمل بالجipp
- كشف الصالصلله عن وصف الزليله
- كشف الضبابه في مسألة الاستتابه
- كشف الطامة من الدمام بالسفرة العامة
- لب (اللباب) في تحرير الانساب
- الآلى المصنوعة في أخبار الأحاديث الموضومة
- الآلى المكللة في تفضيل الفلاة على المفضلة
- الآلى المنتشرة في الأحاديث المشهورة
- الازوردية في موت الأولاد
- لب (اللباب) في تحرير الانساب

عنوان الكتاب

- لباب التقول في أسباب النزول او فيما وقع في القرآن من المفاسد
- المثابة في آثار الصحابة
- مجاز الفرسان الى مجاز القرآن
- مجرد الموطا
- المجلس العادي والتسعون من اعلام السيوطي
- بجمع البحرين ومطلع البدرين
- الجمل في الرد على المهمش
- بجمع السيوطي
- المحاضرات والمحاورات
- المحرر في قوله تعالى : (يُغَنِّي لَكَ أَنَّهَا مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَبْنِكَ وَمَا تَأْخُرُ)
- مختصر الأحكام السلطانية
- مختصر إحياء علوم الدين للفزالي
- مختصر الأذكار للنووي
- مختصر الألقية ودقائقها
- مختصر الإيضاح في علم النكاح
- مختصر التنبيه
- مختصر تهذيب الأنسام واللغات
- مختصر الجامع الصغير وذيله
- مختصر تحقيق الخادم
- مختصر الدرر البخاري في الأحاديث القصار
- مختصر رسالة ثلج الفؤاد في أحاديث ليس
السود
- مختصر شفاعة التليل في ذم الصاحب والخليل او الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب
- مختصر الطبع النبوى
- مختصر النص التاھر
- مختصر الفهرس الكبير
- مختصر محاضرات الأديب ومحاورات الشعراء والبلغاء
- مختصر ملحة الاعراب
- المرجع الى المدرج
- المدرک في تصعیح المستدرک
- لباب التقول في أسباب النزول او فيما وقع في القرآن من المفاسد
- لباب التقول فيما وقع في القرآن من المفاسد
- لباب التقول (انظر: لباب التقول في أسباب النزول)
- ليس اليبل في الجواب عن ابراد اهل حلب
- المنظم الجوهرى في رد خباط الجوهرى في مسألة الرؤيا للناس
- المقصد المكرم بخصائص النبي المختار
- نقط المرجان في أخبار العجان
- المفظ الراهن والمعنى الفاينق في الحقائق والطريق
- لم الاطراف وضم الاتراف
- اللمع في أسباب الحديث
- اللمع في اسماء من وضع
- لمعة الاشتقاد في الاشتقاد
- اللمعة في أجوبة الأسئلة السبعة وأحوال الموتى
- اللمعة في تحقيق الركمة لادراك الجنة
- اللوامع المشرقة في ذم الوحدة المطلقة
- اللوامع والبوارق في الجواجم والغوارق
- المؤلّف المنشور في نصيحة ولاة الأمور
- م -
- ما اعتبر بنصه في زيادة المرء ونقضه (انظر: افاده الخبر بنصه في زيادة المرء ونقضه)
- ما رواه السادة في الاتکام على الوسادة
- ما رواه الأساطین في عدم الجيء (الدخول) الى السلاطین
- ما رواه الواعون في أخبار الطاعون
- الماھد للسائل الزائد
- المباحث الزکية في المسألة الدوركية
- مباس الملاح ومناسن الصباح في مواسم النكاح
- مبهمات او معجمات القرآن
- المتجلی في تطور الولي
-

عنوان الكتاب

- من النسيم الى ابن عبدالكريم
- مراسد الاطلاع على أسماء الأمانة والبقاء
- مراسد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع
- المرج التفسير والأرج المطر
- المرد في كراهة السؤال والرد
- مرقة الصعود الى سنتن ابي داود
- المرقة العلية في شرح الأسماء النبوية
- مرويات امير المؤمنين ابي الفز الموكل على الله
- المذهب في روضة المشتبه
- المذهب في علوم اللغة وأنواعها
- المسارعة الى المسارعة
- مسألة الستين من مهمات مسائل الدين
- مسألة ضرب زيداً قائمة
- مسألة في كيفية الوحي من الله تعالى ومسائل أخرى
- مسألة في نبوة السيد ابراهيم بن النبي
- مسألة منقوله من كتاب قمع العرس للقرطبي
- مسألة هل الشیع کان علی مهد النبی والصحابة والتائبین (أو سامارة المسنوع في ضوء الشموع)
- مسالك البناء في والدي مید الاکوان
- مسالك العنفای والدی المصطفی
- سامارة المسنوع في ضوء الشموع
- مسائل تتعلق بالزيادة على رد السلام
- مسائل الرهد تتعلق بحكم الصید
- مسائل الزهد والذكر
- مسائل فقهية تتعلق بدخول النساء المساجد
- المستطرفة في احكام دخول الحشمة
- المستظرف من اخبار الجواري
- المسسلسات الكبرى
- مسند أبي بكر وعمر وعثمان
- مسند الصحابة الذين ماتوا في زمان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
- مسند عمر بن عبدالمعزيز الخليفة الأموي
- مقامة الدرية
- مقامة الذهبية في الحم
- مقامة الرياحين (أو مقامة الوردية)
- مقامة الزمردية في الخضروات
- مقامة ساجحة العرمي
- مشتكي المقول في منتهي المقول
- المشفت على ابن المصنف
- المصابيح في صلة التراويف
- المصاعد العلية في القواعد التحوية
- مصباح الزوجاجة على منتن ابن ماجه
- المضبوط في أخبار (تاريخي) أسيوط
- مطالب أولي النهى في شرح غایة المتنھی
- المطالع السعيدة في شرح الفردیدة
- مطلع البدرين فيما يوثق أجره مرتين (أجرين)
- المعانى الدقيقة في ادراك العقيقة
- مفترك الأقران في مشترك القرآن
- المعتصر في تقریر عبارة المختصر
- المعتلى في تعدد سور الولاء (الولي)
- معجم شیوخ السیوطی
- المعجم الصغير - یسمی المتنقی
- المغرب في شرح المغرب
- المغرب في لغة الفقه
- مفاتیح الغیب في التفسیر
- مفتاح التلخیص
- المفاخرة بين الطیلسان والطربحی
- مفتاح الجنة في الاحتجاج أو الاعتراض بالسنة
- مفحمات القرآن في میهمات القرآن
- مقاطع العجائز
- مقالید العلوم في العدود والرسوم
- المقامات
- المقامۃ البعریۃ
- المقامۃ التفاصیۃ
- المقامۃ الجزریۃ
- المقامۃ الدریۃ
- المقامۃ الذهبیۃ في الحم
- مقامة الرياحين (أو مقامة الوردية)
- مقامة الزمردية في الخضروات
- مقامة ساجحة العرمی

عنوان الكتاب

- مقامة السنديبة في نسبة الشريعة المصطوفة
- مقام الكاوي في الرد على تاريخ السخاوي
- مقامة الكلاجية في الأسئلة النابية
- مقامة اللازوردية - في موت الأولاد
- مقامة الطيفية
- مقامة المؤذنة في الاعتدار من ترك الافتاء والتدريس
- مقامة المزهريمة
- مقامة المستنصرية
- مقامة السكينة والدرة الزنجية في المسك والمنبر والزعفران
- مقامة مصرية في التصوف
- مقامة النساء ورشف الزلال من السحر العلال
- مقامة الوردية في الورد والترجس والياسمين
- وغير ذلك
- مقامة الياقوتية
- المقتصر في تقرير عبارة المختصر
- المقصد في الولد
- المكتون في ترجمة (مناقب) ذي النون
- الملحن في معنى المشاحن
- الملتقط من الدرر الكامنة
- من عاش من الصحابة مائة وعشرين؟
- من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة؟
- مناسبات ترتيب السور
- مناهم الصناع بتواريخ الأئمة والخلفاء
- مناهم الصناع في تحرير أحاديث الشفاعة
- منبع الفوائد في ترتيب الفضواط والقواعد
- منتخب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
- منتخب شرح الصدور
- منتخب في طرق حديث من كذب
- منتخب من الأدب المفرد للبغاري
- منتخب من تفسير ابن أبي حاتم
- منتخب من تفسير عبدالرازق
- نـ
- الناسخ والمنسوخ في القرآن
- نتبية الفكر في البهار بالذكر
- منتقة من تفسير القرماني
- منتقة من شعب الإيمان للبيهقي
- منتقة من مستدرك العاكم
- منتقة من مطالع أنوار التنوير
- منتقة من النبيو
- منتقة الأعمال في شرح حديث (إنما الأعمال بالثبات)
- المتجلبي في تطور الولي
- المنثم في المجم
- المنحة في السبعة
- منظومة التصبر
- منظومة في سؤال القبر
- منظومة في المجاهدين
- منظومة فيما يكتُس الذنوب التقدمة والتأخرة
- منظوم المائة سؤال التي مثل عنها السيوطي
- منع الثوران عن الدوران
- المقتحظ الظريف في الموشح الفطيف
- منهاج السنة وفتاح الجنة
- منهاج السوي في ترجمة الإمام النووي
- المنج السوي والنهل الروى في الطب النبوى
- النبي في الكني
- الموشحة في النحو
- المهتب (المذهب) فيما وقع في القرآن من المغرب
- المنهل الروى في الطب النبوى أو المنهج السوى
- والنهل الروى في الطب النبوى
- منهل الطائف في الكنافة والقطايف
- موادر الفوائد
- ميدان الفرسان إلى مجاز القرآن
- ميزان العدلة في شأن البسملة

منوان الكتاب

- نفع الطيب من أسلة الخطيب أو نفع الطيب على الخطيب
- النفع المسكية والتحفة المكية
- النقابة وشرحها
- النقل المستور في جواز قبض المعلوم من غير حضور
- القول المشرقة في مسألة النفقة
- نقولات في علوم القرآن
- النكت البديعيات على الموضوعات
- النكت على الالفية والكافية والشافية ونزة الطرف وشذور الذهب
- النكت على التغليم
- نكت على حاشية المطول
- نكت على شرح شوامد المفنى
- النكت اللواسع على المختصر والمنهج وجامع الجواسم
- نكت على النزهة
- النهجة السوية في الأسماء النبوية أو البهجة السننية
- النهجة الرضية (البهجة) في شرح الالفية
- النهر لن رام البروز على شاطئ النهر
- نواضر الآيك في الجماع
- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار
- نور العديقة
- نور الشقيق في الميق
- نور العظيم في لقاء الكريم
- نور اللمعة في خصائص الجمة
- ٥ -
- هدم الجاني على الباني
- مع الجواسم في شرح جمع الجواسم
- الهيئة السننية في الهيئة السننية
- نشر الذائب في الأفراد والغرائب
- نشر الزهور على شرح الشذور
- نشر الهميان في وفيات الأعيان
- نتل الكتاب في الخشكتان
- النجع في الإجابة إلى الصلح
- النجوم الدراري في أيام السرارى
- النجوم الزواهر في استخاراة المسافر
- نزعة الأخوان وتحفة الغلان
- نزعة الجلساء في اشعار النساء
- نزعة العمر في التفضيل بين البيض والسود والأسمر
- نزعة النسفة في فضائل الروضة
- نزعة المتأمل ومرشد المتأمل
- نزعة المتفرجين على مقاكرة الورد والنسرین
- نزعة التدبر
- نزول الرحمة بالتحدث بالنعم
- نسب بعض الصحابة والأشراف وغيرهم من ملوك الملة والموحدين
- نصب البوصيري
- نشر الطيب على الخطيب أو نفع الطيب من أسلة الخطيب
- نشر العبير في تغريب أحاديث الشرح الكبير
- نشر الطلين المنيفين في حياة الأبوين الشريفيين
- تصحية الملماء الراسخين ووصية المرفقاء المحققين
- النصيحة فيما ورد من الأدعية الصحيحة
- النفرة في أحاديث الماء والرياض والحضر
- نظام البلور في أسماء السنور
- نظام اللسد في أسماء الأسد
- النظم البديع في مدح الشفيع
- نظم الدرر في علم الآخر أو الفنية السيوطي في مصطلح الحديث
- نظم المقيان في أميان الأعيان

عنوان الكتاب

- | | |
|---|---|
| <p style="text-align: right;">- الوشاح في قوائد النكاح</p> <p style="text-align: right;">- وصول الأمانى ياصول التهانى</p> <p style="text-align: right;">- وظائف اليوم والليلة</p> <p style="text-align: right;">- الويفية في مختصر الألفية</p> <p style="text-align: right;">- وقع الأسل في ضرب المثل</p> <p style="text-align: right;">- وهج الجر في تعريم المخ</p> <p style="text-align: center;">- ي -</p> <p style="text-align: right;">- اليد البسطى في تعين الصلاة الوسطى</p> <p style="text-align: right;">- المبنوب فيما زاد على الروضة من الفروع</p> <p style="text-align: right;">- اليواقت الشمينة في صفات السمية</p> <p style="text-align: right;">- اليواقت في العروف الأدن في توجيهه قولهم
لما الله اذن</p> | <p style="text-align: right;">- الواضح في تعليم الرمي</p> <p style="text-align: right;">- الواعون في أخبار الطاعون</p> <p style="text-align: right;">- الواي في شرح كتاب التبيي للشيزاوى لم يكمله</p> <p style="text-align: right;">- الوجه الناضر فيما يقتضيه الناظر</p> <p style="text-align: right;">- الوجه النضر في ترجيع نبوة الخضر</p> <p style="text-align: right;">- وجوب الاقتداء بالسنة النبوية</p> <p style="text-align: right;">- الوجيز في طبقات الفقاهة الشافعية</p> <p style="text-align: right;">- الوديك في فضل الديك</p> <p style="text-align: right;">- الورقات في الوفيات</p> <p style="text-align: right;">- الورقات المقدمة</p> <p style="text-align: right;">- الوسائل الى معرفة الاوائل</p> <p style="text-align: right;">- الوسيلة (وهو مختصر المراقة الملبية في شرح
الاسئلة النبوية)</p> |
|---|---|

☆ ☆ ☆